ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⵎⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ
ⵜⴰⵢⵍⵍⵓⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵉⵔⵜ ⴰ ⵜⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵜⵉⵏⵙⵔⴰⵏⵉⵏ
ⴼⴰⵙ - ⵣⵓ

Royaume du Maroc
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah
Faculté des Lettres et des Sciences
Humaines Saïs -Fès

المملكـــة المغربيـــة
جـــامعـــة سيـــدي محـــمد بـــن عبـــد اللـــه
كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس – فاس

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"
تكوين الدكتوراه : اللغات والآداب والتواصل
مـحـــــور : الدراسـات العربيـــة

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضـــوع :

مفهوم "العقل" في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف
- دراســة مصطلحيـــة-

إعداد الطالبة الباحثة:
حورية بوايكـادر

الأستـاذ المشـرف:
الدكتور رشيد سلاوي

تاريخ المناقشة : 17 فبراير 2021

لجنة المناقشة :

الدكتور إدريس الشرقي .....رئيسا
الدكتور فريد أمعضيشو .....عضوا
الدكتور عبد العزيز اليعقوبي.....عضوا
الدكتور رشيد سلاوي .....مشرفا ومقررا

السنة الجامعية :

2020-2019

شكر وتقدير

أتقدم ببالغ الامتنان وجزيل العرفان إلى:

أستاذي الفاضل الدكتور: **رشيد سلاوي** على تفضله قبول الإشراف على هذه الأطروحة، وعلى توجيهاته القيمة والسديدة التي قومت هذا العمل وأغنته، كما أشكره على رحابة صدره وصبره. فله مني فائق التقدير والاحترام.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كافة أساتذة شعبة الدراسات العربية الكرام بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، الذين ساهموا في مد جسور العلم والمعرفة بكل أمانة وصدق وإخلاص.

حورية بوايكادر

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمـــة:

منذ أن وجد الإنسان على البسيطة، وهو يبحث عن حقيقته وماهية عقله والعمليات التي يقوم بها، وعن تجليتها في الكشف عن أسرار الكون وخباياه، وعن كيفية تحصيل المعرفة وإدراكها، فقطع الأشواط والسنين ابتغاء معرفة ذلك، وعن تلك القوة التي تميزه عن باقي المخلوقات في محاولاته الجادة والمستمرة لإبعاد الجهل عن نفسه، والرقي إلى مستوى يجعله يفهم حقيقة وجوده، وما يحيط به بدقة متناهية.

وقد وُجد الإنسان بين أحضان الطبيعة الآسرة بأسرارها العميقة، فكان لا بد أن يسبح فيها بفكره الواسع ليصعد إلى أعالي سمائها؛ من أجل الكشف عن الحقائق المستترة والمعاني المضمرة، ولأن الحقيقة التي كان يبحث عنها الإنسان في خوضه للعلوم والمعارف، هي حقيقة الكون وحقيقة وجوده، والقوة الكامنة في داخله التي جعلته مخلوقا مكلفا بحمل عبء الأمانة.

إن عقل الإنسان قوة من القوى التي تجعله مميزا مستوعبا للأشياء، بها يحدو إلى مسلك الحق والصواب، وينضوي إلى الاستقامة والصلاح، مهتديا بالوحي الذي يرسم له معالم الهداية والاهتداء إلى ما يرتضيه الخالق عز وجل، ويبني به جوانب شخصيته الفكرية والعقلية والسلوكية، وفق التعاليم الدينية السمحة التي تتناسب مع متطلبات الواقع ومتغيراته.

لقد اهتم القرآن الكريم بالعقل، وأولاه عناية خاصة، حيث نوه به بشكل لافت للنظر، وبالعمليات التي يقوم بها؛ لدورها في فهم الرسالة، وتوجيه الإنسان وترشيده نحو الطريق الصحيح السليم، والوصول إلى حقيقة الوجود، وما أودعه فيه من أسرار وخزائن؛ تستوجب الوقوف برهبة وهيبة أمام عظمة الله وقدرته عز وجل.

ولعل الغاية السامية التي يتوخاها القرآن من خلال الاهتمام بالعقل هي الوصول إلى العلم والمعرفة والحقيقة لتحقيق الهداية؛ من خلال آليات وإمكانيات أودعها الله للإنسان، المتمثلة في التفكر والتدبر والنظر والتبصر وغيرها، وتكرار التنويه بها في القرآن الكريم لم يكن عرضا، وإنما الغاية منه بيان كنه الدين، وجوهر الإنسان، وحقيقة الكون؛ التي تفضي إلى نتيجة مفادها توحيد الله عز وجل.

إن وظيفة العقل الحقيقية هي أن يوجه ويرشد صاحبه إلى الوصول إلى المعرفة الصحيحة، واليقين المطلق، وأن يوازن بين ميولاته ونزواته، متخذا الوحي هاديا وموجها إلى الصواب، ولعل هذا هو دور العقل الأسمى، والغاية التي من أجلها أودعه الله في الإنسان؛ ليجول بعقله في آياته بالتدبر والتفكر؛ ويطلق سراح بصره على الكون ليكشف ما يلزمه لتوحيده والاهتداء إليه. وليحقق لنفسه السلام والاستقرار، ويفوز بسعادة الدارين.

واستنادا إلى ذلك، حاولت حصر موضوع البحث في مفهوم العقل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وفق منهج الدراسة المصطلحية. وذلك لأن لفظ العقل في خطاب الوحي يعد من بين المفاهيم التي تستوجب الدراسة والوصف والإحصاء والتحديد، لورود آيات عديدة تدعو إلى التعقل بشكل صريح أو ضمني، ولكون الوحي موجها في حقيقة الأمر إلى العقل نظرا لأهميته في تلقي الرسالة وفهمها. ولما له من أثر على المستوى العلمي والفكري والتعليمي.

ويأتي اختيار هذا البحث لأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

- ✓ ابتغاء مرضاة الله في خدمة النص القرآني.
- ✓ إتمام البحث في المجال الذي اشتغلت به في سلك الماستر، حيث أنجزت بحثا بعنوان " مفهوم الحكمة في القرآن الكريم –دراسة مصطلحية– ".

- ✓ رغبتي الملحة في الاغتراف من سيل العلم الذي تفيض به آيات الذكر الحكيم أخذا بقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[1].
- ✓ تحصيل مفاهيم القرآن الكريم التي تختزل الدين، كما أكد ذلك الدكتور الشاهد البوشيخي: "لا جرم أن الوحي قرآنا وسنة مجموعة من المفاهيم إذا حصلت حصلت كليات الدين، وإذا لم تفقه لم يفقه الدين"[2].
- ✓ إيمانا مني بوقع مصطلحات القرآن وآثارها في بناء الإنسان وتطويره وتقويم سلوكه إلى الأحسن، يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[3].

وأهدف من خلال هذه الدراسة إلى:

- ✓ بيان أهمية العقل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
- ✓ بيان دور العقل في فهم الوحي قرآنا وسنة.
- ✓ فهم حقيقة الوجود وغايات خلق الإنسان المتمثلة في العبادة والتوحيد.
- ✓ الارتقاء بالعقل من خلال التزود بما يكتنزه القرآن الكريم من علوم ومعارف يمكن أن يستنير بها العقل ويهتدي بها إلى الصواب، يقول تعالى: (قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً ﴾[4].

---

[1]– سورة إبراهيم، الآية:2

[2]– القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، للدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 6.

[3]– سورة فصلت، الآية: 53.

[4]– سورة الكهف، الآية: 109.

- ✓ إبراز وظيفة العقل في بناء المجتمعات وتطورها، وفق ما تقتضيه أحكام وشرائع وآداب القرآن والسنة.
- ✓ اتخاذ القرآن الكريم منهج حياة يحتكم إليه العقل في حل المشاكل التي يمكن أن تعترض الإنسان في جميع مناحي الحياة.
- ✓ تحفيز الناشئة على إعمال العقل؛ للرقي بالجانب الفكري والأخلاقي والحضاري.

دراسات سابقة في الموضوع:

- ✓ مفهوم العقل والقلب في القرآن الكريم، محمد علي الجوزو، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.
- ✓ العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- ✓ ألفاظ العقل والجوارح في القرآن الكريم: دراسة إحصائية دلالية، سهام محمد أحمد الأسمر، رسالة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2007م.
- ✓ مفهوم العقل في القرآن، مقالة لفريدة زمرد منشورة في ميثاق الرابطة، 2009م.
- ✓ البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، ميساء كمال قلجة، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2009م .
- ✓ العقلمانية والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إدريس الخرشاف، سلسلة شرفات العدد 88، مطبعة ازناسن سلا- المغرب ، ماي 2017.
- ✓ العقل بين المفهوم الغربي والمفهوم البياني، مقال لأحمد فتحي، مجلة الألوكة، 2010م.

- ✓ آيات العقل في القرآن الكريم دلالة اللفظ، وإعجاز التدبر والتفكر، إسراء إبراهيم كامل، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب العدد:106 ، 2012م.
- ✓ العقل في القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، المركز الإسلامي الثقافي، مجمع الإمامين الحسنين، الطبعة الأولى، 2013م.
- ✓ العلاقة بين العقل والوحي: وانعكاساتها الفكرية والتربوية، أحلام مطالقة وعماد الشريفين، المنارة، المجلد 20، العدد2/أ، 2014م.
- ✓ مقام العقل في القرآن الكريم، مقال لجابر قميجة، مجلة الألوكة، 2014م.
- ✓ مفهوم العقل في الإسلام، مقال لسمير مثنى علي الأبارة، مجلة الألوكة، 2016م.
- ✓ دراسة موضوعية لمصطلح العقل من القرآن الكريم، مقال لنادية الشرقاوي، مجلة الربيئة، العدد13. 2019م.
- ✓ العقل في القرآن وأثره في التفسير، عماد الراعوش، رسائل النكت في إعجاز القرآن، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2020م.
- ✓ العقل في القرآن الكريم: ألفاظه ومزاياه وعيوبه في البنية والدلالة والسياق، حقي إسماعيل محمود السامرائي المعهد العلمي للفكر الإسلامي، 2020م.

منهــج البحــث:

حاولت دراسة لفظ العقل سيرا على المنهج المعتمد في الدراسة المصطلحية، كما حدده الدكتور "الشاهد البوشيخي"، وهو الذي يقوم على الاستقراء والوصف والتحليل، وقد حاولت تتبع خطواته على النحو الآتي:

1- إحصاء لفظ العقل في القرآن الكريم اعتمادا على قراءة آيات القرآن، وعلى المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم.

2- إحصاء الأحاديث الصحيحة الوارد فيها مصطلح العقل، وقد اقتصرت في ذلك على صحيح البخاري وصحيح مسلم.

3- تحديد الدلالة اللغوية والاصطلاحية بالرجوع إلى المعاجم، من أجل رصد تعاريف اللفظ والكشف الدقيق لمعناه والفهم العميق لدلالته.

4- تحديد معاني مصطلح العقل حسب سياق وروده في آيات القرآن الكريم، باستقراء الآيات مع الاعتماد على كتب التفسير.

5- تحديد علاقات لفظ العقل بباقي المصطلحات التي يرتبط بها داخل الآيات المحصاة، حيث قمت بتحديد مفهومها في المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ثم تحديد معناها في القرآن الكريم، من أجل استخلاص العلاقات المتضادة، والعلاقات المترادفة والمتلازمة مع لفظ العقل.

6- عرض ما توصلت إليه الدراسة من خلاصات ونتائج.

خطـــة البحـــث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: يتضمن ثلاثة مباحث، خصصت الأول للحديث عن أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني، وموجباتها، وإشكالاتها. أما الثاني فقد خصصته لتحديد مفهوم العقل في المعاجم اللغوية فالاصطلاحية، ثم تطرقت إلى مفهوم العقل في القرآن الكريم وعند المفسرين وفي الحديث النبوي الشريف. وخصصت المبحث الثالث لموارد لفظ العقل في القرآن الكريم ودلالات مجال وروده وصيغه.

الفصل الثاني: أفردت فيه بالدراسة علاقات مصطلح العقل بباقي الألفاظ التي تتداخل أو تتقابل معه وفق ما يستوجبه منهج الدراسة المصطلحية. كما تم الوقوف على الألفاظ المتقاربة مع لفظ العقل، وأسماء العقل.

الفصل الثالث: يتضمن القضايا المتعلقة بالمصطلح المدروس، وقد قسمته إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: تناولت فيه مسألة تكريم الإنسان بنعمة العقل، وتشريفه بها، وبينت فوائد إعمال العقل، وأهميته في الإسلام، كما حددت فيه وظائف العقل ومهامه.

المبحث الثاني: خصصته لدراسة علاقة العقل بالنقل والحواس.

المبحث الثالث: يتمحور حول محدودية العقل ونسبيته.

المبحث الرابع: بسطت فيه التدابير التي اتخذها الشارع لحماية العقل.

المبحث الخامس: خصصته للحديث عن وسائل التنمية العقلية في القرآن الكريم.

المبحث السادس: يشتمل على القضايا الكونية، وقضايا المعجزات، والقضايا الأسلوبية في القرآن الكريم؛ التي تقتضي إعمال العقل والتفكر.

الخاتمة: استعرضت فيها أهم النتائج والخلاصات التي توصلت إليها الدراسة.

صعوبة البحث:

من المعلوم أن الخوض في غمار أي بحث لا يخلو من عقبات وصعوبات، إلا أن الإبحار في ألفاظ القرآن الكريم وفق منهج الدراسة المصطلحية يظل أشد صعوبة، مهما بلغ الدارس مرتبة في العلم، وامتلك كفاءة عالية، وتسلح بتقنيات المنهج وأدواته. وتزداد هذه الصعوبة إذا تعلق الأمر بمصطلح لم يحظ بسعة الورود وتعدد السياقات والصيغ في النص القرآني، كما هو الشأن بالنسبة لمصطلح العقل. فبالرغم من المكانة الرفيعة لمصطلح العقل في القرآن الكريم، الذي اعتبر من الكليات الخمس التي صانتها الشريعة الإسلامية، وبها انفرد الإنسان بالاستخلاف في الأرض، فإن وروده بصيغة الفعل فقط جعل تجلية دلالاته ومتعلقاته أمرا ليس بالهين. والغوص في هذه الدراسة

وفق منهج الدراسة المصطلحية مغامرة تستدعي قوة الإرادة، ومزيدا من الجهد والمثابرة؛ للوصول إلى نتائج مرضية، تغني الحقل المعرفي والعلمي في هذا المجال.

تلكم كانت أهم الخطوط العريضة المتصلة بشكل البحث وموضوعه، أرجو من الله العلي القدير أن أكون على الطريق الصحيح، ولا أدعي الكمال لهذه الدراسة، ولكن حسبي أنني لم أذخر جهدا في الوصول بها إلى أحسن صورة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

واللّه المستعان.

الفصل الأول:
دلالة مصطلح "العقل"
في القرآن الكريم ومداره.

المبحث الأول: أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني، موجباتها، وإشكالاتها.

تعد الدراسة المصطلحية المدخل الصحيح لولوج أي علم من العلوم التي من شأنها أن توصل الباحث إلى فهم عميق، واستيعاب دقيق لكل ما يتعلق بالمصطلحات والمتون الواردة فيه. وعلى الرغم من ذلك، فإن الباحث في هذا المجال يصادف العديد من الإشكالات، خاصة إذا تعلق الأمر بالمصطلح القرآني الذي يقتضي خصوصية في التناول والدراسة.

المطلب الأول: أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني

بدأ الاهتمام بالمصطلحات مع انتشار الإسلام، واتساع الحقول المعرفية، وتطور اللغة العربية وازدهارها، وأصبحت الحاجة ماسة إلى وضع مصطلحات تساير هذا التطور؛ إذ أصبح لكل حقل معرفي مصطلحاته الخاصة التي تعبر عن مفاهيمه والتي تكتسي دلالات خاصة داخله. فمع كل تطور علمي يتزايد عدد المفاهيم التي تتطلب وضع مصطلحات تمثلها وتختزل دلالتها بشكل دقيق، كما يتضح من خلال قول علي القاسمي: "فالوحدة التي لا انفصال لها بين المفهوم والمصطلح قائمة على التعريف العلمي الدقيق، ومصطلحات علم محدد من العلوم تشكل فيما بينها نظاما لا يحقق الغاية من وجوده ما لم تكن العلاقات المتبادلة بين عناصره متميزة دلاليا ومتجاوبة مع النظام المفهومي لعلم من العلوم حتى نحقق تصنيفا مفهوميا يقوم على أسس موضوعية ومنطقية"[1].

[1]– النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، الدكتور علي القاسمي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، العدد4، ص: 15.

وهكذا، فإنه لا سبيل إلى اقتحام هذا الحقل أو ذاك دون استيعاب دلالات مصطلحاته ومفاهيمها، وهذا ما يؤكده الدكتور الشاهد البوشيخي بقوله: "إنما تؤتى البيوت من أبوابها، وأبواب كل علم مصطلحاته، بل إنها خلاصة البحث في كل عصر ومصر، ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم، وفي تطورها يتلخص تطور العلم"[1].

إن البحث في عالم المصطلحات هو بحث في الهوية والشخصية والذات، "ذلك أن المصطلحات هي قواعد الارتكاز الثقافي والحضاري، وهي المعالم الفكرية التي تضبط هوية الأمة، وهي فضلا عن هذا أوعية للتواصل بين أفراد الأمة جيلا بعد جيل"[2]، خصوصا إذا تعلق الأمر بالمصطلح القرآني، الذي يعد مفتاحا لمعرفة أحكام وغايات هذا الدين ويختزل قيما ومبادئ من شأنها أن تسهم في تطور المجتمعات وحضارتها. ولكن لما "غفلت الأمة عن هذا الجانب الأساسي من جوانب بنائها الحضاري، اضطربت مفاهيم علومها، والتبست مصطلحاتها، وتخلفت بالتالي عن مسايرة الركب الحضاري، وذب التصدع والفرقة في كيانها الثقافي"[3].

إن الاهتمام بالمسألة المصطلحية[4] يعني الاهتمام بالذات والهوية؛ لأنها بوابة لمعرفة الماضي وإدراك الحاضر والتخطيط للمستقبل، من خلالها يمكن للشعوب أن تحافظ على مقوماتها الحضارية والثقافية، وفي الوقت نفسه أن تساير وتواكب التقدم والتطور العلمي والتقني. وبناء على ذلك، فإن المسألة المصطلحية كما يوضح الشاهد

---

[1]– نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 9.

[2]– دراسات في علم مصطلح الحديث، الدكتور إدريس الخرشافي، ص: 2.

[3]– المرجع نفسه، ص: 4.

[4]– "إنها المسألة التي تبحث مصطلح الماضي، بهدف الفهم الصحيح، فالتقويم الصحيح، فالتوظيف الصحيح، وتدرس مصطلح الحاضر بهدف الاستيعاب العميق فالتواصل الدقيق، فالتوحد على أقوم طريق، وتستشرف آفاق مصطلح المستقبل بهدف الإبداع العلمي الرصين، والاستقلال المفهومي المكين، والتفوق الحضاري المبين" ينظر: نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 8.

البوشيخي: "هي قلب الإشكال، ومفتاح الإقلاع، ومحرك التجديد، ذلك بأنها تتعلق ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات (...) هي محور الصراع، وجوهر النزاع، ومركز الدفاع (...) وبها الدفاع عن الهوية الدينية، والخصوصية الثقافية والوجهة الحضارية[1]. فهي تعكس إذن، تراث الإنسان وماضيه وخصوصياته الحضارية والثقافية والدينية، وإذا ما غابت انصهرت الذات معها وغُيبت، لأن المسألة المصطلحية هي جزء من الذات.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن الأنجع الوحيد لاقتحام أي علم من العلوم وفهمه هو الدراسة المصطلحية للمصطلحات، فبواسطتها يمكن رفع اللبس عنها، وإزالة الغموض الذي يشوب بعض المفاهيم، والخلط الذي يمكن أن يقع بين بعضها، وتحديد دلالتها المقصودة بشكل دقيق.

ولقد كان لمجيء الإسلام الفضل في ظهور مجموعة من العلوم والحقول المعرفية، التي تخدم الوحي الإلهي قرآنا وسنة، كعلوم الحديث وعلوم القرآن، وغيرها... مما أدى إلى ثورة مصطلحية مصاحبة لهذه العلوم. ولما كان هذا الوحي عبارة عن نسق مكون من مجموعة مفاهيم؛ فقد وجب فهم حقيقة هذه المفاهيم ودلالتها العميقة، بعيدا عن كل خلط، أو تحريف في المفهوم والمعنى، وهذا لن يتأتى إلا بفقه النسق الذي يعد السبيل إلى فهم الدين؛ "ذلك لأن النسق نسق مفاهيم، ومجموع مفاهيم، منسوقة أفقيا وعموديا، هو صورة الدين (...). إن الدين مفهوميا خلقة سوية، مضبوطة المكونات، والمقاييس والأبعاد والرتب وأي تغيير يمس شيئا من ذلك ليس منه، هو تغيير لدين الله، ولخلق الله، ولفطرة الله"[2]. من هنا، تتبين خطورة الفهم الخاطئ لمفاهيم

[1]– نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص:3 –4.

[2]– القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 7– 8.

مصطلحات القرآن الكريم؛ الذي يؤدي لا محالة إلى تحريف النص القرآني ومن ثم تشويه معاني آياته وعدم فهم أحكامه كما يجب.

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم يجدها شديدة الإحكام، عميقة المعنى، منظومة بشكل متين وبديع مصداقا لقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]. وقد يكون للفظ القرآني دلالات متعددة حسب سياقات ورودها.

إن"القرآن الكريم وهو يتنزل كان يعطي ألفاظه، التي هي عماد الدين، معاني محكمة في العقيدة أو الشريعة، إجمالا أو تفصيلا. ولو تتبع الباحث بالاستقراء الكامل مواطن ورود اللفظ الواحد لأمكنه الوقوف على معاني اللفظ الجمة، وعلى حقيقته، والمراد منه في هذا الموطن أو ذاك سواء اتحدت المعاني أو اختلفت، ولكان ذلك خير معين لفهم المراد من كلام الله تعالى في كتابه"[2]، إضافة إلى هذا فقد جاءت بعض الآيات لتصحيح بعض المفاهيم؛ بل والنهي عن استعمالها أحيانا كما تبين الآية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]، فأصل لفظة "راعنا"، على سبيل المثال، من الرعاية وهي النظر في مصالح الإنسان، وقد حرفها اليهود فجعلوها كلمة مسبة، مشتقة من الرعونة والحمق، لذلك نهي عنها، فمقصود "راعنا" في الآية الكريمة هي "راقبنا وأمهلنا"[4]. وقد جاء في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور رحمه الله؛ أن سبب منع استعمال لفظة "راعنا" في هذه الآية هو أن اليهود كانت لهم عبارة في العبرانية تشبه كلمه "راعنا" بالعربية، وتعني السب، وقيل: تعني لا سمعت دعاء، فقال بعضهم لبعض كنا

---

[1]– سورة هود، الآية: 2.

[2]– المصطلح خيار لغوي وسمة حضارية، للدكتور سعيد شبار، ص: 37.

[3]– سورة البقرة، الآية: 103.

[4]– صفوة التفاسير، للشيخ محمد علي الصابوني، م1، ص: 10.

نسب محمدا فأعلنوا به الآن، فكانوا يقولون هذه الكلمة مع المسلمين ناوين بها السب فكشفهم الله، وأبطل عملهم بنهي المسلمين عن قول هاته الكلمة حتى ينتهي المنافقون عنها، ويعلموا أن الله أطلع نبيه على سرهم[1]. ففي هذه الآية دعوة إلى اجتناب الألفاظ التي من شأنها أن تنقص من قدر الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته الإسلامية، أو التي من شأنها أن تزيح المعنى المقصود إلى معنى آخر.

كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ **قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمۡ تُومِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾[2]. فقد زعم الأعراب أنهم آمنوا، وهم لم يؤمنوا بعد، لأن الإيمان تصديق مع ثقة واطمئنان القلب، ولا يحصل لهم ذلك لأنهم منوا على الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام والمقاتلة، وقد دلت الآية على أن الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام؛ الذي هو الاستسلام والانقياد للظاهر[3]. فالنص القرآني هنا ميز بين الإيمان؛ الذي هو التصديق الثابت لله ورسوله النابع من القلب، والإسلام الذي مقره اللسان (النطق بالشهادتين).

إن الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم هي اللبنة الأساسية لفهم مصطلحات القرآن الفهم الصحيح، ومن ثم فهم النصوص التي جاء بها الوحي الإلهي، كما قال الراغب الأصفهاني في مقدمة مفرداته "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط،

---

[1]– تفسير التحرير والتنوير، محمد طاهر ابن عاشور، م1، ج 1، ص: 650.

[2]– سورة الحجرات، الآية: 14.

[3]– صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م 26، ج 3، ص: 237.

بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"[1].

إن النص عبارة عن مجموعة من المصطلحات، والمصطلحات لها مفاهيم، وفهم النص يستلزم فهم مصطلحاته، ومعرفة مفاهيمها ودلالالتها الحقيقية، إذ "لا سبيل إلى فقه النسق، أو المفاهيم المكونة له، بغير دراسة ألفاظ القرآن الكريم دراسة مصطلحية، فهي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة وهي المدخل المصطلحي المقطوع بأنه من الوحي، واختيارها من الله جل وعلا، واستعمال السنة لها تابع لاستعمال القرآن، فدراستها في القرآن والسنة تفضي إلى العلم بمفاهيمها وأنساقها المركبة... لكن ما مفتاح هذا المفتاح الذي يحل المفردات والمركبات؟ إنه الدراسة المصطلحية لتلك الألفاظ. إنه دراسة ألفاظ القرآن الكريم في الكتاب والسنة وفق منهج الدراسة المصطلحية"[2].

إن المصطلح القرآني[3] على وجه الخصوص؛ يختزل مفاهيم سامية ودلالات عميقة تستلزم التمعن الدقيق، والفهم السليم، وهذا لن يتأتى بالدراسة المصطلحية لمصطلحات القرآن الكريم، لفهم واستيعاب كل ما جاء به القرآن الكريم.

---

[1]– معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، ص: 55– 54.

[2]– القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 8.

[3]– المصطلح القرآني: "يقصد به إجمالا: كل لفظ قرآني عبر عن مفهوم قرآني، وتفصيلا، هو كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم مفردا كان أو مركبا، اكتسب داخل الاستعمال القرآني خصوصية دلالية قرآنية جعلت منه تعبيرا عن مفهوم معين، له موقع خاص داخل الرؤية القرآنية ونسقها المفهومي"، القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 20.

وتكمن أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلحات بصفة عامة؛ سواء مصطلحات القرآن أو غيرها من المصطلحات في عدة أمور حددها الدكتور الشاهد البوشيخي[1] على النحو الآتي:

1- الموضوع: هو المصطلحات، إذ لا سبيل إلى فهم وتحليل وتعليل ظواهر أي علم دون معرفة المصطلحات ودلالتها الحقيقية، كما لا يمكن للعلوم أن تتطور دون تطور المصطلحات، فتجديد أي علم رهين بتجديد مصطلحاته.

2- **الهدف:** يتمثل في تبيين وبيان مفاهيم المصطلحات [2].

3- **المنهج:** وهو منهج علمي متكامل قائم بذاته، له خمسة أركان: الإحصاء ، الدراسة المعجمية، الدراسة النصية، الدراسة المفهومية، العرض المصطلحي.

4- **الإشكالات:** تتمثل في معضلة إعداد النص وقراءته، وفي معضلة المنهج.

5- **ضرورتها الحضارية بالنسبة للذات:** يتعلق البحث في المصطلح بفهم الذات ماضيا وحاضرا ومستقبلا، بل إنها من أوجب الواجبات وأسبقها، وهي ضرورية وملزمة لكل باحث في أي فن من فنون التراث.

وعلى العموم، فإن الدراسة المصطلحية، أضحت ضرورة حضارية وعلمية وشرعية ملحة تتعلق بالفهم الصحيح للمصطلحات، والاستيعاب الدقيق للألفاظ التي هي مرآة كاشفة عن كنه العلم وجوهره.

---

[1]- نظرات في المنهج والمصطلح، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 15- 16-17-21.

[2]- المقصود بها "دراسة المصطلح ودلالته بهدف إيصاله إلى المتلقي في مقال يعبر بدقة عن الحال، وليس الهدف هو وضع المصطلح أو تعريبه أو توحيد استعماله مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 30.

المطلب الثاني: موجبات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم ومقاصدها.

تعتبر المصطلحات مفاتيح العلوم والنظريات، فهي المدخل الأساس إلى فهم أسرار أي علم، لأنها تختزل مضامينه ومحتوياته، وكذلك الشأن بالنسبة لمصطلحات القرآن الكريم؛ فهي الطريق الموصلة إلى إدراك وفهم ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة، فدراستها دراسة مصطلحية ستفضي إلى معرفة مفاهيمها ومعانيها، ومن تم فهم الدين الفهم الصحيح بعيدا عن أي تحريف أو تشويه أو تغيير. وهكذا، فإن دراسة المصطلح القرآني تعد ضرورة من الضروريات الملحة، لعدة موجبات من أهمها:

1- كون القرآن مجموعة من المفاهيم، يستلزم فهمه فهم المفاهيم التي يتضمنها، ففهم القرآن الكريم رهين بضبط المصطلحات، وبعدم الخلط بين مفاهيمها، وذلك ما نلاحظه في الآية الكريمة من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ **قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا** ﴾[1].

2- حصول تشويه وتغيير في فهم بعض المصطلحات القرآنية: لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بشكل محكم ومتقن بألفاظ دقيقة ومصطلحات مضبوطة، إلى درجة أنه أعجز بلغاء العرب وفصحاءهم "لكن لما تعامل الناس مع هذه المصطلحات، في مختلف الأعصار والأمصار، ألبسوها شيئا من بشريتهم، حيث زحزحوا بعض المصطلحات عن مواقعها، وكان حقها ألا تزحزح وضخموا من حجم الصغير منها، وصغروا من حجم الكبير منها"[2]، وبذلك تغيرت دلالاتها ومعانيها؛ ومن ثم تغيرت النظرة إلى الدين الإسلامي والمسلمين. فمثلا لفظ "الجهاد" كان يتلخص معناه في تطبيق

---

[1]- سورة الحجرات، الآية: 14.

[2]- مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتور محمد الينبعي، ص: 58.

بعض ما جاء في الإسلام لإعلاء كلمة الحق (الدفاع عن النفس، والدفاع عن الوطن، و الدفاع عن الدين)، أما الآن فيحيل مفهوم الجهاد مباشرة إلى التطرف والإرهاب. فأي خلط وعدم فهم لمصطلحات القرآن من شأنه أن يؤدي إلى تحريف أو زيغ عن مقصد بعض الأحكام والشرائع المعبر عنها بالمصطلحات في النص القرآني، كما يؤكد ذلك الدكتور الشاهد البوشيخي من خلال قوله: "إن الدين مفهوميا خلقة سوية، مضبوطة المكونات والمقاييس والأبعاد، والرتب، وأي تغيير يمس شيئا من ذلك ليس منه، هو تغيير لدين الله، ولخلق الله، ولفطرة الله"[1].

3- مركزية المصطلح القرآني بالنسبة لمصطلحات العلوم؛ فإن المطلع على النص القرآني سيجده لا محالة يكتنز العديد من مصطلحات العلوم الأخرى، ومن ثم فالباحث في مصطلحات القرآن الكريم، يكون دارسا لأصل المصطلحات العلمية التي يحتويها القرآن، وهذا ما تؤكده فريدة زمرد في قولها: "لا يكاد يتبادر إلى الذهن مجال من مجالات العلوم والمعرفة، إلا ونجد له مصطلحات دائرة في النص القرآني، مستعملة فيه بشكل من الأشكال، حاملة لدلالة من الدلالات، سواء كانت من مصطلحات العلوم الشرعية، وتلك لها النصيب الأوفر؛ إذ في القرآن الكريم أصل المصطلح الفقهي، والأصولي، والعقدي، أو تعلق الأمر بمصطلحات العلوم الإنسانية عموما، فلا يخلو القرآن من مصطلحات اللغة والأدب، ولا من مصطلحات التاريخ والاقتصاد والسياسة والاجتماع؛ كما لا يخلو أيضا من مصطلحات العلوم المادية"[2]، وإن الحضور القوي لمصطلحات القرآن الكريم في مختلف العلوم، دليل على أن القرآن مصدر العلم، ومنبع الحكمة والمعرفة.

---

[1]- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، ص: 7-8.

[2]- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 79.

4- كون الدراسة المصطلحية لمفاهيم القرآن الكريم هي مفتاح المفتاح: إن دراسة المصطلحات القرآنية وفق منهج الدراسة المصطلحية؛ سيفضي- لا محالة -إلى تحصيل معاني المفردات، وحل المركبات. وبالتالي فهم الدين واستيعاب كل ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما بالنسبة لمقاصد الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم، فقد ميزت "فريدة زمرد" بين نوعين من المقاصد: المقاصد العلمية والمقاصد العملية[1]:

1- **المقاصد العلمية:** تتمثل أولا؛ في ترسيخ المفاهيم الصحيحة للقرآن الكريم، وفهمها فهما متكاملا، وضبط معانيها ودلالاتها، وتخليصها من اللبس والتحريف وسوء الفهم. وتتمثل ثانيا، في تصحيح المفاهيم الخاطئة، الناتجة عن كثرة النصوص الشارحة والمفسرة؛ التي أفسح بعضها المجال للخلط وسوء الفهم.

2- **المقاصد العملية:** وتتمثل في تطبيق مقتضيات مصطلحات الوحي وإشاعة هذه المصطلحات بين الناس؛ باستعمالها نطقا وخطا، والعمل بمقتضياتها باللسان والقلب والجوارح.

خلاصة القول، أن ترسيخ المفاهيم الصحيحة ليسهم في فهم غايات الوحي الحقيقية، بعيدا عن أي لبس أو غموض، ويمكن من العمل بمقتضياته، وتنزيله في الواقع الملموس. فيمتثل بذلك الإنسان، لأوامر الله تعالى ويجتنب نواهيه.

المطلب الثالث: إشكالات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم.

يعد البحث في المصطلح، كيفما كان، أمرا ليس بالهين، وهذا راجع إلى طبيعة المصطلح وخصوصية المجال الذي ينتمي إليه. ولعل الاهتمام الذي يحظى به منهج

[1]- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 80- 81.

الدراسة المصطلحية، من قبل العلماء والباحثين في جميع مجالات العلم والمعرفة، راجع إلى كونه يراعي -أثناء التطبيق- خصوصية وطبيعة المصطلح والمجال الذي ينتمي إليه، وإذا كان البحث في المصطلح، في أي مجال من المجالات، يثير مجموعة من الإشكالات فإن البحث في مصطلحات القرآن الكريم يبقى أصعب، لكون فهم الأحكام الشرعية رهين بضبط مصطلحات القرآن، ولهذا فإنه يتطلب التسلح بعُدة منهجية وعلمية، كما يتأكد من خلال قول الدكتور الينبعي: "إذ المطلوب من الدارس لها إن يقطر نصوصها تقطيرا ويعصرها تعصيرا حتى يدنو من ثمارها وفواكهها ويسيطر على مفاهيمها ويجليها لنفسه أولا ثم لغيره ثانيا، وليس ذلك أمرا هينا بالنسبة لمصطلح قائله رب المخلوقات، وبيده مفاتيح الملكوت، وواضعه في مكانه من النسق والدين هو الخبير العليم، وقصد منزله على فصحاء العرب هو إعجاز بلغاء العرب وصناع الكلام"[1].

إن وصف مصطلحات القرآن الكريم بعلو شأنها، وقوتها الاصطلاحية، وقداستها وجلالها، يستلزم دراستها داخل السياق الواردة في القرآــن الكريم، مع مراعاة مقتضى حال المخاطب، وأسباب النزول، بدل الاقتصار على معانيها ودلالتها في المعاجم العربية فقط[2]، للنفاذ إلى الأبعاد الدلالية التي تكتنزها هذه المصطلحات. فالنص الذي تنتمي إليه هذه المصطلحات ليس من إبداع الإنسان كأي نسق، بل هو كلام الله الجليل المعظم يستوجب الفهم الدقيق الصحيح. فهذا "النص ليس كمثله نص وإخضاعه لمقتضيات منهج الدراسة المصطلحية يتطلب حذرا شديدا ومراعاة فائقة لخصوصيات هذا النص من جهة، وتنزيلا سليما لقواعد هذا المنهج عليه من جهة ثانية"[3].

---

[1]- مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، دراسة مصطلحية موضوعية، الدكتور محمد الينبعي، ص: 14.

[2]- المرجع نفسه، ص: 62.

[3]- مفهوم التأويل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، الدكتورة فريدة زمرد، ص: 11.

عموما، يمكن القول إن منهج الدراسة المصطلحية يعتبر الأنجع، نظرا لقيمته الموضوعية والمنهجية والمقصدية، الذي يتأسس على مقاربة المصطلح بطريقة علمية دقيقة ومتكاملة تراعي خصوصية وطبيعة المصطلح. الأمر الذي جعل معظم الدارسين يحتكمون في دراسة المصطلحات إلى منهج الدراسة المصطلحية؛ من أجل تحديد معانيها، ومعرفة المعاني والدلالات التي تتخدها في السور، مع مراعاة خصوصياتها أثناء تطبيق قواعد هذا المنهج؛ كخاصية القدسية، وخاصية الإنزال والتنزيل، وخاصية الاكتناز المعرفي.

المبحث الثاني: دلالة لفظ "العقل".

يختزل مفهوم العقل، في مدلوله اللغوي والاصطلاحي دلالات متعددة وتعاريف متقاربة، وقد كانت الفكرة في هذا المبحث هو استخراج المادة اللغوية الاصطلاحية من أجل الكشف الدقيق لمعانيه والفهم العميق لدلالته.

وهذا يتأتى بالرجوع إلى بعض المعاجم اللغوية والاصطلاحية من أجل رصد تعاريف مفهوم العقل.

المطلب الأول: معنى "العقل" في اللغة

تدور مادة (ع ق ل) على المعاني الآتية:

1 – ***الحبس والمنع***:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: " العين والقاف واللام أصل منقاس مطرد يدل عَظْمُه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة من ذلك العقل وهو الحابس عن ذميم القول والفعل "[1]. وبذلك يكون مدار: مادة (عقل) عند ابن فارس على أصل واحد؛ هو الحبس.

وقال ابن منظور: "سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من التورط في المهالك... واعتقل : حبس، وعقله عن حاجته يعقله وتعقله واعتقله: حبسهُ"[2]، وقيل "العاقل هو الذي يحبس نفسه، ويردها عن هواها"[3]، و"اشتقاقه من المنع لمنع صاحبه مما لا يليق"[4]، و"عقل فلان عن حاجته : حبسه عنها"[5].

---

[1] – مقاييس اللغة، مادة (عقل).

[2] – لسان العرب لابن منظور، مادة (عقل).

[3] – لسان العرب لابن منظور، مادة (عقل).

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة (عقل).

[5] – القاموس الفقهي لغة واصطلاحا لسعدي أبي جيب ، مادة (عقل).

2 – ***العلم والفهم***:

جاء في معجم العين: العقل نقيض الجهل وعقل يعقل فهو عاقل، والمعقول ما تعقله في فؤادك. و"يقال: هو ما يفهم من العقل وهو والعقل واحد، كما تقول: عدمت معقولا؛ أي ما يفهم منك من ذهن وعقل"[1].

وقال الزمخشري: "عقل فلان بعد الصبا: أي عرف الخطأ الذي كان عليه"[2].

وجاء في معجم القاموس المحيط أن العقل: "هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين ... والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية"[3].

وجاء في معجم تاج العروس: "العقل هو العلم وعليه اقتصر كثيرون"[4]، وعقل الشيء يعقله عقلا : فهمه[5].

وجاء العقل في المعجم الوسيط بمعنى إدراك الأشياء، فيقال: "عقل يعقل عقلا، أدرك الأشياء على حقيقتها. وعقل غلام: أدرك وميز"[6].

3 – ***ربط البعير وإمساكها***.

قال الفراهيدي: "عقلت البعير عقلا: شددت يده بالعقال أي الرباط"[7].

---

[1] – معجم العين للخليل الفراهيدي، مادة (عقل) .

[2] – أساس البلاغة للزمخشري : كتاب العين، مادة (عقل).

[3] – القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (عقل).

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة (عقل).

[5] – تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، مادة (عقل).

قال قوم : " العقل قوة وغريزة أودعها الله سبحانه عن الإنسان ليتميز بها عن الحيوان بإدراك الأمور النظرية والحق أنه نور روحاني يقذف به في القلب والدماغ، به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية. انظر: "معجم تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (عقل).

[6] – المعجم الوسيط، إصدار: مجمع اللغة العربية، مادة (عقل).

[7] – معجم العين للخليل الفراهيدي مادة (عقل). ونفس التعريف ورد في معجم لسان العرب " عقل البعير يعقله عقلا، وعقله واعتقله: ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا وسط الذراع، وكذلك الناقة، وذلك الحبل هو العقال، والجمع عُقُلٌ ــ وعقلت الإبل من الإبل شددت للكثرة ، مادة (عقل).

جاء في المصباح المنير: العقل هو أن تثني للبعير وظيفه مع ذراعه، فتشدهما جميعا في وسط الذراع وذلك هو العقال[1]. قال الشاعر:

قَــدْ عَقَلْنَــا وَالْعَقْــلُ أَيٌّ وِثَــــاق وَصَــبَرْنَا وَالصَّــبْرُ مُــرٌّ الْمَــذَاق[2]

4 – ***الديــة***:

قال الفراهيدي: "عقلت القتيل عقلا : أي وديته ديته من القرابة"[3].

وقال ابن منظور : " والعقل : الدية. وعقل القتيل يعقله عقلا، وداه: وعقل عنه أدى جنايته، وذلك إذا لزمته؛ دية فأعطاها عنه"[4]. قال الشاعر:

فإن كان عَقْلٌ فــاعْقِلا عــن أَخيكُمَــا بَنَاتِ المَخَاضِ وَالفِصَالَ المَقَاحِمَا[5]

وقال الأصمعي: "سميت الدية عقلا تسمية بالمصدر؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء القتيل ثم كثر الاستعمال حتى أطلق العقل على الدية إبلا كانت أو نقدا" [6].

وهناك دلالات أخرى لمفهوم العقل في اللغة نجملها في ما يلي:

العقل: – " الحِجْرُ وَالنهى". [7]

---

[1] – المصباح المنير للفيومي، مادة (عقل) .

[2] – بيت لابن دانيال الموصلي الكحال من كتاب: المختار من شعر ابن دانيال، ص: 334.

[3] – معجم العين للخليل الفراهيدي، مادة (عقل).

[4] – لسان العرب لابن منظور، مادة (عقل).

[5] – البيت بلا نسبة من البحر الطويل ورد في معجم لسان العرب، مادة (عقل).

[6] – المصباح المنير للفيومي، مادة (عقل).

* قال الأزهري: والعقل في كلام العرب الدية، سميت عقلا؛ لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلا؛ لأنها كانت أموالهم فسميت الدية عقلا؛ لأن القاتل كان يكلف أن يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال، أعقله، عقلا، وهو حبل تثني به يد البعير إلى ركبتيه فَتُشجبه"، معجم لسان العرب، مادة (عقل).

[7] – الصحاح للجوهري، مادة (عقل).

– المخصص لابن سيده، مادة (عقل).

– مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة (عقل).

- " التثبت في الأمور".[1]

-" الحصن والملجأ". [2]

- " اللب والحلم" .[3]

يمكن أن نستشف من خلال هذه التعاريف أن مفهوم العقل يكتسي معاني لغوية كثيرة ومختلفة، وهذا ما يُكسبه غنى في استعمالاته اللغوية.

المطلب الثاني: معنى العقل في الاصطلاح.

وردت في المعاجم الاصطلاحية تعريفات لمفهوم "العقل"، منها ما يختلف عن تعاريف المعاجم اللغوية، ومنها ما يرتبط بها.

نجد مفهوم العقل عند الكفوي في كلياته، محددا بمجموعة من التعاريف التي لها صلة في الأساس بمعنى العلم والإدراك:

- " العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها.
- العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، ويطلق لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن.
- والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية، والنظرية، وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ"[4]. البلوغ"[4].

قال الأصفهاني في تعريفه للعقل: "العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول للعلم. ويقال

---

[1] – لسان العرب لابن منظور، مادة (عقل)

[2] – العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (عقل)

– القاموس المحيط، الفيروزآباذي، مادة (عقل).

– تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،مادة (عقل).

[3] – المخصص لابن سيده، مادة (عقل).

[4] – الكليات لأبي البقاء الكفوي، مادة (عقل).

للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل".[1].

وعرف الجرجاني "العقل" بمعنى ربط البهيمة في قوله: "العقل مأخوذ من عقال البهيمة يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل"[2].

وجاء في المفردات أصل العقل: "الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه كفه ومنه قيل للحصن معقل جمعه معاقل باعتبار عقل البعير، قيل عقلت المقتول: أعطيت ديته، وقيل أن تعقل الإبل بفناء ولي الدم"[3].

فالعقل هو:"جوهر مجرد عن ذاته وفعله وهو مرتبط بالتأثير وليس بالتدبير والتصرف"[4] ، به تعقل حقائق الأشياء. وقد قيل محله الرأس وقيل محله القلب [5]. ويقال: "النفس والعقل والذهن واحد؛ إلا أنها سميت عقلا لكونها مدركة؛ وسميت نفسا لكونها متصرفة؛ وسميت ذهنا لكونها مستعدة للإدراك"[6].

ولهذا العقل مراتب أربع: العقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل والعقل المستفاد[7].

---

[1] – مفردات غريب القرآن للأصفهاني، مادة (عقل) .
واستشهد في هذا التعريف بقول أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه(الأبيات من بحر الهجز)، ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ص:121:

رَأَيتُ العَـقْـــلَ عَقْـلَيْنِ فَمَطْـبُوعٌ وَمَسْـمُـوعُ
وَلَا يَنْفَـــعُ مَسْـمُـوعٌ إِذَا لَـمْ يَكُ مَطْبُـــوعُ
كَمَا لا تَنْفَعُ الشَّمْـــــسُ وَضَوْءُ الْعَيْـنِ مَمْنُوعُ

[2] – التعريفات للجرجاني، مادة (عقل).
[3] – مفردات غريب القرآن للأصفهاني، مادة (عقل).
[4] – "ومنها موجود ممكن ليس جسما ولا حالا فيه ولا جزءا منه ، بل هو جوهر في ذاته مستغن في فاعليته عن آلات جسمانية ، وبعبارة أخرى هو الجوهر المجرد في ذاته وفعله ، أي لا يكون جسما ولا جسمانيا، ولا يتوقف أفعاله على تعلقه بجسم. وبعبارة أخرى هو جوهر غير متعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف" انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، مادة (عقل).
[5] – التعريفات للجرجاني، مادة (عقل).
[6] – المصدر نفسه، مادة (عقل).
[7] – العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات، وهي قوة محضة خالية عن الفعل كما للأطفال.
– العقل بالملكة: هو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات، وهو مناط التكليف.

خلاصـــة :

من خلال التعريفات المقدمة في المعاجم الاصطلاحية لمفهوم العقل نجد أن هذا الأخير استند في عمقه المفاهيمي على معان مختلفة ومتعددة؛ بحيث عرف "العقل" بالعلم والإدراك، وجُعل أداة للتمييز والمعرفة. وعلى هذا الأساس، فإن العقل في تحديده المعجمي، يرتبط بمجموعة من المعاني، يمكن إجمالها على النحو الآتي: العقل بمعنى العلم، العقل وارتباطه بالعلوم الضرورية والنظرية، العلم والغريزة المدركة. كما ورد مفهوم "العقل" في المعاجم اللغوية بشكل يغاير تعاريف المعاجم الاصطلاحية في بعض منها، والبعض الآخر يرتبط بها وبتفسيراتها، إذ يمكن اختزال التحديدات اللغوية التي فسرت العقل بمعنى (الحبس، والمنع، والإدراك، والفهم، وربط البعير وإمساكها، والدية).

انطلاقا من هذه التحديدات اللغوية والاصطلاحية لمفهوم "العقل" نجد أن هذا الأخير في عمقه الدلالي يقصد به الأداة التي بواسطتها يتم تحصيل الحقائق والمعارف والعلوم، إلا أنه لا يمكن أن نجزم القول بأن للعقل الوظيفة المطلقة لتحصيل تلك المعاني بكل تجلياتها و أبعادها، وإنما للعقل حدود مسطرة يقف عندها ولا يتعداها، فهي أمور تفوق إدراكاته.

وبناء على ذلك، يمكن تعريف العقل بأنه ملكة إدراكية مميزة مانعة، تجتمع فيها كل العلوم الضرورية التي أودعها الخالق عز وجل في الإنسان، ليميزه عن باقي المخلوقات، كذا العلوم النظرية المكتسبة عن طريق النظر والاستدلال.

ويمكن تفكيك هذا التعريف إلى ما يلي:

– العقل بالفعل: هو ملكة استنباط النظريات من الضروريات .

– العقل المستفاد: هو أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه. انظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي، مادة (عقل).

ملكـــة: غريزة / قوة / نفحة ربانية، أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان التي تميزه عن الحيوان.

الإدراك: عملية عقلية يتم بواسطتها تمثل المعاني والأشياء، ومعرفة العالم الخارجي من خلال تحليل وتأويل المنبهات والمؤشرات التي تستقبلها الحواس.

المانعة: تمنع صاحب العقل من الوقوع أوالتورط في المهالك والمحظورات والمخاطر.

العلوم الضرورية: هي العلوم التي يشترك فيها جميع العقلاء، والتي لا يمكن التشكيك فيها؛ كوجود الإنسان...

العلوم النظرية: وهي التي تحصل وتكسب بالنظر، والاستدلال، والعمل بالعلم.

خطاطة تبين ما تم التوصل إليه في هذا المبحث:

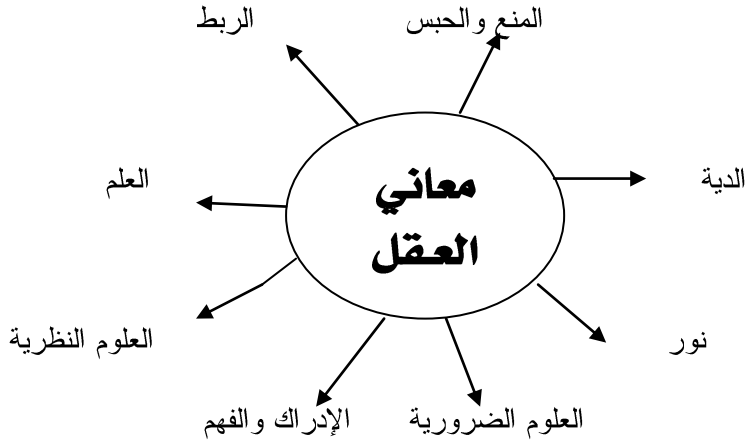

المطلب الثالث: مفهوم العقل في القرآن الكريم.

من المعلوم لِأُولي النُهى والعقول أن القرآن الكريم آية الله الخالدة في كل العصور والأزمنة، المشتملة على أبلغ العبر، وأحكم الحكم، والمتضمنة لأسس التشريع التي تضمن حقوق الناس، وتصون كرامتهم، وتنظم حياتهم، وتضبط سلوكهم، وذلك لتحقق العيش الهنيء للأفراد والجماعات.

وقد أورد الله عز وجل في القرآن الكريم أحكاما وقصصا ومواعظ تنير القلوب، وتزكي النفوس، وترشد العقول إلى الطريق السديد القويم مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[1]، وهذه النعم لا تدرك إلا بإعمال العقل وتحكيمه.

ورد مصطلح "العقل" في القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة بالصيغ الفعلية التالية: عقلوه، تعقلون، يعقلون، نعقل، ويعقلها ولم يرد بصيغ اسمية أو بالمصدر بتاتا؛ وذلك بهدف الترغيب والحث على إعماله أحيانا كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَاْكُلُوا۟ مِم بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَوْأَخَوَٰتِكُمْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَاْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[2] وقوله : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[3]، وقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

كما ورد العقل بهدف العتاب على إغفاله أحيانا أخرى كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا

[1]– سورة يونس، الآية: 57.

[2]– سورة النور، الآية: 59.

[3]– سورة البقرة ، الآية: 72.

[4]– سورة يوسف، الآية: 2.

تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾[3]، وقد ميز الخالق عز وجل الإنسان، وفضله على سائر المخلوقات بواسطة هذه النعمة؛ التي بها يدرك الإنسان معاني القرآن الجليلة، وحقائق الكون، وحقيقة المخلوقات نفسه ومحيطه:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4] .

وقد ورد مصطلح العقل في القرآن الكريم بمعان عدة تشمل الإدراك والفهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5]. فلفظ "عقلوه" هنا تعني أن اليهود كانت تفهم وتدرك معاني القرآن ولكنها تصر على تحريفه وتغيير دلالات آياته[(6)].

---

[1]– سورة الأنعام، الآية: 33.

[2]– سورة الأعراف، الآية: 169.

[3]– سورة الأنفال، الآية: 22.

[4]– سورة الإسراء، الآية: 70.

[5]– سورة البقرة، الآية: 74.

[6] – "لما ذكر تعالى عناد اليهود، وعدم امتثالهم لأوامر الله تعالى ومجادلتهم للأنبياء الكرام وعدم الانقياد والإذعان، عقب ذلك بذكر بعض القبائح والجرائم التي ارتكبوها كتحريف كلام الله تعالى، وادعائهم بأنهم أحباب الله، وأن النار لن تمسهم إلا بضعة أيام قليلة، إلى آخر ما هم عليه من أماني كاذبة، ورثوها عن آبائهم وأجدادهم". انظر صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج:1، ص: 70.

وكذلك الآية: ﴿ أَتَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]؛ بحيث كانت اليهود تأمر الناس باتباع أوامر الدين الإسلامي، ولا يمتثلون هم لذلك[2]، غير آبهين ولا مدركين لشنيع صنعهم.

كما وفي الآية: ﴿هُوَ ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. فقد شاء الله تعالى أن يجعل في الأرض خليفة؛ فخلق الإنسان من طين من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ليسكن إليها، ثم جعل نفسه من ماء مهين ليخرج من بطن أمه[4]، ثم ليصل إلى مرحلة الشيخوخة إلى أن ينقضي أجله، فالآية تستعرض قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان، التي تعتبر من أعظم آيات الخلق، ومن واجب المخلوق أن يعقل ويدرك ويتفكر في حقيقة نشأته وتكوينه وهدفه في هذه الحياة.

ومن معاني العقل في القرآن التمييز بين الحق والباطل وبين الحسن والقبيح، كما في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[5] ، فالآية الكريمة

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 43.

[2] – أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، عبد الفتاح عبد الغني ، ص: 13.

– أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص: 15.

[3]– سورة غافر، الآية: 67.

[4] – آيات الرحمان في خلق الإنسان، صلاح الآجاوي، ص: 19.

[5]– سورة البقرة، الآيتان: 169 – 170.

تدعو إلى الابتعاد التقليد والتبعية لعقائد الأجداد والأسلاف السابقة فهي دعوة إلى التمييز بين تقاليد وأعراف الجاهلية المتجلية في عبادة الأصنام التي لا تمت للمنطق والعقل بصلة، وبين ما أنزل الله سبحانه وتعالى من أحكام وتشريعات وأصول العقيدة المتمثلة في الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب وباليوم الآخر. فالحق سبحانه وتعالى دعا إلى الابتعاد عن ما كانت عليه الأمم السابقة المنفي عنها صفة الاهتداء والتعقل، واتباع الحق الذي جاء ليحارب هذه التقاليد، ويحرر الإنسان من أمرها طبقا لقرار العقل، ويرقى به طبقا لما يرتضيه المنطق.

ومن معاني العقل في القرآن الكريم كذلك معنى التدبر والتفكر، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى: ﴿فُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]. بمعنى أن الرسول يتلو القرآن بإرادة الله ومشيئته، وليس كما يزعم الكفار أنه من عند الرسول، وإلا كان تلاه عليهم منذ زمن طويل، فلو كانوا يتدبرون ويتفكرون في آيات الله العظيمة لتبينوا من جزالة لفظه، وعمق معناه، ومن القضايا والحقائق التي يكتنزها، وأن مثل ذلك الكتاب لا يمكن أن يكون من صنع مخلوق، وإنما هو من عند الخالق عز وجل.

الحاصل، من خلال استقرائنا هذه الآيات، أن العقل تلك الملكة الإلهية، المودعة في كيان الإنسان، تمكنه من القيام بمجموعة من العمليات؛ كالفهم والإدراك؛ والتفكر والتدبر. وقد أولاها النص القرآني عناية خاصة، لأن عليها يتوقف فهم الوحي والعمل بمقتضياته، كما أن بها ترتهن سعادة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة.

[1]– سورة يونس، الآية: 16.

وسنحاول، في المبحث الموالي المتعلق بمفهوم العقل في اصطلاح المفسرين، تسليط الضوء أكثر على دلالات هذا اللفظ في السياق القرآني؛ للوقوف على المعاني التي خصها أهل التفسير للفظ العقل.

خطاطة تبين ما تم التوصل إليه في هذا المبحث:

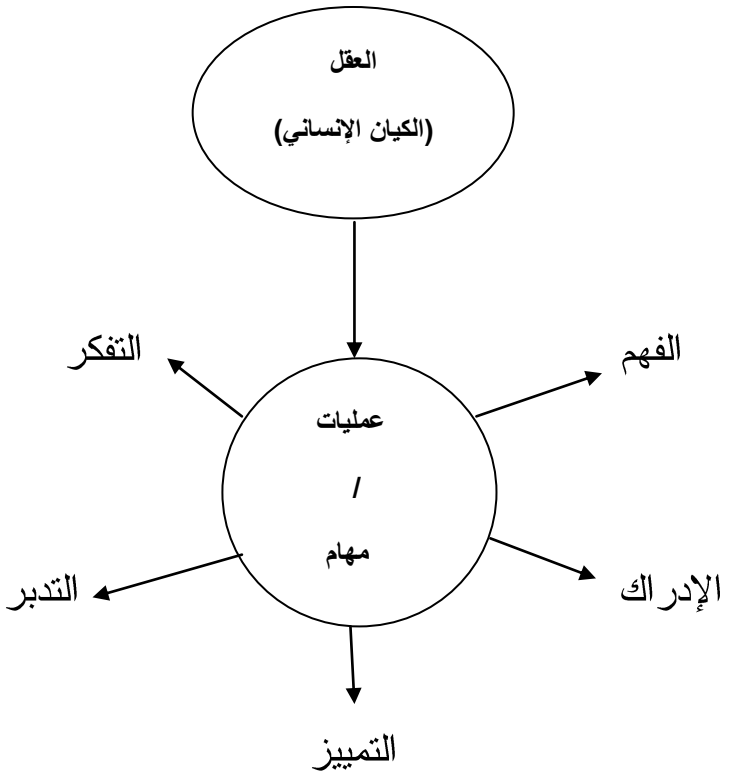

المطلب الرابع: معنى العقل في اصطلاح المفسرين.

استثمرت الدراسات الإسلامية علومها وقوانينها؛ المستمدة من الكتاب والسنة، لتسطر مناهج علمية عميقة، وقد كان موضوع المصطلحات القرآنية من أهم الدراسات التي بحث في أغوارها المفسرون، ومنها لفظ "العقل" التي قدمت له بعض التفسيرات؛ حيث كانت للفظ "العقل" دلالات مختلفة تحددها سياقاته داخل النص القرآني، فقد تناولت مجموعة من الآيات الكريمة صيغة "العقل" باعتبار هذا الأخير ملكة يتميز بها الإنسان من سائر المخلوقات، وباعتبار الوحي موجها بالأساس إلى العقل. وهكذا، فإن وُرود "العقل" في القرآن الكريم، باشتقاقات متعددة كان لغرض إظهار الخاصية الجوهرية التي يمتلكها الإنسان، المتمثلة في العقل والإدراك. وعلى هذا الأساس، سنحاول في هذا المطلب بحول الله رصد تعريفات العقل عند المفسرين من خلال تفسيراتهم للآيات الوارد فيها مصطلح العقل، من أجل إجمال فهوم المفسرين لهذا المصطلح.

وعليه، سيتم جرد المعاني التي خصصها أهل التفسير للفظ "العقل" الوارد في الآيات الكريمة من خلال الجدول التالي:

1 – **التفكر والتدبـــر :**

الآيات القرآنية	التفسيـــــــر
قوله تعالى: ﴿وَبِالْيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [1]	فسر لفظ العقل بمعنى التدبر والتفكر، في كثير من تفاسير المفسرين، يقول الطبري: "أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون"[2]. وأورد الطبري في تفسير هذه الآية قول ابن زيد: (أفلا تعقلون)، قال: [أفلا تتفكرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم] [3]. والتفسير نفسه أورده القرطبي لعبارة "أفلا تعقلون" يقول: "أفلا تعقلون"، أي " تعتبرون وتتدبرون"[4]. تتمثل تجليات إعمال العقل في الآية الكريمة في التفكر في قصة قوم لوط، وما آلت إليه أوضاعهم، بحيث إنهم كذبوا بالرسل، وما أنزل عليهم، فألحق الله عز وجل بهم أشد العقاب جزاء لهم بما كفروا.
قوله تعالى: (أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ	يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر الغليظ الذي

[1] – سورة الصافات، الآية: 138.

[2] – جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، م 10، ص: 525.

[3] – المصدر نفسه، ص: 525.

[4] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج:15، ص:121.

تَعْقِلُونَ)[1]	لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر؛ فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها"[2]. وقال الألوسي: "أفلا تعقلون": "أي لا تتفكرون، فلا تعقلون قبح صنيعكم"[3]. فالتوبيخ في الآية عن عدم إعمال العقل الذي يتجلى في عبادتهم للأصنام التي لا تنفع في شيء، وعدم إدراكهم حجم الضلال الذي هم فيه.
قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً وَلاَ تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[4]	جاء في تفسير الجلالين: "تعقلون" بمعنى تتدبرون [5]. استخدمت صيغة "تعقلون" للدعوة ضمنا إلى تدبر الآية الكريمة التي خاطب بها الله نبيه وأمره بأن يبين للناس ما حرم من المأكل والمشرب والأقوال والأفعال، المتلخصة في عدم الشرك به، والإحسان بالوالدين، وعدم قتل النفس بدون وجه حق، وعدم الاقتراب من المعاصي والذنوب الظاهرة والخفية معا. هذه وصايا الخالق عز وجل الموجهة لذوي العقول المتدبرة في أحكامه وشرائعه تعالى.

[1] – سورة الأنبياء، الآية: 66.
[2] – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج : 5 ، ص : 351.
[3] – روح المعاني، للألوسي ، م9 ، ج 17 ، ص : 67.
[4] – سورة الأنعام، الآية: 152.
[5] – تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ج : 8 ،ص : 149.

قوله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَالاَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].	وردت صيغة "يعقلون"، في تفسير الجلالين بمعنى التدبر[2] في النعم التي سخرها عز وجل لخدمة الإنسان ومنفعته، والمتجلية في الثمرات والأنعام والكرم . وورد التفسير نفسه عند الصابوني في قوله:" إن في ذلك آية لقوم "يعقلون": "أي الآية باهرة، ودلالة قاهرة على وحدانيته، سبحانه وتعالى لقوم يتدبرون بعقولهم"[3]، فلفظ "يعقلون" –يدل في هذه الآية –على التدبر في نعم الله عز وجل، وفي رحمته الربانية، التي تشمل عباده المتعقلين المتدبرين في كل ما يسر لهم من الطيبات والخيرات.
قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4]	تبين الآية الأشياء العظيمة التي سخرها الله عز وجل لعباده لينتفعوا منها، فقد سخر لهم الليل ليسكنوا إليه ويرتاحوا وسخر لهم النهار ليحققوا منافع دينهم ودنياهم، وسخر لهم الشمس والقمر للنور، ومنفعة للنبات والإنسان، ثم سخر النجوم زينة السماء، ولمعرفة الوقت... كل هذه الأشياء العجيبة دليل على قدرة الله وعظمته في الخلق. ورسالة الآية هي ضرورة إعمال العقل، والتدبر والتفكر في ملكوت الله.

[1] – سورة النحل، الآية: 67.

[2] – تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ج : 14، ص : 274.

[3] – صفوة التفاسير، علي الصابوني، المجلد 2، ص: 133.

[4] – سورة النحل، الآية: 12.

	وهذا ما أشار إليه الألوسي حيث قال: "وجُوِّزَ أن يكون المراد " لقوم يعقلون" ذلك والمشار إليه نهاية تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير الذي لا يتصدى لمعرفتها إلا المهرة. الذين لهم نهاية الإدراك من أساطين، وعلماء الحكمة. وحينئذ قطع الآية بقوله سبحانه وتعالى هنا: "يعقلون" للإشارة إلى احتياج ذلك إلى التفكر أكثر من غيره"[1]
قوله تعالى : (وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[2]	تفيد لفظة "يعقلون" في هذه الآية الكريمة معنى التفكر والتدبر فيما ألحقه الله عز وجل من العذاب بقرية ظالم أهلها؛ فكانت الدعوة هنا صريحة إلى أخذ الموعظة والاستبصار بعين العقل. يقول الصابوني في هذا الصدد: " ولقد تركنا منها آية بينة": لقد تركنا من هذه القرية علامة بينة واضحة، هي آثار منازلهم الخربة "لقوم يعقلون": "لقوم يتفكرون ويتدبرون؛ ويستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار"[3].
قوله تعالى : (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ	الاستدلال التفسيري؛ الذي تقوم عليه هذه الآية الكريمة؛ هو ضرورة إعمال العقل في ملكوت الله وعظمته؛ بمعنى التدبر والتفكر في قدرته عز وجل في خلق البرق المخيف بصواعقه الكهربائية

[1] ــ روح المعاني، للألوسي، ج: 7، ج 14، ص: 110.

[2] ــ سورة العنكبوت، الآية: 35.

[3] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، م2، ص: 460

﴿ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[1]	الخطيرة، وكذلك في إنزال الغيث لإحياء الأرض بعد موتها وجعلها زاخرة خضراء بالنبات بعدما كانت قاحلة، وهذه عبرة لقوم يتفكرون في عظمته ووحدانيته في الخلق، كما يقول الصابوني "إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون": "أي إن في ذلك المذكور عبرا وعظات لقوم يتدبرون بعقولهم آلاء الله"[2].
قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾[3]	يظهر، من خلال تمعننا في الآية الكريمة: أنه لابد من إعمال العقل المتمثل في التدبر والتفكر في الأمثال التي ضربها الله عز وجل للناس، كالمثل الذي ضربه للمشركين من أنفسهم بأنهم لن يرضوا أن يشاركوا عبيدهم في مالهم ورزقهم، ويكونوا على حد سواء؛ فيرثونهم بعد مماتهم، فكيف يجعلون آلهتهم شريكة لله تعالى في العبادة بعد هذا. وعلى هذا الأساس، يقول الصابوني: "كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون"؛ "أي ذلك البيان الواضح، نبين الآيات لقوم يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال"[4] المضروبة للناس.

يتضح من خلال هذه الآيات الكريمة، التي تضمنت مفهوم العقل بمعنى التدبر والتفكر، أن معظمها يستعرض عظمته سبحانه وتعالى، وقدرته العجيبة على الخلق والصنع؛ فالمتدبر في ملكوت الله يقف منبهرا أمام هذا الانسجام والتماسك، والتوازن

---

[1] ــ سورة الروم، الآية: 23.

[2] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، م 2، ص: 476.

[3] ــ سورة الروم، الآية: 28.

[4] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، م: 2، ص: 477.

الرباني في الكون، الذي نسج بمنتهى الإتقان والحكمة، والمسخر لخدمة الإنسان ومصلحته. وللوصول إلى هذه العظمة الخارقة، لا مناص الوقوف وقفة تدبر وتأمل وتفكر عند هذا الصنع الإلهي منقطع النظير.

2 ــ **الفهــم والإدراك :**

الآيـــــات	التفسيـــــــر
قوله تعالى:(**أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)[1]	ابتدأت الآية الكريمة بهمزة الاستفهام لتوبيخ اليهود الذين يأمرون الناس بتقوى الله، ويجحدون هم بآياته، وهذا راجع إلى عدم إعمالهم عقولهم أثناء قيامهم بهذا الفعل الشنيع، فغاية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توجيه الناس إلى ما يرتضيه الدين، والالتزام به أولا واجب، قبل إسدائه إلى الآخر، وليس العكس؛ فإقدامهم على أفعال ينهون هم عنها راجع إلى عدم إدراكهم لسوء ما يقومون به. بخصوص هذا، جاء في جامع البيان: "قال أبو جعفر يعني بقوله: (أفلا تعقلون)، أفلا تفقهون وتفهمون قبح ما تأتون من معصيتهم ربكم التي تأمرون الناس بخلافها "[2]. فالعقل هنا ورد بمعنى الفهم؛ إذ يجب على الناصح أو الواعظ أن يكون على فهم وعلم بفعله وقوله قبل أن يسدي نصائحه للآخر.

[1] ــ سورة البقرة، الآية: 43.

[2] ــ جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، م1، ج1، ص: 198.

قال تعالى : (لَّيْس عَلَى ٱلاَعْمىٰ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلاَعْرَجِ حَرَجٌ .....لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ)[1]	جاءت هنا الدعوة إلى التعقل بمعنى فهم ما ذكر الله تعالى في الآية من الأحكام والشرائع والآداب التي على العبد أن يمتثل لها، و رفع الحرج عن ذوي الأعذار، "عن الأعمال التي لا يستطيعون القيام بها، كما بين أدب الأكل والمعاملة مع الناس حتى يسود بينهم الود، والاحترام والرحمة، فالمعنى الدلالي الذي جاء به مفهوم العقل في هذه الآية الكريمة يفيد معنى الفهم. يقول الرازي (لعلكم تعقلون): لتفهموا على الله أمره ونهيه [2].
قوله تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنَ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ، أَكْبَر قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلاَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)[3]	من التفسيرات التي قدمت لعبارة (إن كنتم تعقلون) ما أورده الرازي في تفسير قائلا: "أي: من أهل العقل والفهم والدراية وقيل: "إن كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي"[4] . فالآية تحث على فهم مواعظ الله، وأمره بعدم اتخاذ غير المسلمين أصدقاء لهم وائتمانهم لأمرائهم حتى لا يتمكنوا من إلحاق الضرر بهم.

[1] ــ سورة النور، الآية: 59.

[2] ــ التفسير الكبير، للرازي، ج: 24، ص: 33 ــ 34.

[3] ــ سورة آل عمران، الآية: 118.

[4] ــ التفسير الكبير للرازي، ج 8، ص: 215.

قوله تعالى:(وَتِلْكَ ٱلأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَٰلِمُونَ)[1]	تشير الآية الكريمة إلى أن فعل "يعقلها" يفيد الفهم والإدراك، أي أن الله عز وجل ضرب مثل بيت العنكبوت بالمشركين الذين يعبدون الأوتان والأصنام، وأن ذلك البيت هو أوهن البيوت، فالغاية هنا دعوته عز وجل إلى إدراك تلك الأمثال والتشبيهات والكشف عن حقائقها وأسرارها التي تكتنزها، وهذه الخاصية يتميز بها العالمون فقط. يقول الرازي: " (لا يعقلها إلا العالمون)، يعني هو ضرب للناس أمثالا وحقيقتها وما فيها من الفوائد بأسرها فلا يدركها إلا العالمون"[2]. ويقول القرطبي: "(يعقلها): أي يفهمها (إلا العالمون): أي العالمون بالله" [3].
قوله تعالى :(وَمِنْهُم مَّن يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ)[4]	يقول أبو حيان الأندلسي: "والمعنى من يستمعون إليك إذ قرأت القرآن وعملت الشرائع، ثم نفى جدوى ذلك الاستماع بقوله: ما تلقيه إليهم، ليس لهم وعي به ولا قبول، ولا سيما قد انضاف إلى الصمم انتفاء العقل، فحري بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له إدراك

[1] ــ سورة العنكبوت، الآية: 43.

[2] ــ التفسير الكبير، للرازي: ج: 13، ص: 62.

[3] ــ الجامع لأحكام القرآن القرطبي، م13، ج 13، ص: 346.

[4] ــ سورة يونس، الآية: 42.

	لشيء البتة، بخلاف أن لو كان الأصم عاقلا فإنه بعقله يهتدي إلى أشياء"[1]. إن وضع فعل التعقل في الآية يفيد معنى فهم رسالته عز وجل، وهذا ما لا ينطبق على بعض الفئات التي شبهت في الآية بالصم، الذين لم يفهموا الكلام لأن في قلوبهم غشاوة تمنع الوصول إلى المعنى والاستيعاب.
قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَهْتَدُونَ)[2]	جاءت صيغة (تعقلون) في هذه الآية الكريمة، بمعنى يفهمون، وقد جاءت بالنفي، حيث وجه عز وجل الخطاب للكفار الذين تعنتوا وأصروا على تقليد آبائهم في عبادة الأصنام والأوتان، لذلك نفيت عنهم صفة العقل والفهم والهداية، يقول ابن كثير في هذا الصدد: "(لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)، أي : ليس لهم فهم ولا هداية" [3].
قوله تعالى : (وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلذِے يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً	تُشبه الآية الكريمة الذين كفروا بالبهائم التي تسمع الأصوات ولا تعيها ولا تفهمها. وبخصوص معنى الآية جاء في تفسير الجلالين: "(كمثل الذي ينعق): أي صوتا لا يفهم معناه أي في

[1] ــ البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج 5، ص: 161 ــ 162.

[2] ــ سورة البقرة، الآية: 169.

[3] ــ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج: 1، ص:480.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)[1]	سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم (صم بكم عمي) (لا يعقلون) الموعظة"[2].
قوله تعالى:(وَهُوَ ٱلذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3]	معنى الآية الكريمة أن من يملك القدرة على إحياء الموتى بعد فنائهم كيفما شاء ومتى شاء، وسخر لخلقه تعاقب الليل والنهار فلا يدرك الليل النهار ولا يدرك النهار الليل، وهذه القدرة الربانية تستدعي حسن الفهم وعمق الإدراك في بديع صنعه، ودلائل قدرته. يقول علي الصابوني: "(أفلا تعقلون) أي: أفليس لكم عقول تدركون بها دلائل قدرته وآثار قهره، فتعلمون أن من قدر على ذلك ابتداء، قادر على إعادة الخلق بعد الفناء"[4].

يتضح، من خلال ما سبق، أن هذه الآيات الكريمة اختزلت في عمقها الدلالي مفهوم العقل بمعنى الفهم والإدراك، بحيث كانت تلك الآيات بمثابة دعوةإلى فهم أحكام الله سبحانه وتعالى وشرائعه، وأخذ العبرة والحكمة من الأمثال وقصص الأنبياء، والرسل، والاقتداء بهم، وبقصص الأمم السابقة، وما نالوه من هلاك وعقاب بسبب كفرهم وطغيانهم، وعدم إعمال ملكة العقل التي أودعها الله سبحانه وتعالى للإنسان وميزه بها عن باقي المخلوقات، لتميز بين الحق والباطل، والحلال والحرام. فتلك الآيات كانت بمثابة دعوة صريحة إلى توحيده عز وجل، والإيمان بكتبه ورسله، وعدم الإشراك به. والقول المفيد في هذه الأحكام والقصص والمواعظ المنزلة في كتابه

[1] ــ سورة البقرة، الآية: 170.

[2] ــ تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، ج 2، ص: 26.

[3] ــ سورة المؤمنون، الآية:81.

[4] – صفوة التفاسير لعلي الصابوني، م:2، ص: 317.

المبين تستلزم بداهة العقل، وسلامة الفهم قصد الامتثال لأوامره تعالى واجتناب نواهيه.

3 ــ **الحبس والمنع :**

الآيـــــات	التفسيـــــــر
قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]	ذهب بعض المفسرين بتفسير "(لعلكم تعقلون) بالمنع أو الامتناع عن الكفر بالله وعصيانه، حيث تحدى الله المشركين اليهود الذي يستهزئون بآيات الله تعالى، فأمرهم بذبح بقرة ذات أوصاف محددة، وبضرب القتيل بأجزاء منها حتى يريهم معجزته على إحياء الموتى، إلا أن عقولهم المتحجرة بالكفر لم تمنعهم ولم تحبسهم عن التمادي في الكفر والعصيان أمام معجزاته الخارقة. يقول القرطبي في تفسيره: " (لعلكم تعقلون) بـــ: أي تمتنعون عن عصيانه، وعقلت تعني: أي منعتها منه "[2]، ويقول أيضا الأندلسي: (لعلكم تعقلون)، بالامتناع عن العصيان والعلم على قضية العقول"[3].
قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ	يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: "(فلا تعقلون" يقول: أفليس لهؤلاء الذين اعتاضوا عما عندي بعرض الدنيا عقل، يردعهم عما هم فيه

[1] ــ سورة البقرة، الآية: 72.
[2] ــ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م1، ج 1، ص : 452.
[3] – البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ج 1، ص :425.

هَـٰذَا ٱلأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَّأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ ٱلآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[1]	من السفه والتبدير"[2]. والراجح في تفسير هذه الآية أن العقل المنفي عن الفئة التي تحدث عنها الخالق عز وجل، هو العقل المانع الحابس عن ذميم الأفعال، حيث الآية الكريمة توجه رسالة ربانية صريحة في ما قد أورثه الله من كلامه جيلا بعد جيل، إلا أنهم لم يمتنعوا عن المعصية طامعين في رحمته وغفرانه، متمادين في طغيانهم رغم معرفتهم بالوعيد الذي ينتظرهم، وتبين الآية في الأخير منزلة الدار الآخرة الرفيعة للمتقين الذين لهم عقول تمنعهم من عصيانه، وتجاوز أوامره.
قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْئاً وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[3]	ذهب بعض المفسرين إلى تفسير صيغة (تعقلون) بمعنى تتدبرون، وذهب الألوسي إلى القول: "يعقلون بمعنى يستعملون عقولهم التي تعقل النفوس وتحسبها عن مباشرة القبائح المحرمة"[4]، والمقصود بالعقل هنا العقل الذي يمنع صاحبه من الخوض فيما حرم الله من مأكل ومشرب، وأفعال وأقوال.

[1] ــ سورة الأعراف، الآية:169.

[2] ــ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3، ص: 499.

[3] ــ سورة الأنعام، الآية:152.

[4] ــ روح المعاني، الألوسي، م: 4،ج: 8، ص: 55.

قال تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[1]	تبين الآية الكريمة درجة النفاق التي وصل إليها اليهود حيث يدعون أمام أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانهم وتصديقهم لما جاء به الوحي، وإذا ما انفردوا ببعضهم البعض وبخوا بعضهم لإخبارهم المؤمنين بما فتح الله عليه حتى لا تكون حجة للمؤمنين عليهم. جاء في تفسير هذه الآية :(أفلا تعقلون) "أي: أفليست لكم عقول تمنعكم من أن تحدثونهم بما يكون لكم فيه حجة عليهم، والقائلون ذلك هم اليهود لمن نافق منه"[2].

جاء مفهوم العقل في تفاسير المفسرين لهذه الآيات الكريمة بمعنى الحبس والمنع، وهذا معناه الأصلي في اللغة. فخاصةُ العقل هنا كبح وحبس النفس ومقاومتها على ارتكاب المعاصي، وهذا بمثابة توجيه الخالق عز وجل في آياته الإنسان نحو التفكير العقلي السليم، والسلوك الصحيح، ودرء النفس الأمارة بالسوء، ولذلك جاءت صيغة "التعقل" بالنفي في بعض الآيات للذين أغفلوا هذه الملكة، ووجهوها لغير ما خلقت لأجله.

[1] ــ سورة البقرة، الآية: 75.
[2] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، ج1، ص: 71.

5 ــ العلـــــم :

الآيـــــات	التفسيـــــــر
قوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[1]	وُجهت الآية الكريمة للذين ينتظرون إسلام اليهود، ودخولهم في دين الله، وهم بدلوه بالتوراة من بعد علمهم ووعيهم بما جاء به، ومعنى عقلوه هنا الفهم والعلم[2]. قال الرازي:"من بعد ما عقلوه" بأنهم علموا بصحته وفساد ما خلقوه معاندين مقدمين على ذلك بالعمد"[3]. والمعنى نفسه وارد عند القرطبي الذي فسر العقل هنا بالعلم والمعرفة، "أي عرفوه وعلموه وهذا توبيخ لهم"[4]. الاستناد التفسيري الذي تقف عليه هذه الآراء للفظ "العقل" هو العلم بمجموعة من الأمور التي تستلزمها الآيات للوصول إلى معانيها وأسرارها.
قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [5].	جاءت صيغة يعقلون بالنفي في هذه الآية لذم المشركين الذين لا يعلمون أمور الدين، ولا يتبعون طريقه. يقول: "(لا يعقلون شيئا) المراد أنهم لا يعلمون من الذين، وقوله (ولا يهتدون) إلى كيفية اكتسابه"[6].

[1] – سورة البقرة، الآية: 74.

[2] ــ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، م1، ج:1، ص: 411.

[3] ــ التفسير الكبير للرازي، م2، ج 3، ص: 145.

[4] ــ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م1، ج: 3، ص: 298.

[5] ــ سورة البقرة، الآية: 169.

[6] ــ التفسير الكبير، الرازي، م 3، ج: 5، ص: 7.

قوله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوَ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)[1]	تفيد دلالة العقل هنا الاستعداد لقبول العلم، والاعتبار بالقلب وميزان العقل، فالآية تدعو إلى السير في الأرض، والتمعن في ملكوت الله وخلقه، وإيقاظ بصيرة القلب، وفتح منفذ الحواس التي هي بمثابة حجج ربانية لابد من استخدامها لبلوغ العلم. يقول الرازي بخصوص الآية: "(قلوب يعقلون بها) هو: العلم"[2].
قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ ... أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)[3]	ذهب البعض إلى تفسير العقل في الآية الكريمة بالعلم ومنهم الألوسي: "(إذا كنتم تعقلون)، أي: إن كنتم من أهل العقل، أو إن تعلمون الفضل بين الولي والعدو، أو إن كنتم تعلمون مواعظ الله تعالى ومنافعها"[4]. فالتفسير القائم في هذه الآية الكريمة للعقل يفيد: الفهم والعلم، حيث نهى الله عز وجل المؤمنين عن اتخاذ غير المؤمنين أصدقاء لهم، حتى لا يتمكنوا من أذيتهم، لهذا دعا الله إلى العلم بآياته وأحكامه ومواعظه.
قوله تعالى: (يَـٰقَوْمِ لآَ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنَ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى ٱلذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[5]	تذم الآية الكريمة قوم هود الذين لا يعلمون حقيقة ما يعبدون، وكانوا يرفضون ما يدعوهم إليه هود عليه السلام، رغم أنه لا ينتظر منهم جزاء ولا مقابلا، والعقل الوارد في الآية يقصد به العلم[6].

[1] – سورة الحج، الآية: 44.

[2] – التفسير الكبير، للرازي، م 12، ج 23، ص: 40.

[3] سورة آل عمران، الآية: 118.

[4] – روح المعاني للألوسي، م 2، ج 4، ص: 38.

[5] – سورة هود، الآية: 51.

[6] – التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص: 95.

قوله تعالى : (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1]	يستفاد من الآية أن الله أنزل القرآن على العرب بلسانهم، ليعلموا حقيقته وأحكامه وأوامره ونواهيه، فالعقل هنا يقصد به العلم بأمور الدين، والعلوم التي يختزلها القرآن الكريم، وما تنزيله بلسان عربي إلا لتيسير تحصيل تلك العلوم واكتسابها. لذلك جاء تفسير ابن عاشور واضحا في ربطه بين العقل والعلم في قوله: "وقد أفصح على التحليل المقصود بجملة " لعلكم تعقلون": أي رجاء حصول العلم لكم من لفظة ومعناه لعقلهم ما يحتوي عليه"[2].

يتضح، من خلال هذه التفسيرات، أن العقل ورد في بعض المواضع من القرآن الكريم بمعنى العلم بآياته وأحكامه، باعتبار القرآن مصدر العلوم والحقائق، الذي لا يعتريه نقص، ولا زلل، ولا شائبة. ودعوة هذه الآيات إلى استخدام العقل هو توجيه رباني إلى تحصيل العلم الذي يكتنزه القرآن الكريم لمعرفة عظمة خلقه عز وجل، وحكمته في الوجود للوصول إلى نتيجة متفردة، وهي اليقين بالله، والإيمان به وبوحدانيته.

6 – الاعتبـــار:

الآيـــــات	**التفسيـــــــر**
قوله تعالى :(إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ)[3]	جسدت الآية هنا صورة الإنسان الذي لا يتعظ بما يأمره الله عز وجل به وينهاه عنه؛ كمثل الصم والبكم الذين لا يعقلون؛ أي لا يعتبرون الحق، ولا يميزون بين النعمة والنقمة، مثلهم كمثل الحيوان الذي لا يستفيد من

[1] – سورة يوسف، الآية: 2.

[2] – التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج 12، ص: 202.

[3] – سورة الأنفال، الآية: 22.

	حواسه؛ لذلك كانت التشبيه هنا قائم بين الإنسان والحيوان، الرابط بينهما هو عدم إعمال العقل. جاء تفسير الآية الكريمة عند الطبري في قوله: "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن شر ما دب على الأرض من خلق الله عند الله، الذين يصمون عن الحق لئلا يستمعوه، فيعتبروا به ويتعظوا به، وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بهما أبدانهم"[1]. والكلام الواضح في هذه المسألة أن العقل هنا يفيد معنى الاعتبار والاتعاظ من كلام الله تعالى؛ فالعقل الرزين هو الذي يحتكم ويعتبر بحجج الله تعالى ودلائله، ويسخر حواسه لما هو خير له في الدنيا والآخرة.
قوله تعالى : (ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنَ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ	ذهب الطبري إلى تفسير العقل هنا بالاتعاظ والاعتبار في قوله: "يقول تعالى ذكره: كما بينا لكم، أيها القوم، حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء، في إنشاء من نشاء، وإفناء ما نجد، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه. ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كل

[1] – جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، م: 4، ص: 25.

فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1]	شيء كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقلون فيتدبرونها إذا سمعوها، فيعتبرون فيتعظون بها"[2]. فالدعوة إلى استخدام العقل هنا جاءت للاتعاظ والاعتبار من الأمثال التي ضربت للأمم السابقة، والتي تعتبر حجة من حجج الله على خلقه، والتي تبين الحق بجلاء، وتدحض الباطل بوضوح لذوي العقول النيرة التي تستوعب المعنى وتدرك المغزى.
قوله تعالى :(وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3]	الصيغة التفسيرية التي جاءت بها (أفلا تعقلون) هي صيغة الاستفهام الاستنكاري، وتختزل الآية الكريمة ما وجهه الله عز وجل من الكلام إلى متبعي أهل القرية التي دُمر أهلها بسبب كفرهم وتكذيبهم لكتبه ورسله؛ حيث أنزل الله تعالى عليهم عقابه وسخطه، فأهلكهم شر هلاك. فكانت الرسالة واضحة من هذه الآية الكريمة بضرورة أخذ العبرة من تلك الأقوام بقوله عز وجل (أفلا تعقلون): أي أفلا تعتبرون بتلك الأقوام التي أهلكناها، وهو الأمر الذي ذهب إليه الرازي بقوله: " أفلا تعقلون " يعني: أليس فيكم عقول تعتبرون بها"[4]. ورجح القرطبي المعنى نفسه للعقل بالاعتبار في قوله: (أفلا تعقلون) أي أفلا تعتبرون وتتدبرون"[5].

[1] – سورة الروم، الآية: 27.

[2] – جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، م: 10، ص: 182.

[3] – سورة الصافات، الآية: 138.

[4] – التفسير الكبير للرازي، م13، ج: 23، ص: 142.

[5] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، م15، ج 15، ص: 121.

فالواضح من مجمل هذه التفسيرات القائمة على شرح "التعقل" بمعنى "الاعتبار" أنها تدعو إلى ضرورة إعمال العقل، وأخذ العبرة من الأمم السابقة التي أهلكها الله عز وجل بسبب طغيانها؛ فكانت الآيات الكريمة تتضمن صيغة الاستفهام الاستنكاري الذي يفيد التوبيخ على عدم إعمال العقل هنا؛ و عدم الاعتبار بتجارب وقصص السلف التي وردت في آيات القرآن الكريم.

7 – التفقـــــه:

الآيـــــات	التفسيـــــــر
قوله تعالى : (﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرِىٰةُ وَٱلإِنجِيلُ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[1]	وقع التعقل بمعنى التفقه في بعض تفسيرات الطبري لصيغة (تعقلون) بقوله: "أما قوله (أفلا تعقلون) فإنه يعني تفقهون خطأ قبلكم"[2].
قوله تعالى : (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[3]	وذهب الطبري في هذه الآية أيضا إلى تفسير " التعقل" بـــ "التفقه"، يقول في هذا الصدد: "يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآنا عربيا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه "[4].

[1] – سورة آل عمران، الآية:64.

[2] – جامع البيان في تأويل القرآن، م:2، ص: 271.

[3] – سورة يوسف، الآية: 2.

[4] – جامع لأحكام القرآن، الطبري، م 7، ص: 247.

	هنا الآية تستنهض همة العقل، وتدعوه إلى التدبر والتفكر فيما عرضه الله عليهم آيات القرآن الكريم، ليكتشفوا جزالة اللفظ، وبلاغة المعنى التي تفحم براعتهم في الأدب والشعر. وبالتالي، كان مقصد تفسير الطبري من هذه الآية الكريمة هو ضرورة إعمال العقل في معجزته تعالى التي أنزلها على رسوله بلسان عربي ليتفقهها الناس.

يتضح من خلال هذه التفسيرات التي قدمها الطبري للآيات الكريمة أن صيغة "التعقل" جاءت بمعنى "التفقه" مع اختلاف مقصدية كل آية، فكانت الرسالة التي تضمنتها كل آية تختزل في عمقها الدلالي، ضرورة إعمال العقل فيما أنزله الله عز وجل من معجزات ربانية تقتضي الوقوف والتمعن ، بواسطة العقل الذي هو جوهر الإنسان و ميزانه الذي يقيس به كل الثنائيات الكونية، الشر أو الخير، الظلم أو العدل، الضلالة أو الهداية، وبالتالي فتفسير الطبري لهذه الآيات تقوم على معادلة دلالية أساسها الإنسان، وميزانها العقل، ووسيلتها التفقه.

خلاصـــــــة :

من خلال استقراء التفسيرات الضمنية لبعض الآيات القرآنية التي تتضمن لفظ "العقل"، نلاحظ أن هذا الأخير ورد بمجموعة من المعاني والدلالات، حيث أقدم المفسرون على ملامسة كل آية لتحديد معنى لفظ "العقل" وفق السياق الذي ورد فيه، وبهذا عمدوا إلى تفسير مصطلح العقل وفق آثار العقل ونتيجة إعماله، بحيث لم يرد في حقيقة الأمر أي تعريف محدد ودقيق لمصطلح العقل، وإنما فسر العقل بمفاهيم لها علاقة بالعمليات التي يقوم العقل. وعلى هذا الأثير المعرفي التي قدمته لنا تلك

التفسيرات، يمكن الخروج بهذه المفاهيم التي هي عبارة عن استعدادات وعمليات يقوم بها العقل لتحصيل المعارف، وخلق التوازن بين ما تقتضيه رغباته وما يقتضيه المنطق؛ وتتضمن هذه المفاهيم ما يلي:

- التفكر والتدبر
- الفهم والإدراك
- المنع والحبس
- العلم
- الاعتبار
- التفقه

وفي ما يلي ذكر للمضامين العامة التي ورد فيها لفظ العقل في آيات القرآن الكريم في خطوط عريضة:

- معرفة قدرة الله عز وجل على إحياء الموتى من خلال قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[1].

- فهم القرآن وتدبر آياته من خلال قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[2]، ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾[3]، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

[1]– سورة البقرة، الآية: 72.

[2]– سورة الأنبياء، الآية: 10.

[3]– سورة يوسف، الآية: 2.

وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٥﴾[1].

- مطابقة الفعل للقول: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾[2].

- عدم ائتمان الكفار وإفشاء الأسرار لهم، من خلال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾[3] .

- الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه من خلال قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾[4].

- تقوى الله والعمل للآخرة لأن الدنيا فانية، من خلال قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 75.

[2]- سورة البقرة، الآية: 43.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 118.

[4]- سورة الأنعام، الآية: 152.

ٱلۡاَخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾[1]، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٠﴾[2].

- أخذ العبرة والحكمة بما صار للأمم السابقة من خلال قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾[3].

- التأدب في المعاملة وحسن الخلق من خلال قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٦١﴾[4]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾[5].

---

[1] – سورة الأعراف، الآية:169.

[2] – سورة القصص، الآية: 60.

[3] – سورة يوسف، الآية: 109.

[4]– سورة النور، الآية: 59.

[5]– سورة الحجرات، الآية:4.

– التدبر والتأمل في خلق الإنسان، وفي الأنفس وفي خلق الكون من خلال قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾[1]، ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ آنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتَ آيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾[2] ، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالآرْضِ وَاخْتِلَـٰفِ ٱلْيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ ٱلتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلآرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَالآرْضِ ءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٣﴾[3]، ﴿وَاخْتِلَـٰفِ ٱلْيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلآرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾[4].

– التفكر في النعم المتعددة التي سخرها الله تعالى في خدمة الإنسان كالنبات، والثمار، والسماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾[5]، ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَالآعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾[6] .

---

[1]– سورة الأنفال، الآية: 22.

[2]– سورة الروم، الآية: 27.

[3]– سورة البقرة ، الآية:163.

[4]– سورة الجاثية، الآية: 4.

[5]– سورة النحل، الآية: 12.

[6]– سورة النحل ، الآية: 67.

وما يمكن أن نخلص إليه من خلال مقاربة آيات القرآن وكتب التفسير هو أن العقل أداة ووسيلة أودعها الخالق عز وجل في الإنسان ليتدبر وليتفكر في الوحي، وفي مخلوقات الكون، لمعرفة الحقيقة الإلهية ولإثبات وحدانية الله وقدرته وعظمته بينه وبين نفسه أولا، وبينه وبين الآخر ثانيا، وبذلك يصل إلى الإيمان اليقيني المطلق. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عمل العقل لا يقتصر على إدراك المعارف الكلية الضرورية المتفق عليها بين جميع الناس، وإنما يسعى إلى إدراك المعارف المكتسبة عن طريق العلم والتجارب.

ويمكن تلخيص ما تم التوصل إليه من خلال عرض تفاسير المفسرين للفظ العقل:

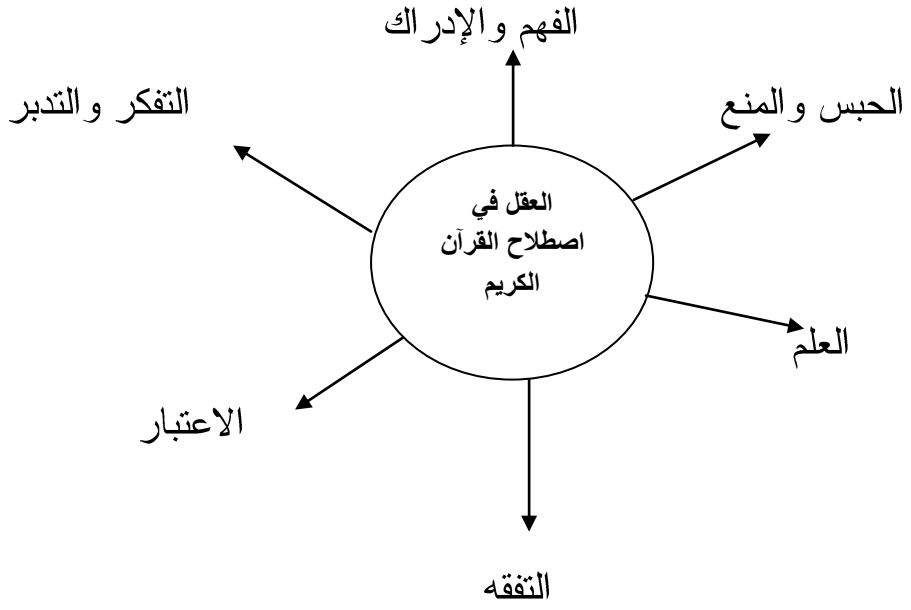

المطلب الخامس: معنى العقل في الحديث النبوي.

حاولنا بنظرة فاحصة تتبع مصطلح العقل في الصحيحين (البخاري ومسلم)، معتمدين في ذلك على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، وخلصنا إلى أن هذا المصطلح ورد في الحديث النبوي الشريف بلفظه الصريح وغير الصريح بشكل

بارز، باعتباره وسيلة للإدراك والتمييز بين الأشياء والظواهر، وأداة لحبس النفس من الخوض في المهالك والمحرمات. لذا نجد هذا اللفظ في الحديث النبوي الشريف اكتسى تقديرا وتشريفا نظرا لعلو شأنه وعظم مقامه بالنسبة للإنسان، وقد اكتفينا هنا بذكر لفظ العقل بمعنى الفهم والإدراك[1].

ومن هذه الأحاديث؛ نجد قول عمر ابن الخطاب: " أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ مَقَالَةً قَدْ قُدِّرَ لِي أَنْ أَقُولَهَا، لاَ أَدْرِي لَعَلَّهَا بَيْنَ يَدَىْ أَجَلِي، فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلْيُحَدِّثْ بِهَا حَيْثُ انْتَهَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لاَ يَعْقِلَهَا فَلاَ أُحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَىَّ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا..."[2].

معنى العقل هنا هو الفهم والضبط والتبين للآية، وهذه الآية نسخ لفظها وبقي حكمها وقد ذكرت في القرآن الكريم [3]. ثم أزيلت وعمل بحكمها وهو الرجم.

وفي حديث آخر، قال جابر بن عبد الله : "دَخَلَ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا مَرِيضٌ لاَ أَعْقِلُ، فَتَوَضّأَ، فَصَبّوا عَلَيّ مِنْ وَضُوئِهِ، فَعَقَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنّما يَرِثُنِي كَلاَلَةٌ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ... " [4] فبعدما ألم بجابر مرض شديد فقد على إثره وعيه قام الرسول صلى الله عليه وسلم بزيارته فصب عليه من ماء وضوءه فعقل، ويراد بالعقل في الحديث، الفهم[5] والوعي.

---

[1]– لقد ورد لفظ العقل في صحيح البخاري وصحيح مسلم بمعنى الربط، ومعنى الدية، ومعنى الفهم والإدراك، ولكنني اقتصرت على الأحاديث التي جاء فيها العقل بمعنى الفهم والإدراك فقط.

[2] ــ صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب، رجم الحبلى من الزنا.

[3] ــ " هذا النص من عمر، رضي الله عنه، على أن هذا القرآن كان يتلى، وفي آخره ما يدل على أنه نسخ كونها من القرآن، وبقي حكمها معمولا به وهو الرجم". انظر: " المفهم لما أشكل في تلخيص صحيح مسلم، ج: 2، ص: 433.

[4] ــ صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب صب النبي صلع صلى الله عليه وسلم وضوءه على المغمى عليه.

[5] ــ قوله لا أعقل، أي: لا أفهم، وحذف مفعوله إشارة إلى عظم الحال، أي لا أعقل شيئا.انظر:

ــ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للعسقلاني، كتاب الوضوء، باب، صب النبي صلى الله عليه وسلم وضوءه على المغمى عليه، ص: 360.

وفي حديث آخر، فيما رواه ابن بريدة: "أنَّ مَاعِزَ بنَ مَالِكٍ الأسْلَمِيَّ، أَتَى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وإنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ أَتَاهُ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي قدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فأرْسَلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إلى قَوْمِهِ، فَقالَ: أَتَعْلَمُونَ بعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ منه شيئًا؟ فَقالوا: ما نَعْلَمُهُ إلَّا وَفِيَّ العَقْلِ مِن صَالِحِينَا فِيما نُرَى، فأتَاهُ الثَّالِثَةَ، فأرْسَلَ إليهِم أَيْضًا فَسَأَلَ عنْه، فأخْبَرُوهُ أنَّهُ لا بَأْسَ به، ولَا بعَقْلِهِ، فَلَمَّا كانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ له حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ به؛ فَرُجِمَ"[1].

يؤخذ من هذا الحديث أن الشرع أولى عناية فائقة للعقل؛ بحيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم تبين أولا سلامة عقل ماعز أربع مرات حتى يحصل له اليقين والتثبت من سلامة تفكيره، ثم بعد ذلك أقام عليه حد الرجم. والعقل، في هذا المقام، يقصد به تلك القدرة على الإدراك والتمييز بين الشر والخير، وبين الصحيح والخطإ، وبين الحلال والحرام، وهذا ما أوجب إسقاط التكليف عن الطفل والمجنون، ونورد في هذا الصدد كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ (أَوْ يَفِيقَ) "،[2] فالحديث النبوي مجّد العقل ورفع قدره، وجعله مناط التكليف والمسؤولية،[3] إذ أن فاقد العقل لا يقام عليه الحد في الدنيا، ولا يلحقه العقاب في الآخرة؛ نظرا لغياب قدرة الفهم والتمييز لديهما. وقد أشاد القرآن بالعقل وجعل الإنسان مكلفا به، وجعله مسؤولا أمام أفعاله، فقال جل شأنه في الآية الكريمة: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ**

---

[1] ــ صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.

[2] ــ سنن الترميذي، كتاب الحدود ، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد.

[3] ــ يقول القرطبي في تفسيره " فأوجب الله التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل "، الجامع لأحكام القرآن، ج: 10، ص: 261.

وَالاَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلِانسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.[1]

فقد عرض الله سبحانه وتعالى الأمانة،[2] أي تشريعاته وفرائضه وأحكامه على السماوات والأرض، والجبال فرفضتها لثقل حملها وعظمها،[3] ثم عرضها على الإنسان فمن أقامها جزاه الله خير الجزاء، ومن تركها أوتي عقابه. لكن تظل هذه التكاليف والفرائض جميعها سواء أكانت نواهي أم أوامر مكلفا بها الإنسان، ما دام منعما بصفة العقل، فإذا سقطت هذه الصفة سقط عنه التكليف.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ" قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟" قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: "فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا "[4]. ويراد بنقصان العقل هنا: قلة الضبط

يتمسك كثير من أعداء الدين الإسلامي بهذا الحديث: "ناقصات عقل ودين" ليطعنوا في الإسلام؛ لأنه ينقص من شأن المرأة وقدرها، بل هناك من يأخذ الحديث كذريعة للحط من مكانة المرأة، وقدراتها العقلية؛ معللا كلامه بما جاء في مضمون

---

[1]– سورة الأحزاب، الآية: 72.

[2] ــ الأمانة هي التكاليف الشرعية المتمثلة في امتثال أوامره الله واجتناب نواهيه.

[3] ــ "وعرضها يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون الله خلق لها إدراكا فعرضت عليها الأمانة حقيقة، فأشفقت منها وامتنعت من حملها. والثاني: أن يكون المراد تعظيم شأن الأمانة. وأنها من الثقل بحيث لو عرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين من حملها وأشفقن منها"، انظر:" صفوة التفاسير محمد علي الصابوني،ج 2، ص: 540.

[4] ــ صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم.

الحديث، إلا أن الحديث خصص صفة (نقصان العقل)، للواتي يكثرن اللعن؛ أي الطرد من الرحمة [1]، ويجحدن جميل الزوج، ويذهبن عقل الرجل.

ذكر صاحب عمدة القارئ في تفسير معنى العقل: "وقالوا: عاقل، وعقلاء وهو: الحلم واللب والحجر والعظم والمحت والمرجح والحول والخوف والذهن والهرمات والحصاة، وقال القزاز: مسكنة عند قوم في الدماغ، وعند آخرين في القلب، الأول قول أبي حنيفة، والثاني قول الشافعي وقيل مسكنه عند قوم في الدماغ وتدبيره في القلب، تدرك به المغيبات بالوسائط والمحسوسات والمشاهدة، وعند المتكلمين العمل والعلم، وقيل بعض العلوم هي الضرورة، وقيل قوة يميز بها حقا في المعلومات، وفي كتاب المدود لأبي سينا هو اسم مشترك لمعاني عدة: عقل لصحة الفطرة الأولى في الناس ، وهو قوة يمين بها بين الأمور القبيحة، والحسنة، وعقل لما يكسبه بالتجارب والأحكام تكون مقدمة يحصل بها الأغراض والمصالح، وعقل لمعنى آخر وهذه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه"[2].

أما عن شهادة المرأة هي نصف شهادة الرجل، ذلك راجع إلى أمرين:

أولا: العاطفة، كون المرأة خلقت بعاطفة أقوى من الرجل لتتحمل بها أعباء الحياة كالحمل والولادة، ورعاية الأبناء والزوج وغيرها من الأمور التي لا يجيدها الرجل، أو يصعب عليه القيام بها.

ثانيا: الذاكرة، كون المرأة أمام المشاق والصعاب التي تقوم بها تكون أكثر عرضة للنسيان، لدى تكون شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد كما جاء في قوله

---

[1]ـــ صحيح مسلم شرح النووي، النووي كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان، ص: 345.

[2]– عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، ص 117.
انظر أيضا: "التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي " وقيل اللب أخص من العقل ، فإنه الخالص منه"، ص 262.

بخصوص هذا الشأن في سورة البقرة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَابَ كَاتِبٌ اَنْ يَّكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلذِے عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِں كَانَ ٱلذِے عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهاً اَوْ ضَعِيفاً اَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُّمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِں لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدِيٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدِيٰهُمَا ٱلاُخْرِىٰ وَلاَ يَابَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً اَوْ كَبِيراً إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَالِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلاَّ تَرْتَابُوٓاْ إِلآَّ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِں تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

وتعلل الآية الكريمة سبب حضور امرأة ثانية في الشهادة ليس لنقص في ذكاء المرأة الأولى أو طريق تفكيرها، وإنما لتذكيرها في حالة ما إذا نسيت.

وباعتمادنا على الصحيحين في استخراج و إحصاء مادة "العقل"، لم نستثني ورود مصطلح العقل بأساليب أخرى. فقد تناثر مفهوم "العقل" في الأحاديث النبوية الشريفة في الصحيحين بمعانيه ومرادفاته؛ كالتفقه والعلم واللب والأناة والحكمة...

ومن هذه الأحاديث، نجد حديثا عن فضل التفقه في الدين: عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية قال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ

[1]– سورة البقرة، الآية: 282.

خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ "[1].

فالتفقه في هذا الحديث النبوي الشريف هنا، يقوم على فهم الدين، يقول ابن تيمية رحمه الله: "الفقه في الدين فهم معاني الأمر والنهي، ليستبصر الإنسان في دينه، ألا ترى في قوله تعالى: ﴿وَلِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[2] فقرن الإنذار بالفقه؛ فدل ذلك على أن الفقه ما وزع عن محرم، أو دعا إلى واجب وخوف النفوس مواقعه المحظورة".[3]

فالتحصيل الواضح من هذا الحديث أن التفقه هو فهم مراد أحكام الله وشرائعه، وبيان فضل التفقه في الدين؛ وأهميته في جلب الخير والمنفعة لصاحبه. يقول النووي في هذا الصدد: "فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين، والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله"[4].

وفي حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأشج عبد القيس: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ"[5]. يقول النووي: "وأما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة... قال القاضي عياض: فالأناة تربصه حتى نظر في مصالحه ولم يعجل، والحلم هذا القول الذي قاله الدال على صحة عقله وجودة نظره للعواقب"[6].

فقد أشاد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، برجاحة عقل الأشج، وتأنيه، وتريثه قبل اتخاذ أي قرار، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل أهمية إعمال العقل

---

[1]– البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

[2]– سورة التوبة، الآية: 122.

[3]– مجموع فتاوي ابن تيمية، 6، ص: 171.

[4]– شرح النووي على مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف، ج: 7 ص: 128

[5]– صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله.

[6]– شرح النووي على مسلم أبو زكريا يحيى بن شرف، ج:1، ص: 189.

والتصرف بحكمة في الحديث النبوي الشريف. فالحلم والتأني هنا صفتان من صفات العقلاء التي تعود على صاحبهما بالخير والمنفعة.

وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"عن أبي موسى عن النبيصلى الله عليه وسلمقال: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِن الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الْمَاءَ فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"[1].

وصحيح القول في هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى شبه عقول الناس بالأرض الخصبة، والهدى والعلم بالغيث الكثير. و بين لنا تفاوت أو تفاضل الناس في استعداداتهم و قدراتهم العقلية في الانتفاع بالعلم.

وفي حديث آخر"عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لاَ حَسَد إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالًا فَسلَّطهُ عَلى هلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّه الحِكْمَةَ فهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا "[2].

يقول النَّووي: "ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها، معناه: يعمل بها ويعلِّمها احتسابًا، والحكمة: كلُّ ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح"[3].

---

[1]– صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم.

[2]– المصدر نفسه.

[3] – شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف، ج6، ص: 98.

الواضح في هذا الحديث أن الإنسان يحسد على أمرين؛ إما السلطة أو الحكمة، والمقصود بهذه الأخيرة: العقل، ويقصد بها أيضا العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله عز وجل وتهذيب النفس، وإحقاق الحق والعمل به، كما يقصد بها أيضا الصد عن اتباع الهوى والباطل، شأنها شأن العقل الكابح عن ذميم القول والفعل وسوء التصرف.

يتبين من خلال تحديد معاني لفظ العقل في هذه الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في الصحيحين، أن مصطلح العقل اتخذ معنى القدرة على التمييز، والإدراك والفهم، وحبس النفس عن ذميم الأفعال، والتريث في اتخاذ القرارات. ويظهر هذا من خلال بعض مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم، وردود أفعاله، التي تدل على أن السنة أشادت بمنزلة العقل وبجلته من خلال الحث على التفكر والنظر، وعدم التسرع في الحكم على الأشياء، من أجل تحقيق غاية الوحي ومقاصده. فالعقل بهذا المعنى قوة موجهة إلى طريق الحق، ومرشدة إلى مسالك الهداية .

كما وردت بعض مرادفات العقل وما يقرب من معناه في الصحيحين (البخاري/المسلم)، كالعلم والحكمة والحلم والتأني. وهي مفردات متقاربة مع مصطلح العقل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تمجيد السنة النبوية لهذه الملكة الربانية، القائدة صاحبها إلى الخير والرشاد والهداية إذا حسن استخدامها وسخرت وفق قوانين وضوابط الأحكام الشرعية.

المبحث الثالث: موارد مصطلح العقل في القران الكريم، دلالات مجال الورود وصيغه.

المطلب الأول: جدول يبين موارد مصطلح "العقل" في القران الكريم.[1]

الصيغة	الآيـــــة	السورة	عدد الآية	نوع الآية
تعقلون	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾	الأعراف	169	مكية
تعقلون	﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾	يس	61	مكية
يعقلون	﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾	يس	67	مكية
يعقلون	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾	الفرقان	44	مكية
تعقلون	﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	الشعراء	27	مكية

[1]– القرآن الكريم برواية ورش حسب ترتيب النزول.

تعقلون	﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾	القصص	60	مكية
تعقلون	﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾	يونس	16	مكية
يعقلون	﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ٤٢﴾	يونس	42	مكية
يعقلون	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾	يونس	100	مكية
تعقلون	﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١﴾	هود	51	مكية
تعقلون	﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾	يوسف	2	مكية
تعقلون	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾	يوسف	109	مكية
تعقلون	﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾	الأنعام	33	مكية

تعقلون	﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلاَ تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٢﴾﴾	الأنعام	152	مكية
تعقلون	﴿وَبِالَّيْلِۗ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾	الصافات	138	مكية
يعقلون	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾	الزمر	40	مكية
تعقلون	﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾	غافر	67	مكية
تعقلون	﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾	الزخرف	2	مكية
يعقلون	﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾	الجاثية	4	مكية

يعقلون	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۚ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾	النحل	12	مكية
يعقلون	﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧﴾	النحل	67	مكية
تعقلون	﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾	الأنبياء	10	مكية
تعقلون	﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡۖ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٦﴾	الأنبياء	66	مكية
تعقلون	﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨١﴾	المؤمنون	81	مكية
نعقل	﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾	الملك	11	مكية
يعقلون	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٢٣﴾	الروم	23	مكية
يعقلون	﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ	الروم	27	مكية

	تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾			
يعقلون	﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾	العنكبوت	35	مكية
يعقلها	﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾	العنكبوت	43	مكية
يعقلون	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾	العنكبوت	63	مكية
تعقلون	﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾	البقرة	43	مدنية
تعقلون	﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾	البقرة	72	مدنية
عقلوه	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾	البقرة	74	مدنية
تعقلون	﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟	البقرة	75	مدنية

	أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾			
يعقلون	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾	البقرة	163	مدنية
يعقلون	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾	البقرة	169	مدنية
يعقلون	(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾)	البقرة	170	مدنية
تعقلون	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾	البقرة	240	مدنية
يعقلون	﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾	الأنفال	22	مدنية
تعقلون	﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾	آل عمران	64	مدنية
تعقلون	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً	آل عمران	118	مدنية

	مِّن دُونِكُمْ لاَ يَالُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾			
تعقلون	﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾	الحديد	16	مدنية
يعقلون	﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾	الرعد	4	مدنية
يعقلون	﴿لاَ يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَّرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾	الحشر	14	مدنية
تعقلون	﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَاكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن	النور	59	مدنية

	تَاكُلُواْ جَمِيعاً آوَ آشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾			
يعقلون	﴿آفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلآرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوَ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلآبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾	الحج	44	مدنية
يعقلون	﴿إِنَّ ٱلذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَّرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾	الحجرات	4	مدنية
يعقلون	﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾	المائدة	60	مدنية
يعقلون	﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾	المائدة	105	مدنية

المطلب الثاني: دلالات مجال الورود وصيغه.

يتبين من خلال الجدول أن عدد صيغ مصطلح العقل، وردت في القرآن الكريم تسعة وأربعون مرة:

- وردت بصيغة الماضي "عقلوه" مرة واحدة.
- وردت بصيغة المضارع "نعقل" مرة واحدة.

- وردت بصيغة المضارع "يعقلها" مرة واحدة.
- وردت بصيغة المضارع "تعقلون" أربعا وعشرين مرة.
- وردت بصيغة المضارع "يعقلون" اثنان وعشرين مرة.

ولم يرد لفظ العقل في القرآن على صيغة المصدر، وإنما ورد على صيغة الفعل؛ للدلالة على الوظيفة والعمل الذي يقوم بهما العقل، المتمثل أساسا في التأمل والتدبر والنظر والإدراك للوصول إلى الإيمان اليقيني وإلى معرفة ما يختزله الكون من خبايا وأسرار.

وقد وردت هذه الصيغ؛ للحث على التعقل ، فجاء معظمها في سياق القرآن الكريم مسبوقا باستفهام استنكاري (أفلا يعقلون)؛ الذي يفيد التوبيخ على عدم إعمال العقل. كما وردت في حالات أخرى مثبتة في سياق وصف القوم (لقوم يعقلون)، أو مسبوقة بنفي(لا يعقلون)، أو مسبوقة، وكذلك وردت في سياق الترجي بصيغة (لعلكم تعقلون).

كما يلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن مشتقات العقل وردت في الآيات المكية أكثر من المدنية، حيث وردت في الآيات المكية ثلاثين مرة وفي الآيات المدنية تسع عشر مرة.

ويرجح نزول معظم الآيات، الواردة فيها مصطلح العقل في المرحلة المكية إلى كون تلك الأخيرة هي مرحلة الدعوة التي اتسمت بجحود وتكذيب المشركين لما أنزل الله على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فجاءت هذه الآيات للحث على إعمال العقل، وتدبر آيات الله العظيمة لحصول اليقين، وترسيخ الإيمان، والوصول إلى الحقائق التي يكتنزها القرآن، كما أنها دعوة إلى التأمل والتفكر في القصص والأمثال الواردة في القرآن المكي لأخذ العبرة والحكمة من الأمم السابقة.

إضافة إلى هذا فقد اشتهرت العرب بالفصاحة والبلاغة في الشعر والنثر، لذا جاء القرآن معجزا ومفحما لبلاغتهم وفصاحتهم، وقد تحداهم بالإتيان بمثله أو ببعضه فقط؛ في أكثر من آية كقوله: ﴿ فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرِىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾،[2] وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

ولعل تحدي الخالق عز وجل للكفار، ودعوته إلى التفكر وإعمال العقل في هذه المرحلة للوصول إلى جزالة اللفظ، وعمق المعنى، وروعة البيان، وكذلك للوقوف على عظمة القرآن الكريم وإعجازه؛ فهو منبع فياض بالأسرار والحقائق والمعجزات، التي من شأنها أن تقنع عقول الناس آنذاك بصدق الرسالة، ووحدانية الخالق.

ترسيمة تبين اشتقاقات العقل في القرآن الكريم:

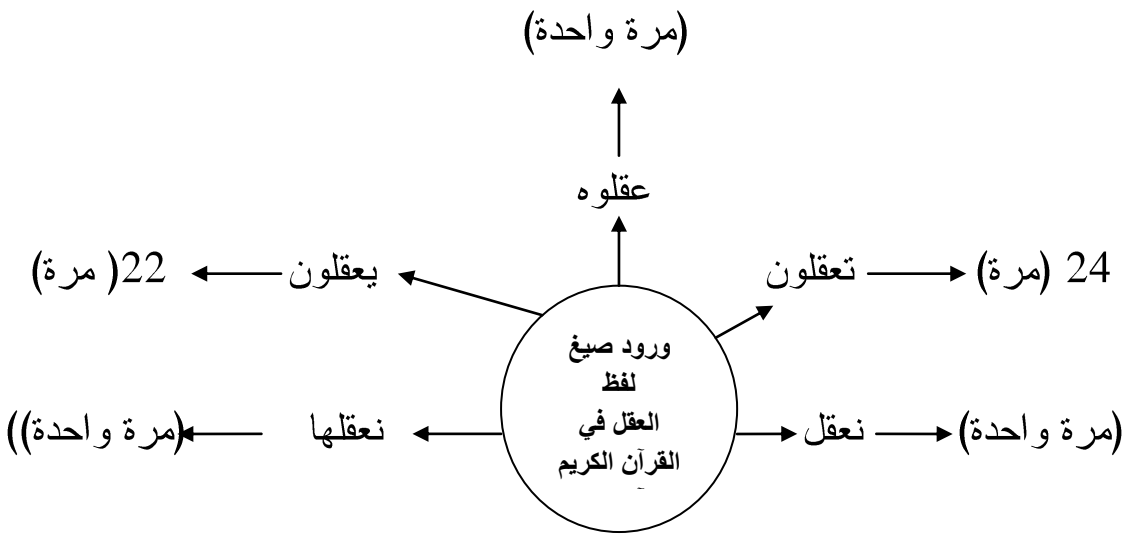

[1] – سورة الطور، الآية: 34.

[2] – سورة هود، الآية: 13 .

[3] – سورة البقرة، الآية: 22.

الفصل الثاني :

علاقات لفظ العقل.

المبحث الأول: تحديد علاقات العقل.

المطلب الأول: العلاقات المتآلفة والمتداخلة.

إن الإحاطة بمعاني العقل وما يرتبط به يستدعي دراسته داخل السياق الذي وضع فيه، فالألفاظ وخاصة ألفاظ القرآن الكريم، تتحدد دلالتها، ونوع العلاقات التي تربطها بشكل دقيق بباقي العناصر حسب موضعها داخل النص.

من أجل تحقيق هذه الغاية، سنحاول في هذا المبحث، دراسة مصطلح العقل وصلاته بباقي المصطلحات داخل النص القرآني، وفق ما توصل إليه البحث إحصائيا، من أجل رصد العلاقات المتآلفة والعلاقات المتقابلة المتضادة والعلاقات المتلازمة مع مصطلح العقل، وذلك في محاولة منا لمقاربة مصطلحات ذات الصلة بالمصطلح المدروس من خلال تحديد مفهومها في المعاجم اللغوية، والاصطلاحية، ومعانيها، التي تكتسيها داخل الآيات المحصاة لتمييز نوع الصلة التي تربطها بلفظ العقل في المتن المدروس.

1-علاقة العقل بالآية:

اقترن العقل بالآية في الآيات التالية:

﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.[2]

[1]– سورة البقرة، الآية: 72.

[2]– سورة البقرة، الآية: 240.

﴿ إِن فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ لَأٰيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3] .

﴿ وَفِي ٱلأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٰيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٰيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[5].

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَالأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً

---

[1] – سورة البقر، الآية: 163.

[2]– سورة آل عمران، الآية: 1.

[3]– سورة الحديد، الآية: 16.

[4]– سورة الرعد، الآية: 4 .

[5]– سورة النحل، الآية: 12.

حَسَناً اِنَّ فِي ذَالِكَ ءَلاَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] .

﴿ وَمِن ـايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَالِكَ ءَلاَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3] .

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنَ اَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتَ اَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْۥ أَنفُسَكُمْ كَذَالِكَ نُفَصِّلُ ٱلاَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4] .

﴿ وَاخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].
يَعْقِلُونَ﴾[5].

﴿ عَلَى ٱلاَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلاَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْۥ أَن تَاكُلُواْ مِنْ بُيُوتِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ اُمَّهَـٰتِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْۥ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْۥ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَن تَاكُلُواْ جَمِيعاً اَوَ اَشْتَاتاً فَإِذَا

[1]– سورة النحل، الآية: 67.

[2]– سورة العنكبوت، الآية: 35.

[3]– سورة الروم، الآية: 23.

[4]– سورة الروم، الآية: 27.

[5]– سورة الجاثية، الآية: 4.

﴿ دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

أ- مفهوم الآية في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي:**

وردت (أيى) بمعنى النظر[2]، وجمع الآية: آي آياي وآيات، أنشد أبو زيد:

لمْ يُبْقِ هَذَا الدَّهْرُ مِـــنْ آيَائِـــهِ غَيْـــرَ أَثَافِيـــهِ وَأَرْمِدَائِـــهِ[3].

والآية: العلامة

وآية الرجل: شخصه[4].

ومعنى الآية من كتاب الله: الجماعة أو القوم..

خَرَجْنَا مِنَ النَّقْبَيْنِ لاَ حَيَّ مِثْلَـــنَـــا بِآيَاتِنَا نُزْجِي الْمَطِيَّ الْمَطَافِـــلاَ[5]

الْمَطَافِـــلاَ[5]

والآية: كلام متصل إلى انقطاعه[6]

والآية: العبرة، والآية: الأمارة[7].

يظهر من خلال الوقوف على المعنى اللغوي للآية أنها تحمل معاني متعددة، جاءت بمعنى النظر، واستعملت الآية للدلالة على العلامة أو الإمارة أو العبرة، وتفيد كذلك مجموعة من الحروف التي تكون الكلمات.

---

[1]- سورة النور، الآية:59.

[2]- مقاييس اللغة، لابن فارس. مادة (آي).

[3]- ورد البيت في لسان العرب لابن منظور والصحاح للجهوري. مادة (آي).

[4]- المصدر نفسه.

[5]- ورد البيت في مقاييس اللغة، لابن فارس، وهو منسوب إلى الشاعر الجاهلي برج بن مسهر، من البحر الطويل. الطويل.

[6]- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مادة (آي).

[7]- المصدر نفسه.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

أما بخصوص بمعناها الاصطلاحي فقد أورد الكفوي في كلياته؛ أن الآية في الأصل هي العلامة، وهي كذلك طائفة حروف من القرآن الكريم بالتوقيف[1].

وقيل هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها، وقيل هي الواحدة من المعدودات في السور سميت بذلك لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدّى بها، وقيل إنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها مما بعدها[2].

وأورد العلامة المصطفوي في معجمه التحقيق في كلمات القرآن الكريم أن الآية: مأخوذة من مادة: أوى، يأوي بمعنى التوجه والقصد إلى مقام ليستريح فيه، وهي كل ما يكون موردا للقصد والتوجه للوصول إلى الله تعالى ومعرفته[3].

وتطلق الآيات على مجموع أجزاء القرآن[4].

يمكن القول، إذن، من خلال ما ذكر من التعاريف المقدمة للفظ أن بعضها جاء متوافقا ومناسبا مع معناه اللغوي كالعلامة، التي سميت بهذا الاسم للدلالة على صدق الوحي، وللدلالة على ابتداء الكلام وانتهائه في القرآن، وأنها مجموعة أو طائفة من الحروف التي تكون أجزاء القرآن الكريم. كما أنها وسيلة للتوجه والوصول إلى معرفة الله.

ب – مفهوم الآية في القرآن الكريم.

---

[1]– الكليات، للكفوي، مادة (الآية).

[2]– المصدر نفسه.

[3]– كشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني، مادة (آية).

[4]– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادة (أيي): ص202–203.

ورد لفظ الآية في القرآن الكريم بشكل واسع وكثيف[1] بصيغته الاسمية مفردا وجمعا، معرفة ونكرة.

من المعلوم أن الآيات نزلت على هيأة وحي على الرسول الأمين؛ عن طريق جبريل عليه السلام، بشكل منجم؛ بهدف تيسير حفظها وتدبرها، والتفكر فيها واستيعاب ما جاءت به. وقد رتبت آيات السور حسب النزول ترتيبا توقيفيا[2]، بحيث كان جبريل يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بمكان وموضع الآيات التي توحى إليه.

وقد اختلف في عدد آيات القرآن الكريم، فمن العلماء من قال إن عددها ستة آلاف (6000)، ومنهم من زاد عن هذا العدد[3]، ويرجع الاختلاف في عدد الآيات إلى عدم معرفة بداية بعض الآيات ونهايتها، وبالتالي صعوبة تحديد ذلك، ومعرفة العدد الحقيقي للآيات في القرآن.

ورد لفظ الآية في القرآن الكريم بشكل كبير، بحيث بلغت مرات وروده في القرآن الكريم في خمسة وسبعين وثلاثمائة موضعا،[4] وهذا الحضور البارز والمكثف أكسبه تعددا في المعاني، وتنوعا في القضايا المرتبطة به في النص القرآني، وقد اتخذ لمصطلح الآية في القرآن عدة معان نذكر منها:

---

[1]– "ورد لفظ الآية في القرآن الكريم ورودا واسعا سواء من حيث الكثرة في مواقع الورود أو من حيث التعدد والثراء في المعاني التي استعمل فيها المصطلح جمعا وإفرادا، تعريفا وتنكيرا، أو من حيث التنوع في الأساليب البيانية والتراكيب الاستدلالية". أنظر: "مفهوم الآية: في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف: الدكتور أمحمد الينبعي، ص 72.

[2]– الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ص 3.

[3]– البرهان في علوم القرآن للزركشي، ص: 239.

[4]– مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف،دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور أمحمد الينبعي، ص 72.

1 ــ الآية بمعنى العلامة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَنْ يَّاتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ [1].

هنا الآية تدل على العلامة المتمثلة في بركة ملك طالوت، المتمثلة في استعادة التابوت الذي أخذ منهم.

كما في قوله كذلك: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ﴾ [2] .

ومعنى الآيات هنا هو: "علامات كونية قدرية، يعرف بها أصحاب العقول السليمة أن خالقها هو الرب المعبود وحده جل وعلا، والآية الكونية القدرية في القرآن من الآية بمعنى العلامة"[(3)].

2 ــ الآية بمعنى الدليل والحجة والبرهان: ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: **(إِن فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَالأَرْضِ ءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[4].**

فالآية الكريمة تعرض دلائل وحدانيته وقدرته في خلق الكون، وتسخير ذلك في خدمة العبد، وتيسير حياته، والآيات هنا تدل على الدلائل والحجج[(5)]، من خلال قوله

---

[1]– سورة البقرة الآية: 248.

[2]– سورة آل عمران الآية: 190.

[3]– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الشنقيطي، ص 224.

[4]– سورة البقرة، الآية: 164.

[5]– تفسير القرآن العظيم ،لابن كثير،ج:1 ،ص: 476.

تعالى كذلك: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ﴾[1]، أي من حجج الله، ودلائل قدرته[2] أن ينبث الأرض، ويحيي الموتى.

ونفس المعنى يتضمنه لفظ الآية في قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[3].

جاء تفسير الطبري: "قال أبو جعفر يعنى جل ذكره: ويريكم الله أيها الكافرون المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله وآياته: أعلامه وحججه الدالة على نبوته"[4].

ومن ذلك أيضا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[5] . وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[6] .

اتخذ لفظ الآية في الآيتين الكريمتين، على معنى الدليل البرهان: يقول أحدهم: "والآية هنا هي عجز زكرياء عليه السلام عن الكلام لمدة ثلاثة أيام بلياليها وقد احتاج زكرياء إلى آية، وكانت هذه الآية هي أنسب آية له، حين بشرته الملائكة بولد من صلبه تلده امرأته، رغم أنها كانت عاقرا، وكان هو قد بلغ من الكبر عتيا، فظن عليه

---

[1]– سورة فصلت، الآية: 39.

[2]– جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، م: 11، ص: 113.

[3]– سورة البقرة، الآية: 73.

[4]– جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، م: 1،ج 1، ص: 404.

[5]– سورة آل عمران، الآية:41.

[6]– سورة مريم، الآية: 10.

السلام أنه قد توهم البشارة أو تخيلها بسبب شدة تطلعه إليها، فطلب آية من الله ــ تعالى ــ كي يطمئن إلا أنه لم يتوهم ولم يتخيل، وحينئذ يحفز زوجته وقومه بما بشرته به الملائكة، وكانت الآية التي منحه الله إياها ليطمئن أنه لا يتوهم ولم يتخيل، أنه لم يتمكن من الكلام مدة ثلاثة أيام..."[1].

3 ــ الآية بمعنى جزء من القرآن: ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَاتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [2] ، وقوله تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[3]. سورة النحل آية 101.

والمراد بالآية هنا ذلك الجزء في القرآن المركب من الجمل ولو تقديرا[4] منقطعة عما قبلها وعما بعدها.

4 ــ الآيات بمعنى الأحكام: كما يظهر خلال قوله تعالى: ﴿وَالذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [5]، أي إن

---

[1]–: مفهوم الآية في القرآن الكريم ، أحمد محمد عرفة، مجلة الأزهر، ص: 1580.

[2]– سورة البقرة الآية: 106.

[3]– سورة النحل آية 101.

[4]– هذا التفسير للجعبري، أورده الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن ص: 266.

[5]– سورة البقرة ، الآيتان: 239 – 240.

إن الله قد بين للناس واجباتهم والتزاماتهم وحدودهم، فما عليهم إلا أن يتدبروا آياته ليعقلوها[1].

كما يظهر من قوله تعالى في سورة النور، ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَاكُلُواْ مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَاكُلُواْ جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [2].

وفحوى هذه الآية أن الله أزال الحرج والضيق عن ذوي الأعذار(الأعمى، الأعرج، والمريض) في مشاركة الناس الأكل، سواء في بيوت آبائهم أو أمهاتهم أو غيرهم مما أشارت إليهم الآية، وأمر بإلقاء التحية والسلام. وهكذا، يبين الله عز وجل الأحكام (كما أوضحتها الآية)[3] للذين يدركون، ويميزون بين ما أحله الله، وما حرمه وما نهى عنه وما دعا إليه.

---

[1]– قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: كما بينت لكم ما يلزمكم لأزواجكم، ويلزم أزواجكم لكم، أيها المؤمنون، وعرفتكم أحكامي والحق الواجب لبعضكم على بعض هذه الآيات، فكذلك أبين لكم سائر الأحكام في آياتي التي أنزلتها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتعقلوا حدودي". انظر: "جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، م 2، ص: 600.

[2]– سورة النور، الآية: 56.

[3] – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،ج:6 ،ص: 88.

إن لفظ الآية اتخذ معاني مختلفة في القرآن الكريم، يحددها سياقها في النص القرآني؛ فتارة تأتي بمعنى العلامة، وتارة أخرى بمعنى الحجة والدليل، وتأتي أيضا بمعنى الأحكام وغيرها من الدلالات التي يستدعيها السياق، ويقتضيها المقام في ذلك النص المقدس.

ج – نوع العلاقة

تكمن علاقـــة العقل بالآية في كون جل آيات القرآن الكريـــم موجهة للعقـــل

وتستدعي إعماله، بل أكثر من ذلك لا نكاد نجد آية إلا وتدعو صراحة أو ضمنا إلى النظر والتفكر والتدبر في آياته لإدراك معانيها، والوصول إلى حقيقتها، وفهم الأحكام المتضمنة فيها.

إن آيات الله العظيمة تخاطب العقلاء وأولي الألباب في كثير من الآيات؛ مثل:

- ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].
- ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2] .
- ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾[3]
- ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾[4] .

---

[1]– سورة يونس، الآية: 24.

[2]– سورة الروم، الآية: 28.

[3]– سورة البقرة، الآية: 269.

[4]– سورة ص، الآية: 29.

فالدعوة إلى إعمال العقل واضحة وجلية من خلال هذه الآيات، "فالعقل نعمة من نعم الله تعالى العظيمة، وما ذلك إلا أن الله تبارك وتعالى أراد أن يبين للإنسان مكانته ورفعة قدره، وإنما يكون ذلك بمدى إعمال العقل، واستخلاص الإنسان ما ينفعه في الدنيا والآخرة؛ فجاءت الآيات القرآنية الكثيرة التي تحض بقوة على التفكر والتدبر والتأمل والإدراك"؛[1] للوصول إلى معرفة عظمة الخالق، وبديع صنعه، وحسن تدبيره؛ فيزيد بذلك إيمان الإنسان بالله، ويقوى خشوعه لله، وترسخ في ذهنه قيم القرآن الجليلة.

وما يجدر التأكيد عليه في هذا المقام أن تلاوة آيات القرآن،[2] بدون تفكر ولا تدبر، هي تلاوة لا جدوى منها ولن تحقق الغرض المنشود من الوحي؛ فالآيات الكريمة تحمل في كنهها حكما وأمثالا، وقصصا، ووعدا ووعيدا، وترغيبا وترهيبا، وأوامر ونواهي، والوصول إليها يتحقق بإعمال العقل والتفكر أثناء قراءتها، ومن هذه الآيات قوله تبارك وتعالى:

﴿إِن فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [3].

---

[1]- آيات العقل في القرآن الكريم، دلالة اللفظ وإعجاز التدبر والتفكر، إسراء إبراهيم كامل، مجلة كلية الآداب، ص:353.

[2]- المقصود بالتلاوة هنا "التلاوة الحقيقية، وهي تلاوة المعنى، واتباعه، تصديقا بخبره وائتمارا بأمره، وانتهاء عن نهيه، وائتماما به، حيث ما قادك انقدت معه، فتلاوة القرآن تتناول تلاوة لفظه ومعناه وتلاوة المعنى أشرف من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الثناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهل تلاوة ومتابعة حقا". ينظر: "مفتاح دار السعادة، للعلامة ابن قيم الجوزية، ص: 62.

[3]- سورة آل عمران، الآيتان: 190-191.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

وقد دعت هذه الآيات، وغيرها كثير، تدعو إلى التدبر والتفكر، لاستخلاص العبر، وتحقيق الغاية الجليلة التي من أجلها وجب التعقل والتفكر، وهو الإيمان والتصديق وعظمته، وتوحيده.

وبذلك، تكون علاقة العقل بالآية علاقة تكاملية، حيث إن فهم الآيات، والإحاطة بحقائقها المطلقة يستدعي العقلاء الذين يقفون عند كل آية للوصول إلى ما تكتنزها من دقائق الكون وأسراره.

إذن، هناك علاقة تكامل بين مضامين الآيات الكريمة وإدراكات العقل، حيث لا يمكن استيعاب هاته المضامين إلا بإعمال العقل كما لا يمكن إدراك حقائق الوجود إلا بوجود آيات القرآن الكريم. وبمعنى أدق فهم الآية والنفاذ إلى أسرارها يستلزم العقل، والعقل يستدعي الآية لمعرفة ما عجز عن إدراكه وتفسيره.

2- علاقة العقل بالقلب

اقترن لفظ العقل بلفظ القلب في قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا

[1]- سورة فصلت، الآية: 53.

[2]- سورة الغاشية، الآيات: 17-22.

تَعْمَى ٱلأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ)[1].

أ – مفهوم القلب في المعاجم اللغوية والاصلاحية.

- **في المعنى اللغوي.**

جاء في مقاييس اللغة: "القاف واللام والباء أصلان صحيحان.أحدهما يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على رد الشيء من جهة إلى جهة"[2].

فالقلب بالمعني الأول هو قلب الإنسان، ذلك العضو الموجود في الجانب الأيسر للصدر، وبالمعنى الثاني هو تغيير الشيء من جهة إلى جهة أخرى، أو من حال إلى حال آخر.

ويطلق القلب على مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط،[3] ويعبر عنه كذلك بالعقل[4]: **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوَ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[5] .**

ويسمى لب النخلة بالقلب أيضا.[6]

إجمالا؛ يمكن القول إن القلب يراد به، في أصله، ذلك العضو الموجود في الجهة اليسرى من الصدر، الذي يضخ الدم في الأوعية الدموية لتزويد خلايا الجسم بالأوكسجين.

---

[1]– سورة الحج الآية: 46.

[2]– مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (قلب).

[3]– معجم العين للخليل بن أحمد الفراهدي، مادة (قلب).

[4]– تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة (قلب).

[5]- سورة ق، الآية:37.

[6]– تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة (قلب).

ويراد به كذلك تغيير الشيء أو تحويله من جهة إلى جهة أخرى، وأحيانا يطلق القلب ويراد به العقل، وكذلك يقصد به الشجر أو وسطه.

- **في المعنى الاصطلاحي.**

قال الجرجاني: "القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح الباطنة، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب والمطالب والمعاتب".[1]

وأورد التهانوي في تعريفه للقلب معنيين أولهما: أنه عضو صنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر. وهذا القلب يكون للبهائم أيضا، بل للميت أيضا.

وثانيهما، أنه لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلق كتعلق الأغراض بالأجسام، والأوصاف بالموضوعات[2].

نتوصل من خلال هذه التعاريف المختارة أن القلب له معنى مادي، إذ يقصد ذلك الجهاز الذي يوجد في القفص الصدري في جهته اليسرى، يشترك فيه الإنسان والحيوان، ويقوم بتوزيع الدم في الجسم من خلال النبضات. ومعنى معنوي وهو ما عبر عنه باللطيفة الربانية، ويقصد بها الجانب الباطني للإنسان؛ المرتبط بالعواطف والرغبات. فالقلب في هذا الشأن؛ له دور الموازن في شخصية الإنسان، بين ما هو عاطفي و ما هوحسي وما هو عقلي منطقي.

ب – مفهوم القلب في القرآن الكريم

---

[1]– التعريفات للجرجاني، مادة (القلب) .

[2]– كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، مادة (القلب).

كثيرا ما تحدث القرآن الكريم عن القلب، ووظائفه وأنواعه والأمراض التي تشوبه، "وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن القلب، وأهميته بالنسبة لجوارح الإنسان كلها، وعن أنواعه وأمراضه، وطرق تزكيته، وما إلى ذلك مما له تعلق بهذا الموضوع.[1]

وهو من الأعضاء الأكثر تكررا في القرآن الكريم حيث ورد مائة وثمان وثلاثين مرة (138)[2]، و تجدر الإشارة إلى أن المقصود بالقلب في القرآن الكريم ليس ذلك الجهاز العضلي الذي أجمع علماء الطب أنه مضغة ترسل الدم لجميع أنحاء الجسم والأكسجين والغذاء، وإنما القلب الذي يتحدث عنه هو الروح وموطن الإحساس والمشاعر، الذي أودعه الله في الناس قاطبة، وأناط به وظائف معرفية كالتعقل والتدبر، ووظائف محورية كالرحمة والقسوة، ووظائف روحية مثل الإيمان والتقوى.

تكمن أهمية القلب في القرآن الكريم في كون الله عز وجل جعله منفعة المؤمن، وجعل سعادته في طهارة سريرته وصفاءها في ذلك قوله تعالى: **(يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنَ آتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)**[3].

وقوله : **(مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ)** [4].

وتتجلى أهمية القلب في كونه محل نظر الله عز وجل يوم القيامة قبل العمل؛ فلا تصح الأعمال إلا إذا زكت وتطهرت القلوب؛ لأن فيها يتمركز الإيمان والكفر، والعلم والجهل، والهدى والضلال، والحب والكره.... يقول تعالى: **(أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا**

---

[1]– القلوب في القرآن الكريم: صفاتها، وعلاج أمراضها، إدريس علي الطيب، ص: 15.

[2]– مفهوم القلب في القرآن الكريم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، الدكتور نجيب بن عبد الله المدغري، ص: 48.

[3]– سورة الشعراء، الآيتان: 88–89.

[4]– سورة (ق)، الآيتان: 33–34.

بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)[1].

والمقصود هنا (وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ): إذا أعلن ما يسرون في قلوبهم لأن الله يعلم ما تخفيه قلوبهم ومطلع على أعمالهم ونياتهم، فهو لا تخفى عليه خافية، لذا كان للقلب عناية خاصة في الشريعة الإسلامية، لأنه موضع الخشوع والخضوع والانقياد لله عز وجل.

وورد القلب، في بعض استعمالاته في القرآن الكريم، بمعان مختلفة ومنها معنى العقل، أو بعض وظائفه، كما في قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[2] ، أي إن في ذلك لعبرة لمن كان له لب وعقل يتعقل ويفهم به[(3)].

وقوله : (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ)[4].

تشير آية الحج الكريمة إلى الوسائل الإدراكية التي أنعمها عز وجل على الإنسان، وقد جعل القلب الذي يراد به هنا العقل،[(5)] ويتقدم على الأبصار والسمع في الآية للدلالة على أهميته، ووظيفته الرئيسة التي تتعلق هنا بالتعقل

---

[1]– سورة العاديات، الآيات: 9–8–10.

[2]– سورة ق، الآية: 37.

[3]– تفسير القرآن الكريم، ابن كثير،ج: 7، ص: 409.

[4]– سورة الحج، الآية: 46.

[5]– التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور،ج: 17، ص: 288.

والتبصر، لأنه مركز العقل والتعقل، ومقر البصيرة التي هي أرقى من النظر.[1] وقد أثبث العلم الحديث أن القلب يتكون من عدة خلايا عصبية لها دور مهم في عمليات التفكير والإدراك وتوجيه الدماغ، ولعل هذا ما تؤكده الآية الكريمة التي تخاطب المشككين فيما أنزله الله تعالى، فنفيت عنهم صفة العقل والتبصر التي محلها القلب، فإذا كان الإنسان يدرك أشياء كثيرة بواسطة حاستي السمع والبصر، فإنه لا يستجيب إلى ما يعلمه، إلا إذا كان له قلب يحركه ويدفعه إلى العمل بها، من خلال ما يعقله الإنسان ويفهمه، لأن القلوب منشأ القرار، ومنطلق الفعل.

وارتبط مفهوم القلب في القرآن الكريم بالتدبر في قوله تعالى: **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)**[2]. بحيث تبدأ الآية باستفهام استنكاري عن سبب عدم تدبر المنافقين مواعظ الله التي تعظهم بها آي القرآن الكريم لكن قلوبهم المغلقة لا تسمح لهم بالتفكر فيما أنزل الله لأخذ المواعظ والعبر.[3]

والتدبر هو النظر في أدبار الآيات القرآنية وعواقبها للوقوف على معانيها المكنونة فيها.[4]

إن التدبر غاية يجب أن تدرك تلاوة آيات القرآن الكريم، حتى ينصرف المتدبر إلى المفاهيم والأفكار المتضمنة فيها، لتنفذ إلى قلبه؛ ومن تم ينتفع بها قولا وفعلا؛ لأن التلاوة الواعية تتجاوز اللسان لكي تنفذ إلى القلب فتهزه وتؤثر فيه فيقشعر بذلك بدن القارئ ويرتجف قلبه، فالتفكر في آيات الله والتدبر فيها يوصلان إلى الهداية. وتدبر

---

[1]– حقيقة القلوب في القرآن الكريم، لعادل العلوي، ص: 17.

[2]- سورة محمد، الآية: 24.

[3]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج: 7، ص: 44.

[4]– المصطلح القرآني: التدبر أنموذجا، إيمان بوغانم وفضيلة قراد، ص: 46.

القرآن هو مفتاح العلوم والمعارف، وبه يزداد الإيمان في القلب؛ فكلما زاد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة[1].

واستخدم القلب في الآيات القرآنية ليصيب مفهوم من المفاهيم العقلية، وهو التفقه الذي ورد في بعض الآيات، نورد منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[2].

يتوعد الله تعالى في الآية الكريمة المعرضين عن الله من الإنس والجن جهنم؛ بسبب قلوبهم المتحجرة التي لا تتفكر في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله[3]، ولا يحسنون استخدام أبصارهم وسمعهم لإدراك قدرة الخالق وعظمته.

وعموما، لقد حظي لفظ القلب بمساحة خاصة في القرآن الكريم إذ ورد في سياقات متعددة، وقد أنيطت له مسؤوليات كثيرة، وأسندت إليه عمليات عديدة لم تسند إلى أي عضو من أعضاء الجسم، فارتبط بمعان عقلية؛ كالتفكر والتدبر والتبصر وغيرها. وبمعان عاطفية؛ كالطمأنينة والسكينة والرحمة... وغيرها. لذا؛ كان الإنسان يقاد من طرف قوتين: قوة العقل، وقوة العاطفة المختزلة في القلب.

ونجد القرآن الكريم في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى وعظمته في الأمور المادية كخلق السماوات والأرض وباقي المخلوقات يوجه خطابه للعقل، ومن هذه

---

[1]– المصطلح القرآني: التدبر أنموذجا، إيمان بوغانم وفضيلة قراد، ص: 46.

[2] - سورة الأعراف، الآية: 179.

[3]– المصطلح القرآنيّ، التدبر أنموذجا، إيمان بوغانم، فضيلة قراد، ص: 46.

الآيات قوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ) [1] .

وقوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلاً سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)[2].

وقوله:(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[3].

ولكن إذا ما تحدث عن الجوانب الروحية في الإنسان وجه خطابه إلى القلوب ومن ذلك:

وقوله: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُومِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰناً مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ) [4].

وقوله:(وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ) [5].

وقوله: (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً) [6].

---

[1]– سورة الغاشية ، الآيات: 17، 18، 19.

[2] – سورة آل عمران، الآيتان: 190 – 191.

[3] – سورة النحل،الآية: 12.

[4]– سورة الفتح، الآية: 4.

[5] – سورة الحجرات، الآية:7.

[6] – سورة الفتح، آية: 4.

وقوله:(أَلَمْ يَانِ لِلذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ)[1].

من خلال ما قيل؛ ننتهي إلى نتيجة مفادها، أن بين العقل والقلب صلة وثيقة في الشريعة الإسلامية، فالمؤمن السوي يوازن بين العقل والعاطفة، والفكر والإحساس. يقول الجندي: "الإسلام يقيم قاعدة التوازن مختلف القوى في الإنسان بين الروح والجسد، والعقل والقلب؛ فيحول دون الكبت والانطلاق، وبين الإباحية والرهبانية، وبين الترف والحرمان، فهو لا يقر بالمادية المغرقة ولا بالروحانية المطلقة ويوفق بينهما في تناسق وتوازن ومواءمة تجعلهما متصلين بالإنسان نفسه من حيث هو جسم وروح، كذلك يوازن بينه كفرد وبينه كعضو في المجتمع، وبذلك يتفادى انحرافات الشطط والتطرف ويتجاوز ما يسمى بالصراع والتناقض وبهذا كله يحفظ الإسلام للإنسان وجوده بعيدا عن الانهيار والتدمير الذي يجيء نتيجة الانطلاق الذي يفرضه اعتبار الإنسان مادة، أو الجمود الذي يفترض اعتبار الإنسان روحا خالصة، وكلاهما ليس من فطرة الله التي فطر الناس عليها."[2]

ج – نوع العلاقـــــــة.

إن الإدراكات المعرفية التي يتوصل إليها الإنسان ليست سوى نتيجة اجتهاد العقل والقلب معا، في الوصول إليها. فإذا كان القلب مركزا للأحاسيس والعواطف والمشاعر والضمير؛ فالعقل هو أداة لضبطها وتنظيمها؛ وقوة مانعة كابحة إذا أسرف في استخدامها. كما أن دور القلب مهم في تليين صراحة العقل، والتدخل في حالة إفراطه في الكبح والحرمان والرهبنة.

---

[1] – سورة الحديد ، آية : 16.

[2]– معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 145.

إن سلوك الإنسان هو مزيج وتلاقح بين ما هو عقلي منطقي، ووجداني عاطفي، فإذا كان القلب يسعى إلى التعبير عن المشاعر والأحاسيس التي يختزلها داخله، ويحقق الرغبات المكنونة فيه، فإن العقل يهدف إلى تقنين هذه العمليات، ووضع حدود لها تحت قيود الدين والعقيدة والعادات والتقاليد، حتى لا يخرج الوضع عن المألوف، وبهذا تكون علاقة العقل بالقلب علاقة تكاملية؛ بحيث يكون القلب وعاء للأحاسيس والرغبات، لكي لا تسقط في المجون والكفر، والعقل بمثابة قانون ملزم لها، من شأنه أن يضبطها ويحدد نسبة استخدامها حتى لا تتجاوز الحدود الموضوعة لها.

ولفهم الإنسان ما أنزل الله على رسوله، ولتثبيت الإيمان، في قلبه كان لزاما اتخاذ العقل الذي يعتمد على المنطق والاستدلال للوصول إلى الحقائق التي يكتنزها القرآن الكريم، باعتباره قوة إدراكية. والقلب يستشعر لذة الإيمان بما أنزله الله والاطمئنان إليه، ويهتدي به؛ "فالعقل يتكامل مع القلب في الجسم الإنساني وفي المعرفة، والعقل متكامل مع الوحي في معرفة غير المحسوس، وتلك حكمة الله في حاجة العقل إلى المعرفة الخارجية لإرشاده إلى الأمور الإلهية، التي لا يمكن الاطلاع عليها إلا عن طريق الوحي. والعقل، محتاج إلى الاهتداء بالشرع، والمعونة الخارجية لا تنفي بداهة العقل بل تقتضيها، فإنه نور العقل بصدق حقائق الوحي".[1] ولعل غاية الوحي الأسمى هو إدراك حقائق قدرته وعظمته سبحانه وتعالى وحقيقة الكون بالعقل، والإيمان بها وتصديقها بالقلب.

ومما لا ريب فيه أن العقل والقلب من النعم التي أودعها الله في الإنسان، وشرفه بها، والتي تعمل على خلق التوازن في شخصيته، وتقومها حتى لا يزيغ إلى غير ما خلق لأجله، وأتجنبه الإفراط في أمور، والتفريط في أخرى، فكل واحد منهما يتمم ويكمل الآخر، وكل خلل يصيب أحدهما يتأثر به الآخر؛ فالعقل يدير ويعدل بين ما

[1]– معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 145.

يقرره ويصدره القلب مستخدما في ذلك المنطق والأسباب والأدلة، بينما القلب يحد من قوة وصلابة العقل في كبحه أحيانا لما يطلبه.

3 – علاقة العقل بالتقـــــوى :

اقترن لفظ العقل بالتقوى في القرآن الكريم في ثلاث مواضع:

- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلاَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1].

- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَاخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلاَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَّاتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ, يَاخُذُوهُ أَلَمْ يُوخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ ٱلاَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [2].

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنَ اَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلاَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلاَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلذِينَ ٱتَّقَوْاْ اَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[3].

أ– مفهوم التقوى في المعاجم اللغوية والاصطلاحية:

- **في المعنى اللغوي:**

– التقوى من الفعل وقى يقي وقيا: وتعني دفع شيء عن شيء بغيره.

– ووقيته أقيه وقيا ووقاية: ما يقي الشيء[1].

---

[1]– سورة الأنعام، الآية: 32.

[2]– سورة الأعراف، الآية: 169.

[3]– سورة يوسف، الآية: 109.

- الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره[2].

- ووقى وقيا ووقاية وواقية، صانه، قال الشاعر:

فَعَادَ عَلَيْكَ لَكِـــنْ حَـــظَّـــا وَوَاقِيَةً كَوَقِيَّةِ الكِـــلاَبِ[3]

والتقوى "جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه، والمقتضى بمقتضاه"[4].

ورجل تقي: معناه أنه مُوَقٍّ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح[5].

نلحظ من خلال ما سبق أن لفظ التقوى يراد به اللغة الوقاية من الأذى والضرر، ويطلق أيضا على الخوف والخشية بحسب ما يقتضيه المقتضى.

والتقوى، بمعنى آخر يحيل على كل ما يتخذه الإنسان حاجزا ومانعا لكل ما من شأنه أن يضره، أو يلحق به الأذى، وغالبا ما يرتبط هذا المفهوم بعلاقة الإنسان بربه، فالمتقي هو كل من يجتنب نواهيه تعالى، ويمتثل لأوامره خشية عذابه، وطمعا في التقرب إليه عز وجل.

- **في المعنى الاصطلاحي**

جاء في التعريفات أن كلمة التقوى عند أهل الحقيقة هو" الاحتراز بطاعة الله عن

---

[1]– مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (وقى).

[2]– مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (وقى).

[3]– ورد البيت في لسان العرب، لابن منظور، مادة (وقي).

[4]– مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة (وقى).

[5]– لسان العرب، لابن منظور، مادة (وقي) .

عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل وترك. والتقوى في الطاعة يراد به الإخلاص، وفي المعصية يراد به الترك والحذر. وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل محافظة آداب الشريعة. وقيل مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى"[1].

وجاء في كشاف اصطلاحات الفنون، أن الاتقاء: هو "افتعال من الوقاية، وهي فرط الصيانة، وشدة الاحتراس من المكروه"[2].

وجاء في معجم التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي أن الأصل الواحد في المادة: هو "حفظ الشيء عن الخلاف والعصيان في الخارج، وفي مقام العمل، والتقوى تختلف خصوصياته باختلاف الموارد، والجامع هو صيانة الشيء عن المحرمات الشرعية والعقلية، والتوجه إلى الحق، وإلى تطهير العمل، وإلى الجريان الطبيعي المعروف"[3].

إذا، من خلال هذه التعريفات للفظ التقوى في بعض المعاجم الاصطلاحية أمكننا القول أن التقوى تتمحور حول فكرتين أساسيتين:

- عبادة الله وطاعته، وامتثال أوامره رجاء نعيمه.
- الابتعاد عن المحرمات، وترك المحظورات، واجتناب نواهيه خشية عذابه.

ب – مفهوم التقوى في القرآن

---

[1]– التعريفات للجرجاني، مادة (التقوى).

[2]– كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، مادة (التقوى).

[3]– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، مادة (التقوى).

ورد لفظ التقوى في القرآن الكريم، بمختلف مشتقاته اللفظية وبتكرارها في القرآن الكريم مئتين وثمانا وخمسين (258) مرة[1]، بصيغ اسمية وفعلية متعددة تظهر من خلال الآيات التالية:

- قال تعالى: (وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)[2].

- قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3] .

- ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلأَرْضِ وَإِذَ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوۤاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[4].

- ﴿وَأْمُرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْـَٔلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5] .

يتبين من خلال هذه الآيات أن لفظ التقوى ورد في القرآن الكريم بمشتقات ومعان متعددة، وفي سياقات وأساليب مختلفة، فقد جاء أسلوب الأمر والنهي، وجاء بصيغ الفعل الماضي والمضارع والأمر، وهذا التعدد في الاستعمال يدل على مدى عناية الشارع بالتقوى. وتكمن أهمية التقوى في الثمار والمنافع الكثيرة التي يجنيها

---

[1]- مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور محمد البوزي، ص:112.

[2]- سورة البقرة، الآية: 281.

[3]- سورة آل عمران، الآية: 102.

[4]- سورة النجم، الآية: 32.

[5]- سورة طه، الآية: 132.

المتقي في الدارين الدنيا والآخرة، فهي أعلى مرتبة من الإيمان، يمكن أن يصل إليها الإنسان فيعبد الله كأنه يراه، ويسلك طريق العبادة والصلاح، ويلازم القرآن وذكر الله، ويقوم بجميع الفرائض والمستحبات، ويجتنب المحرمات والمعاصي كبيرة ،وصغيرة. كما تكمن أهميتها كذلك في كونها من الشروط الأساسية لقبول الأعمال؛ فمهما أتى العبد واجباته على أكمل وجه، وأخلص نيته لله؛ فإن لم يكن متقيا رفضت أعماله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [1]. فالآية تبين منزلة التقوى الرفيعة في القرآن الكريم من خلال قصة ابني آدم قابيل وهابيل "وحيث حلت التقوى في القلب والعمل من العبد؛ فإن الله يقبل أعماله؛ لأن هذه الأعمال كذلك كانت السبب في محبة الله له، إذ لو كانت طاعته وقربانه في غير محل القبول ما وصل العبد إلى محبة الله ولا ولايته، أعماله مردودة لفقدها أحد شرطي القبول الإخلاص والمتابعة"[(2)].

وقد أشاد الله تعالى بمكانة ومنزلة المتقين في مواطن عديدة في كتابه المبين وشرفهم بمحبته في قوله تعالى :﴿إن الله يحب المتقين﴾[3]، وبشر بنصرتهم، وتأييدهم وتوفيقهم، في قوله تعالى:﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ وَاعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [4]. وأعد لهم خير الجزاء في الدارين الدنيا والآخرة، وفي قوله تعالى ﴿أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ

---

[1]– سورة المائدة، الآية: 27.

[2]– التقوى في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي، الدكتور محمد الدبيسي، ص: 130.

[3]– سورة التوبة، الآية: 7.

[4]– سورة البقرة، الآية: 194.

﴿ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، ووعدهم بتيسير أمورهم المستعصية، وإزالة الكربات والهم والغم عنهم، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْراً﴾[2].

تلكم كانت جملة من فضائل التقوى والبشرى التي أعدها الخالق عز وجل للمتقين، فهي سفينة للنجاة من أهوال يوم القيامة، وفي شدائد الدنيا وصعابها.

إن معنى العقل واضح ومتجلي في آيات القرآن الكريم التي تدعو إلى التدبر والتفكر فيها، للوصول إلى ما تختزنه من أسرار وحقائق تنير العقول، وتلين القلوب، وتزيد المثابر إيمانا وتقوى كقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾ [3]

وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾ [4].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيۤ أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾[5].

---

[1]– سورة يونس، الآيات: 62–63–64.

[2]– سورة الطلاق، الآية: 5.

[3]– سورة النساء، الآية: 28.

[4]– سورة (ص)، آية : 29.

[5]– سورة الروم، الآية: 8.

ترشدنا الآيات الكريمة إلى طريق الهداية والتقوى طريق السعادة الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة، والمتمثلة في تدبر آيات القرآن ومضامينها، والتفكر في خلق الكون حتى تتضح للعبد الرؤية، وتطمئن نفسه بوعد الله، ويخشع قلبه بوعيده. لأن "هذا الكتاب المبارك يزخر بالمعاني القيمة التي لا ينقطع ثمرها، ولا يدركها إلا الذين يتدبرون آياته، ولكن ليس المقصود بالتدبر الحصول على المعرفة العلمية، وإنما أخذ العبرة والعظة والدروس العظيمة والعمل بها، وتطبيقها على أرض واقع الحياة، وهذا المعنى لا يصل إليه إلا أصحاب العقول النيرة والأيادي المتوضئة، والقلوب الطاهرة"[1].

إن أصل الدين هو معرفة الخالق عز وجل، وعقل الإنسان لن يصل إلى هذه المعرفة إلا بالتفكر في آيات القرآن العظيمة التي تزيد الإنسان معرفة بربه، وتقربا إليه، إضافة إلى التفكر في الكون، والمخلوقات الموجودة فيه التي تدل على وجوده، وعلى قدرته وعظمته تعالى، وهذا الأمر من شأنه أن يزيد في تقوى الإنسان، ويدخل نور الإيمان إلى قلبه؛ لأن "التفكر في خلق الله تعالى يغرس التقوى في القلوب. فالله تبارك وتعالى ملأ هذا الكون الذي نعيش فيه بالآيات الدالة عليه سبحانه وتعالى، فقد جعل الله سبحانه الشمس ضياء، والقمر نورا، وقدره منازل، لنعلم عدد السنين والحساب، وخلق الله الليل والنهار، وجعلهما يتقارضان، فيطول هذا، وينقص هذا؛ ثم يقع العكس، وخلق في السماوات والأرض آيات كثيرة عظيمة"[2].

إن إطلاق سراح العقل من الأشياء الآمرة بها آيات الكتاب المبين، للخروج من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى الإيمان والتقوى، ويتبين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ

[1]– التقوى في القرآن الكريم، تفسير موضوعي، محمد أحمد زهور، ص: 125.

[2]– التقوى، تعريفها، وفضلها، ومحذوراتها، عمر سلمان، ص: 41.

﴿ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[1]، وهي إشارة إلى قصر أمد الدنيا، وزوال نعمها أمر لا شك فيه، وأن الآخرة هي الأنفع والأبقى، للذين عملوا من أجلها، فالآية تنبه المغرورين بالحياة الدنيا الفانية وشهواتها وملذاتها، وتدعو الغافلين عن طاعة الله إلى عبادته وتقواه، والتعقل في ما هم فيه من غفلة وغرور.

وفي قوله: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2] .

إن هذه الآية بصدد توبيخ المشركين الذين يكذبون بالله؛ ويزعمون أنه سيغفر لهم على الرغم من إصرارهم على المعاصي، وأكل الحرام رغم معرفتهم بما جاءهم من وعيد على قول الباطل والافتراء على الله[3]. ذلك لأنهم قوم نفيت عنهم سمة العقل فهم من الجهلاء المغفلين.

وفي قوله:﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[4].

فقد جاء الاستفهام في الآية لتوبيخ المكذبين الجهلاء الذين لم يتعظوا بما حل بالأمم السابقة فيعرضون عن تقوى الله، وهو خير لهم في الآخرة وأبقى، لأنهم لا يعتبرون، ولا يعقلون.

ج – نــوع العلاقــة.

---

[1]– سورة الأنعام، الآية: 32.

[2]– سورة الأعراف، الآية: 169.

[3]– صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (بتصرف) م1، ص: 480.

[4]– سورة يوسف، الآية: 109.

يتبين من خلال مقاربة هذه الآيات الثلاث أن العقل يدخل في علاقة اقتضاء ولزوم مع لفظ التقوى. فتقوى الله تنير عقول العباد، وتخرجهم من الجهل إلى الإيمان بالله، وبقدرته، كما تمنعهم من الانزلاق إلى ملذات الدنيا وشهواتها.

إن تقوى الله تجعل العقل يدرك غايات الوحي، والدعوة إلى اتقاء الله موجهة، كما تبين العديد من الآيات السالفة الذكر، إلى أولي الألباب والمتفكرين والمتدبرين، كما أن إدراك الكون والوجود، ومعرفة حقائق الوحي يتم بالعقل، فتدبير آيات الله، والابتعاد عن كل ما يمكن أن يسقطه في متاهات المعاصي والذنوب، والالتزام بعبادة الله وطاعته.

خلاصة القول، وما نجد مناسبا للتعبير عن علاقة العقل بالتقوى هو أن التقوى تنير العقل وبها يهتدي، كما أن هذا الأخير يقوي التقوى، ويثبتها في القلوب.

4- علاقة العقل بالقرآن.

اقترن لفظ العقل بلفظ القرآن الكريم في الآيتين الآتيتين:

يقول تعالى: (**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**).[1]

يقول تعالى: (**إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**).[2]

أ – مفهوم القرآن في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي.**

[1] – سورة يوسف، الآية: 2.

[2] – سورة الزخرف، الآية: 3.

جاء في مقاييس اللغة: "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك قرية لاجتماع الناس فيها، ويقال قريت الماء في المقراة: أي جمعته".[1] "وقرأت القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه، وقرأ فـــــلان قراءة حسنة، فالقرآن مقروء، وأنا قارئ ورجل قارئ عبد ناسك".[2]

وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا، ومنه سمي القرآن، وقال أبو عبيدة، سمي القرآن لأنه يجمع الصور فيضمها، وقوله تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ)** [3] أي جمعه وقراءته.[4]

ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا: أي ألقيته.

إذا، فالقرآن من قرأ، يقرأ، قرآنا؛ أي يجمع، وقد سمي بهذا الاسم لأنه جمعت فيه مجموعة آيات وسور، وتم ضم بعضها إلى بعض؛ لتكون ما يعرف بالقرآن. وهنا جاء المعنى اللغوي مرادفا لمعناه القرآني كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ)**[5].

وقد يراد بالقرآن تلاوة آياته أو إلقاؤها والنظر فيها.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

---

[1]– مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (قرأ).

[2]– العين، للخليل أحمد الفراهدي، مادة (قرأ).

[3] – سورة القيامة، الآية: 17.

[4]– تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة (قرأ).

[5]– سورة القيامة، الآية: 17.

جاء في التعريفات: القرآن هو المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول منه نقلا متواترا بلا شبهة. والقرآن عند أهل الحق هو العلم اللدني الإجمالي؛ الجامع للحقائق كلها،"[1].

وقال محمد علي الصابوني عنه: "هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس".[2]

والملاحظ من خلال التعريفين أن القرآن هو كلام الله أنزله على رسوله بشكل متفرق عن طريق جبريل عليه السلام، ليكون معجزة خالدة، مؤكدة لصدق ما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو حامل لحقائق وتشريعات؛ شاملة لجميع نواحي الحياة، نقل من جيل إلى جيل، دون أن يمسه أي تحريف أو تغيير، وتلاوته يعبد المؤمن الله تعالى ويتقرب منه.

ب – مفهوم القرآن في القرآن الكريم

وردت لفظة القرآن واشتقاقاتها في سياق النص القرآني تسعا وستين(69) مرة، منها ثلاث وخمسون (53) مرة في العهد المكي، و ست عشرة (16) مرة في العهد المدني.[3]

إن القرآن الكريم –كما استعمل في عدد من الآيات الكريمة– هو اسم يطلق على كلام الله المنزل على الرسول خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه

---

[1]– التعريفات للجرجاني، مادة (القرآن) .

[2]– التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ص: 8.

[3]– لفظة القرآن – دراسة موضوعية– إعداد: جملات عبد محمود أبوناصر، ص: 10 – 11.

ومعناه، المتعبد بتلاوته، المتحدى الإتيان بمثله، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في الصحف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ويشتمل القرآن الكريم على مائة وأربع عشرة (114) سورة. وعلى ستة آلاف ومائتين وست وثلاثين(6236) آية بِعَدِّ أهل الكوفة، وستة آلاف وستمائة وست وستين(6666) بِعَدِّ غيرهم.

- المقصود بكلام الله المنزل على الرسول: أي كتاب إلاهي في الأصل؛ أوحاه رب العالمين بالحق ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾[1] ، إلى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل، وتكلف بحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2]، من أي تحريف أو تغيير على مر العصور والأزمنة، على عكس الكتب السابقة التي تعرضت للتحريف.

- المعجز بلفظه ومعناه: أي من حيث أسلوبه "فقد تميز القرآن بنظام فريد معجز نسجت فيه مفرداته وسياقاته كما تميز بخصوصية دلالية وخصوبة مفهومية"،[3] أفحمت العرب رغم بلاغتهم وفصاحته المعهودة وحسن نظمهم، كما أن القرآن تميز بانسجام وتماسك بنائه[4].

ويزيدك عجبا لا ينفذ أن هذا الكلام لم يأخذ من اللغة صنعتها، ومن الأسلوب جماله، ومن الفصاحة رونقها، ومن البلاغة سموها فحسب، بل أخد مع هذا كله من المعاني أسماها، ومن المقاصد أعلاها.

---

[1] – سورة الإسراء، الآية: 105.

[2] – سورة الحجر، الآية: 9.

[3]– ندوة: بلاغة النص القرآني، تقديم أحمد عبادي، ص:5.

[4]– ندوة: بلاغة النص القرآني، مداخلة الدكتور: عبد الرحمن بودرع، ص: 95.

وقد جاء الدين بأصوله وحججه وبراهنه وشريعته وآدابه وسائر مقومات الأمة على أكمل وجه وأحسنه فهو إعجاز في إعجاز"[1]، حيث تميز القرآن بعظمة تشريعاته وشموليته وتكامل قوانينه التي تنظم حياة الأفراد والجماعات في كافة المجالات، وتضمن حقوقهم، وتحمي استقرارهم، وتضمن أمنهم، وتهديهم إلى التي أقوم في الدنيا والآخرة، لأنه من لدن حكيم مصداقا لقوله تعالى: (حَكِيم خَبِيرٍ) [2]. إذن، فالقرآن الكريم منذ نزوله فهو محل إكبار وإجلال لبلاغته وفصاحته وبيانه وحكمته، ولأنه يهدي إلى الصراط المستقيم، ويحض على إتباع طريق الصلاح والإصلاح، وينظم شؤون العباد تنظيما محكما بحكمته.

- المتعبد بتلاوته: فالتلاوة من الأشياء التي يتقرب به المؤمن إلى ربه، وينال الأجر والثواب، سواء كان قارئا أو مستمعا، وقد يقصد بالتعبد بتلاوته أن "من العبادات الشرعية ما لا يتم إلا بتلاوة القرآن وهي الصلاة عمود هذا الدين، أما الثواب على التلاوة فيحصل سواء كان في صلاة أو خارجها."[3]

وقد وردت في القرآن الكريم آية تربط تلاوة القرآن الكريم بالعبادة (الصلاة) وذلك كما في قوله تعالى: (**آَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**) [4]. وذهب الطبري إلى تفسير قوله تعالى: (**قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ**) بصلاة الفجر[5]. وعموما؛ تبقى تلاوة القرآن الكريم من المقاصد المنشودة في الدين، سواء كانت في الصلاة أو في غيرها، شرط أن

---

[1]– خصائص القرآن الكريم، فهد الدين بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، ص: 96–97.

[2]– سورة هود، الآية:1.

[3]– خصائص القرآن الكريم فهد الدين بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، ص:133 .

[4]_ سورة الإسراء، الآية: 78.

[5]– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، م:5، ص:57.

تكون تلاوة تدبرية تأملية لتثبيت قواعد الإيمان في القلب، وللولوج إلى مفاتيح العلم والسعادة.

- المتحدى بسورة مثله، يعني أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وتحدي العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة الذين كذبوا كلام الله، وزعموا أنه من تأليف نبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**)،[1] فلم يستطيعوا الإتيان بمثله على رغم من قوة فصاحتهم وبلاغتهم، ورجاجة عقولهم. ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله في قوله تعالى: (**أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**) [2]؛ فعجزوا عن الإتيان بعشر سور مفتريات. ثم تحداهم بالإتيان بسورة مثله في قوله تعالى: (**أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**)[3]. ومع هذا كله عجزوا عن المعارضة وهم فرسان البيان، ورجال البلاغة والفصاحة، فالقرآن يصلب ألبابهم، ويؤثر في عقولهم وقلوبهم.[(4)]

إن القرآن الكريم ليس بشعر ولا نثر وإنما هو كلام خاص به عز وجل مصداقا لقوله عز وجل: (**إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۖ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾**) [5]، وقفت البلغاء والفصحاء منذ نزوله أمامه منبهرين معترفين باستحالة الإتيان بمثله؛ لأنه

---

[1]- سورة الإسراء، الآية: 88.

[2]- سورة هود، الآية: 13.

[3]- سورة يونس، الآية: 38.

[4]– كيف نتعامل مع القرآن، يوسف القرضاوي، ص: 39.

[5] سورة الحاقة، الآيات: 41–42–43

نسج وسبك على نحو محكم وفريد، مخالف لما عهدوه في الشعر والنثر، "فمنذ نزل والبشر يدرسه ويسنبط منه ويبحث عن ذخائره وعجائبه، حتى جاء العصر الحديث حيث توجه لدراسته جمهور من غير المسلمين، وأخذتهم الدهشة من هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولما كان إعجاز القرآن البياني يتبين في لفظه العربي، الدال على معان دقيقة، وتعابير خالدة، فقد امتعنت ترجمته الإعجازية؛ فهو إذا ترجم لفظه فقد قوته التعبيرية ودقة معانيه"؛[1] فهو معجزة خالدة على مر الأزمان، لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، تحدى الله البشرية بها جمعاء.

– المنقول إلينا بالتواتر: يقصد بالتواتر أن القرآن الكريم عندما أوحي به إلى المصطفى الأمين، بلغه بكل أمانة وصدق للصحابة. والصحابة لقوه للتابعين، وبقي القرآن يتناقل من جيل إلى جيل، بدون أي تغيير أو تبديل. "وقد ثبت بالتواتر حيث نقلته جماعة المؤمنين كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقلا حرفيا، بطريقة المشافهة وبالكتابة، وأخذته أجيالهم، جيلا عن جيل بما لا يحتمل معه تغيير حرف من حروفه، أو سقوط أي حرف منه، حتى بلغنا هذا التواتر عن نقله إلى نهاية الزمان"[2].

وهكذا توارثت الأجيال اللاحقة القرآن عن السابقة بكلماته وآياته وسوره، وكيفية أدائه وترتيله بدون زيادة ولا نقصان ولا تحريف.

– المكتوب في الصحف ابتداء من سورة الفاتحة إلى سورة الناس: أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وتكلف بحفظه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

---

[1]– هذا القرآن، عبد الحي العمراني، ص: 33.

[2]– تاريخ القرآن عبد الصبور شاهين، ص: 33.

ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)[1]، أي حفظه على مر العصور والأزمان، فلم تمسه أيادي الإنس والجن، ولم ينقص منه شيء ولم يزد فيه، إذ الله يسر حفظه في صدور الناس في قوله تعالى: (**لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ**)[2] ويقصد بجمعه[3] هنا: حفظه في صدره صلى الله عليه وسلم وتلاوته. وقوله: (**وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ**)[4]. أي جعله سهل الحفظ حتى لا تضيع منه كلمة أو آية. وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كُتَّاباً يكتبون آيات وسور القرآن الكريم كلما أوحى الله إليه شيئا من القرآن، وقد اختلفت المصادر في تعدادهم وذكرهم حتى أوصلها بعضهم إلى أربعة وأربعين (44) كاتبا.[5]

لقد بدأ تدوين القرآن في فور نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يكتب على ما كان متاحا آنذاك من الوسائل؛ كالجلد، العظم، العشب (جريد العشب)، الخشب، والحجارة. ومع تطور أساليب وتقنيات الكتابة الحديثة؛ زادته انتشارا واتساعا في جميع بقع العالم بطريقة ميسرة، وبإحاطة وعناية إلاهية كما أقسم على ذلك في قوله: (**فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ**)[6]، فجعله في كتاب مكنونا مصونا محفوظا برعايته وحمايته عز وجل؛ لذا يقدر أحد على التجاسر عليه،

إن القرآن الكريم جاء لينظم حياة البشر؛ وليخرجهم من الظلمات إلـــى النـــور

---

[1]- سورة الحجر، الآية:9.

[2]- سورة القيامة، الآيتان: 16-18.

[3]- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج:8، ص:278.

[4]- سورة القمر، الآية: 22.

[5]- جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سلمان العبيد، ص: 25.

[6]- سورة الواقعة، الآيات: 78-79-80-81.

بوصفه "دعوة شاملة للعقيدة والشريعة، اشتمل على بيان العقيدة في صفائها، وعلى وضع أسس التشريع في مختلف الجوانب التي تمس حياة العباد. فرجل التوحيد والفلسفة يبحث عما يؤيد نظريته والفقيه يستنبط منه الأحكام، سواء ما يرجع منها للعبادة كالصلاة والصوم والزكاة والحج، أو ما يرجع منها إلى الأمور المدنية، كالبيوعات والإجارات، أو إلى الجنائية كالسرقة والقتل، أو إلى نظام الأسرة والأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والإرث، أو علاقات المسلمين مع بعضهم أو مع غيرهم؛ كالقتال وأحكام المحاربين والغنائم والعهود."[1]

فهو دستور ينظم كل ما يتصل بحياة البشرية كبيرها وصغيرها، أفرادا وجماعات، بأحكام ونصوص تحقق هذا الغرض، وتلزم الناس بضرورة تطبيقها، والعمل بها لتزكية الأمة وإصلاحها، وتحقيق مصالحها ودرء المفاسد عنها.

وقد وصف القران بالحكمة: (يَسٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ)[2] لتضمنه الحكمة، فكل ما جاء به القرآن من قصص وأحكام، وأوامر، ونواهي، ومواعظ هي في منتهى الحكمة، فالله أقسم في هذه الآية بالقرآن تشريفا لقدره وتعظيما له. ووصفه بالحكمة لاشتماله عليها، والناطق بها من حيث نظمه، وأحكامه، وشرائعه.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على نبيه القطعي الثبوت، وهو الحق المبين، الشامل على العلم المطلق، والحقيقة المطلقة، تحتكم إليه العقول وفق ما يرضاه الله ويرتضيه، وتستنير به؛ بواسطة الحقائق والعلوم التي يحتويها النص القرآني، فالعقل نور مصباح يكشف سر الخلق والكون أو أن يضع مبادئ المعرفة، وليس هناك عقل مطلق محرر من النقص والشهوة، وليس العقل الحكم الأخير"[(3)].

---

[1]– هذا القرآن، عبد الحي العمراني، ص: 32.

[2] – سورة يس، الآية: 1.

[3]– معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 154.

يراد بما ورد في آخر النص؛ أن العقل وحده يظل عاجزا عن إدراك الحقائق المطلقة، والوصول إلى أسرار الكون كلها، ووضع تفسير لمجموعة من الأحداث والقوانين الكونية، لأنه يعتمد على الحس والتجربة فقط، لذا كل ما يتوصل إليه العقل يبقى في الأخير محتملا الخطأ والصواب، وتبقى إدراكاته للكون والحقائق محدودة نسبية. لأن هناك أمور مادية وحقائق لا تدركها الحواس، ولا يستوعبها العقل رغم وجودها، وفي هذه الحالة يكون لزاما عليه الاسترشاد والاهتداء بالوحي بصفة عامة، والقرآن بصفة خاصة؛ لتفسير وتحليل ما عجز عنه العقل؛ لأنه ببساطة غير كاف ولا مكتف بذاته، وإلا لما كانت الحاجة إلى الوحي أصلا، ويبقى العقل تابعا للوحي يمارس مهامه وصلاحيته وفقا للخريطة التي رسمها له الوحي وللحدود التي ألزمه إياها.

إن العقل لا يكون حكما على القرآن، وإنما محتكما إليه، من خلال فهمه وتدبره لآياته، وما تتضمنه من حكم ومواعظ وعبر، ومحاولة تنزيلها على الواقع، وتحقيق غاياتها النبيلة التي تزيد من ارتقاء المستوى الإيماني لصاحبه، وتسمو به إلى مدارج الكمال.

أودع الله العقل للإنسان ليصل إليه، فيعرف ما يرضيه فيقوم به، ويعرف ما يغضبه فيبتعد عنه، ويعرف أسماءه الحسنى وصفاته العليا من خلال آثاره في الكون، فيدرك حكمته من خلال عظمة الحكيم، ويدرك القوة من عظمة القوي؛ لأن الكون هو مظهر ومعرض لقوته وعظمته في خلقه. وإذا ما عرف الإنسان الله حق المعرفة وجد سعادته وضالته.

ولقد أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربي، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نشأ في بيئة قوم لغتهم عربية، حتى يتيسر لهم فهم آيات القرآن وعقل مضامينه وأحكامه وشرائعه، وحتى لا تكون لهم حجة بعدم فقههم لغته، وقد أشار الله عز وجل إلى ذلك

في قوله: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1]، وفي قوله: (إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [2]. إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية، لم يكن عفويا بل كانت الحكمة من ذلك، أنها كانت لغة الناس إبان نزول القرآن من جهة، ومن جهة أخرى كانت لها الريادة من حيث قوة بيانها، وفصاحة ألفاظها، وثراء معانيها والقرآن هو"النموذج الأعلى لبلاغة اللغة العربية وهو أصل الشريعة الإسلامية وعمودها، وقد أشار القرآن إلى عربية القرآن في أكثر من عشرة مواضع من سور الشعراء والأحقاف وطه وفصلت والزخرف والرعد والنحل ويوسف. والقرآن وحده هو الذي أعطى اللغة العربية مكانها، ومنح الكلمة محتواها الكامل ورسم لها حجمها الحقيقي، وجعل منها المعجزة الإلهية الباقية".[3]

ومن هذا المنطلق، كان اختيار اللغة العربية لتكون لغة القرآن ليعقله الناس العقل الصحيح، ويفهموه الفهم السليم، وليتدبروا معانيه التدبر القويم للوصول إليه.

ج – نــوع العلاقــة.

إن القرآن الكريم مستودع حقائق، وكنز معان، يستلزم فهمها إعمال العقل لاستبصار مقاصد آياته، وبواطن مفرداته. وقد دعا القرآن الكريم إلى "النظر العقلي والمحاجة بالدليل، وإلى حرية الفكر واحترام العقل وتكوين شخصية الفرد عن طريق البحث والعلم ودعا إلى استخدام الإنسان للتفكير والتدبير والذكر. ودعا إلى اعتناق الرأي نتيجة الاقتناع والتأمل دون إكراه وفتح باب الاجتهاد تقديرا لتطور الحياة وما يجد فيها من الأحداث والمعاملات، هذا من ناحية خصائص المنهج العلمي، كذلك دعا إلى النظر في الكون وتدبر آياته وعجائبه وحرص الإنسان على فهم أسرار الكون

---

[1]– سورة يوسف، الآية: 2.

[2]– سورة الزخرف، الآية: 2.

[3]– معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 90.

والحياة وأعلن في صراحة ووضوح أن كل ما في الكون خلق للإنسان، وحقه الانتفاع به"[1].

وما يمكن قوله بخصوص علاقة العقل بالقرآن هي أنها علاقة تداخل وتكامل من جهة، إذ أن القرآن الكريم لا يلغي العقل بل يحض على استخدامه في كثير من آياته بصيغ وأساليب متعددة، والعقل يعجز عن الوصول إلى حقيقة مطلقة دون فيه القرآن أو الوحي بصفة عامة؛ فهو بحاجة إلى نص قرآني ليفند به أطروحته أو يدحضها.

وإشكالية التعارض بين العقل والنقل ما هي إلا اختلاف مزعوم مبني على الجهل بحقيقة الوحي، "فالله سبحانه وتعالى أمر الإنسان بالتدبر في ملكوت كتابه، وعليه فالتأمل العقلي من ثمرته التمعن في كتابة وآياته الكريمة؛ فلا يوجد قطيعة أو تناقض بين النقل والعقل كما زعم الحداثيون؛ فالإسلام لا يجعل علاقة العقل بالدين موضع إشكال لأنهما في نظره متكاملان متناسقان"؛[2] والقرآن الكريم يشمل على حجج وبراهين واستدلالات عقلية تستدعي العقل ليدركها؛ وليستوعب كليات الأشياء.

ومن جهة أخرى، تربط العقل بالقرآن علاقة تلازم واقتضاء؛ بحيث يقتضي العقل القرآن للوصول إلى معرفة الحقائق التي يكتنزها القرآن، فهو مفتاح لإثبات وجود الله، وصفاته، وصحة معجزاته وقصصه...إلخ. وهو مصباح يهتدي به العقل إلى الطريق القويم الصحيح عن طريق التأمل والتدبر، "وقد أودعه الله في الإنسان لا ليعبد من دون الله، بل ليعرف الكون، ويكشف ما يلزمه منه، ويهتدي به في الظلمات التي ليس للدين أن يكشف عنها فمن شأن العقل أن يجول فيها ويتأمل ويدرك ويستخرج منها

---

[1]– معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 94.

[2] – جدلية العلاقة بين العقل والوحي من منظور حنفي و أبو زيد، فاطمة محمد وعبد الرحمان محمود ومحمد رازق الإدريسي ، ص : 95.

ما يهتدي إليه، وعليه أن يسلم بالأمور التي بينها الله في القرآن ولا يشتط فيدعي أنها غير صحيحة"[1].

وجملة القول أن الله خلق الإنسان من عدم، إذ لم يكن شيئا مذكورا (**هَلَ آتىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا**) [2]، ثم تفضل الله عليه بالخلق والوجود، وشرفه بالعقل. ومهما بلغ الإنسان قوة ومكانة وعلما، فإنه يظل حائرا تائها بدون توجيه و إرشاد من النص القرآني، كمصدر يقيني للعلم والمعرفة يستمد منه استقامته وتوازنه وثباته، ويمده بما عجز عن فهمه، والوصول إليه في الواقع من أسرار الكون، وخفايا الوجود، إذ لا يمكن للعقل أن يستقل في معرفة الله عز وجل وقدرته، وباقي مخلوقات بغير الاستعانة بالقرآن الكريم لأن قوة العقل الإدراكية والتمييزية والاستيعابية تظل محدودة وقاصرة، وتظل في حاجة دائمة إلى الوحي قرآنا وسنة للنفاذ إلى ذلك. كما أن القرآن يستوجب العقل، وما يقوم به من عمليات الاستقراء والاستنباط والنظر والتدبر والفهم والإدراك؛ لمعرفة غاياته وتصوراته وتوجيهاته وضوابطه والاهتداء إليها.

5- علاقة العقل والسمع :

ارتبط لفظ العقل بالسمع في القرآن الكريم في الآيات الآتية:

﴿ **لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ** ﴾. [3]

﴿**وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ** ﴾.[4]

---

[1]- معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 154.

[2]- سورة الإنسان، الآية:1.

[3]- سورة الملك ، الآية:11 .

[4]- سورة يونس، الآية: 42.

﴿ أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.[1]

أ – مفهوم السمع في المعاجم اللغوية والاصطلاحية:

- **المعنى اللغوي :**

جاء في معجم مقاييس اللغة، أن "السين والميم والعين أصل واحد، وهو إيناس الشيء بالأذن، والسمع، الذكر الجميل،"[2] والسمع أيضا : حس الأذن.[3]

وقد يقصد بالسامع: الأذن، كقول الهذلي:

فلَمَّـــا رَدَّ سَـــامِعَهُ إِلَيْـــه وَجَلَّـــى عَـــنْ عَمَايَتِـــهِ عَمَـــاه[4]

والسمع : الإصغـــاء.

والسمع : استجابة الدعاء، ومنه السميع، وهي صفة من صفات الله عز وجل.

وجاء في مفردات الأصفهاني: السمع قوة في الأذن بها تدرك الأصوات[5].

إذ؛ فالسمع هو إحساس يقع في الأذن لوصول الصوت إليها وهي عملية إدراك للأصوات؛ حيث تستقبل الأذن الأصوات، وتحولها إلى اهتزازات ليتم نقلها إلى المخ لفهمها وإدراكها. ويطلق السمع أيضا على الإنصات، وعلى الذكر الجميل .

- **في المعنى الاصطلاحي:**

وفي المعنى الاصطلاحي للسمع: هو قوة مودعة في العصب المفروش فـــي

---

[1]– الفرقان، الآية: 44.

[2] – مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (سمع).

[3] – لسان العرب لابن منظور، مادة (سمع).

[4] – البيت من البحر الوافر ورد في لسان العرب لابن منظور، مادة (سمع).

[5] – مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، مادة (سمع).

مقعر الصماخ يدرك بها السامع الأصوات لطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ[1].

وقيل أيضا: هو إدراك الأصوات بواسطة عضو الأذن الجسماني، أو بوسيلة قـــــوة روحانية، ونور باطني، أو بسبب إحاطة وجودية وقيومية مطلقة[2].

وقد استعمل السمع والإسماع في القرن كثيرا إثباتا ونفيا، بمعنى القبول لما يسمع غلبا، وقد عبر المفسرون عن هذا بالفهم والتدبر[3].

إذن السمع هو قوة متمثلة في الإحسان بالصوت، وفهمه، وهي حاسة لها أهمية في تلقي المعلومات وإدراكها والعضو المسؤول عن هذه الوظيفة (السمع) هو الأذن.

ب – مفهوم السمع في القرآن الكريم:

تعتبر حاسة السمع من أعظم الحواس التي أنعمها الله على عباده، فبواسطتها يفهم الإنسان ويدرك الأشياء، ويتعلمها مصداقا لقوله: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْـٔاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَـٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4].

من خلال الآية تتبين أهمية هذه الحاسة في حياة الإنسان وفي ممارساته اليومية من خلال معرفة الأصوات وفهمها، و كذا أهميتها في عملية التعلم والاكتساب والتواصل.

وقد تكرر مصطلح السمع بكل مشتقاته حوالي مائة وخمسا وثمانين (185) مرة،[5] وفي جميع الآيات قدم السمع على باقي الحواس، للتنبيه على أهميته الكبيرة في

---

[1] – التعريفات للجرجاني، مادة (السمع).

[2] – التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، حسن مصطفوي . مادة (سمع).

[3] – المعجم الاشتقاقي المؤصل، حسن جبل، مادة (سمع).

[4]– سورة النحل، الآية: 78.

[5] – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي مادة (سمع).

في فهم الأصوات والكلام والتعلم، وفاقد هذه الحاسة لا يمكن أن يفهم أو ينطق بالأصوات، على عكس فاقد البصر الذي يكتسب ويستوعب ما يتلقاه من خلال ما تلتقطه أذنه. كما أن البصر يتحقق من جهة واحدة وهي الأمام بوجود الضوء فقط، وفي غياب الضوء حاسة البصر لا تعمل، وفي المقابل السمع يتحقق في جميع الجهات، في النور والظلام معا. كما أن السمع أول حاسة يستخدمها الجنين بعد وضعه.

والجدير بالذكر، هنا أن من خلال الرجوع إلى آيات السمع والبصر في القرآن، نلاحظ أن السمع يفرد، والبصر يجمع، والحكمة من ذلك أن الإنسان لا يمكن له أن يتلفظ أكثر من كلمة في آن واحد بينما، يستطيع إدراك أشياء كثيرة بواسطة حاسة البصر، إضافة إلى كون الإنسان عندما يسمع كلام الله، فهو كلام حق بين واضح لا يحتمل التجربة التي تخضع للصواب والخطأ، بينما الأبصار تختلف من إنسان إلى لآخر حسب درجة إيمانه، فكلما زاد إيمان الشخص اتضحت الرؤية واخترق النور قلبه. وكلما قل إيمانه ضعفت الرؤية، ونقصت درايته، وفهمه لما جاء به القرآن الكريم.

لقد اكتست كلمة السمع معاني يحددها سياقها في الآيات، ومن المعاني التي تضمنتها لفظة السمع الفهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾[1]، فالسمع هنا يراد به الفهم؛ "أي: لو كنا ننتفع بعقولنا، أو نسمع ما أنزله الله ، ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى "اتباعهم"[(2)]، وقوله: ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[3]، أي أن منهم من يستمعون

---

[1] – سورة الملك، الآية: 11.

[2] – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج: 8 ، ص: 178.

[3] – سورة يونس، الآية: 42.

إذا قرئ عليهم القرآن لا يعون[1]، ما يقرأ عليهم لأنهم كالصم الذي لا يفهم ما يقال له.

ويدل السمع أيضا على معنى القبول والطاعة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2]. فالسمع في الآية يعني القبول([3]) وطاعة الأوامر[4].

ومن معاني السمع أيضا الإيمان بالقلب،[5] كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾،[6] وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾،[7] وقوله أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾.[8] فالسمع هنا يقصد به الإيمان بما أنزل الله والتصديق والانقياد إلى أوامره وترك نواهيه.

ج – نــوع العلاقــة

---

[1] – صفوة التفاسير، علي الصابوني، ج 1، ص: 585.

[2] – سورة البقرة، الآية: 284.

[3] – تفسير الجلالين، ج:3، ص:49.

[4] – صفوة التفاسير، ج: 1، ص: 181.

[5] – المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم، عبد الكريم بليل، ص: 304.

[6] – سورة الأنفال، الآية: 31.

[7] – سورة هود، الآية: 20.

[8] – سورة هود، الآية: 97.

إن علاقة العقل بالسمع جلية وبارزة من خلال الآيتين؛ الآية 42 من سورة الملك والآية 44 من سورة الفرقان، حيث جاء العقل معطوفا على السمع لترابطهما القوي، وتكمن هذه العلاقة في جدلية التكامل، انطلاقا من التوازي ما بين إدراك العقل وتجليات الحواس الإدراكية الحسية في الوصول إلى صورة متكاملة ومنسجمة بين ما هو إدراكي؛ عبر العقل وبين ماهو حسي مادي ملموس عبر السمع. فإذا كان السمع هو تلك القوة والإحساس الذي يقع في الأذن، فالعقل هو تلك القوة التي تدرك حقيقة هذا الإحساس، وما تلتقطه الأذن وتفهمه. إضافة إلى هذا تقوم الأذن بدور الواسطة بين السمع والعقل، للوصول إلى المعرفة. كما أن اتحاد العقل والسمع ضرورة حتمية لتحصيل العلم، وفهم الواقع والوحي، والقدرة على الاستدلال، وغياب أحدهما سيؤدي لا محالة إلى انعدام الفهم والإدراك، وصعوبة التواصل لأن "العلاقة بين السمع والعقل هي علاقة اتحاد كامل أو حتى لا علاقة بالمرة لغياب طرفين متمايزين، فالعقل هو السمع، والسمع هو العقل، تحليل العقل يؤدي إلى اكتشاف أوليات السمع، وفهم السمع يؤدي إلى اكتشاف المبادئ الأولية للعقل والحقائق الثابتة في الحياة الإنسانية"[1].

خلاصة القول أن السمع من أعظم النعم وأجلها، التي أنعم الله بها على الإنسان، لدوره في الإدراك والفهم، كما تتجلى أهميته في أخذ العلم، وتدبر آيات القرآن الكريم، والتفكر فيها أثناء الاستماع إليها، وما اقتران العقل والسمع في بعض الآيات إلا دليل على ارتباطهما القوي في عملية الإدراك والفهم. كما أن السمع جاء بمعنى الفهم والتدبر في كثير من آيات القرآن الوارد فيها مصطلح السمع، كما أن الدراسات أثبتت أن الاستماع إلى القرآن الكريم ينشط خلايا المخ، ويعالج بعض حالات الحزن والخوف والقلق، التي تصيب الإنسان، وتضفي عليه الهدوء واستقرار النفس والطمأنينة.

[1] – فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث العربي، أحمد محمد عبد الرزاق النجار، ج: 2، ص: 914.

6 - **علاقة العقل بالعلم** :

ارتبط مصطلح العقل بمصطلح العلم في الآية الكريمة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1].

أ- مفهوم العلم في معاجم اللغة والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي**:

جاء في معجم مقاييس. اللغة "العين واللام والميم أصل واحد يدل على أثر بالشيء، يتميز به عن غيره"[2] والعلم ضد الجهل، ويقال: "ما علمت بخبرك أي ما شعرت به وأعلمته بكذا، أي أشعرته وعلمته تعليما".[3] "وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفته" [4] ورجل علامة: أي عالم جدا، والهاء للمبالغة[5].

وجاء في المفردات في غريب القرآن: "العلم إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: "أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له أو نفي شيء هو منفي عنه"[6].

العلم، إذا، هو إدراك الشيء على حقيقته، ويراد به كذلك في اللغة المعرفة واليقين والإخبار.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

ورد العلم في الكليات بمعنى الإدراك والإحاطة ومعرفة الشيء كما هو عليه[7]، وفي التعريفات: هو"الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال أحد الحكماء: هو صورة

---

[1] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[2] – مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (علم).

[3] – معجم العين، للخليل أحمد الفراهيدي، مادة (عقل).

[4] – الصحاح للجوهري، مادة (علم).

[5] – الصحاح للجوهري، مادة (علم).

[6] – مفردات غريب القرآن، مادة (علم).

[7] – الكليات لأبي البقاء الكفوي، مادة (العلم).

الشيء في العقل، وقيل العلم إدراك الشيء على ما هو عليه، وقيل زوال الخفاء من المعلوم، وقيل العلم صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات. وقيل: العلم هو وصول النفس إلى معنى الشيء[1].

يمكن القول إذا، إن العلم هو الدراية بمجموعة من المعلومات والنظريات والحقائق والمعاني، التي يمكن التوصل إليها عن طريق الممارسة والتجربة أو عن طريق الدراسة.

ب –مفهوم العلم في القرآن الكريم.

جاء لفظ العلم في القرآن الكريم بشكل بارز ومثير للانتباه حيث ورد فيه ثمانية وسبعين وسبعمائة (778) آية [2]، كما جاء بصيغ واشتقاقات كثيرة ومتعددة (فعل، اسم، صفة)[3]، وقد أولاه عز وجل أهمية قصوى في القرآن الكريم، سواء للعلم للعلم أو العلماء، كقوله: (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالذِينَ ٱوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)، [4] فمن بين مقاييس التفاضل بين الخلق عند الله العلم، فمن أوتي علما، تسمو مكانته عند خالقه، فالعلم يرفع صاحبه درجات في الدارين الدنيا والآخرة، وهو مزية تنضاف إلى الإيمان وجب الحرص على تحصيلها لنيل الرفعة، وفي قوله: (هَلْ يَسْتَوِے ٱلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ٱوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ ۝)،[5] المقصود ب"الذين يعلمون": الذين يفقهون شرع الله، وما له من أحكام وأسرار وطاعات، وهم أولوا العقول والألباب من المؤمنين

---

[1] – التعريفات، الجرجاني، مادة (العلم).

[2] – مفهوم العلم في القرآن الكريم، مصطفى فوضيل، ص:54.

[3] – العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، ص: 71.

[4] – سورة المجادلة، الآية:11.

[5] – سورة الزمر، الآية: 9.

الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم[1].

وينصرف العلم في القرآن الكريم غالبا إلى معرفة الله عز وجل، ومعرفة دين الله، كما جاء على لسان محمد بن عبد الوهاب: "العلم هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة"[2]. والوسيلة إلى ذلك؛ قراءة كتاب الله، وفهمه الفهم الصحيح، والعمل بمقتضى ما أمر به، والابتعاد عما نهى عنه، وإمعان النظر في هذا الكون الشاسع المبهر، الذي يبرز لنا بوضوح وجود الخالق عز وجل وقدرته، وبديع صنعه في خلق كل الموجودات بشكل محكم ومنظم ومتناسب؛ فالعلم هو الدراية بما جاء به الوحي، وقد قيل في هذا الشأن[3]:

الْعِلْـــمُ قَـــالَ اللَّـــهُ قَـــالَ رَسُـــولُهُ
قَـــال الصَّـــحَابَةُ لَـــيْسَ خَلْـــفٌ فِيـــهِ
مَـــا الْعِلْـــمُ نَصْـــبُكَ لِلْخَـــلافِ سَـــفَاهَةً
بَـــيْنَ النُّصُـــوصِ وَبَـــيْنَ رَأْيِ سَـــفِيهِ
كَـــلاَّ وَلاَ نَصْـــبُ الخِـــلاَفِ جَهَالَـــةً
بَـــيْنَ الرَّسُـــولِ وَبَـــيْنَ رَأْيُ فَقِيـــهِ
كَـــلاَّ وَلاَ رَدُّ النُّصُـــوصِ تَعَمُّـــدًا
حَـــذَراً مِـــنَ التَّجْسِـــيمِ وَالتَّشْـــبِيهِ
حَاشَا النُّصُوصَ مِـنَ الـذِي رُمِيـت بـه
مِـــنْ فِرْقَـــةِ التَّعْطِيـــلِ وَالتَّمْوِيـــهِ

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي. ج:18، ص: 256.
[2] – الأصول الثلاثة: للإمام محمد بن عبد الوهاب، ص: 6.
[3]– الدين الخالص لمحمد صديق حسن الفتوحي، ج 3، ص: 194.

ويطلق العلم كذلك على التيقن والتبين كما جاء في تعريف ابن عبد البر للعلم: "حد العلم هو ما استيقنته وتبينته، وكل من استيقن شيئا وتبينه فقد علمه وعرفه"[1].

والتيقن هي معرفة الأشياء على حقيقتها، دون وجود أي شك في صحتها، وهو صفة من صفات العلم التي على الإنسان الحرص عليها لما لها من أثر في زيادة الإيمان بالله، والاستقامة على طاعته، لأنه بدرجة يقينه وتيقنه، بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم يكون عمله صالحا وإيمانه قويا.

أما التبين فهو التحقق من صحة الأمور أو كذبها عند تلقيها، والقرآن الكريم يدعو إلى التبين والتحري، والتثبت في القول والفعل، يقول عز وجل: (**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا**)[2] فالإنسان كما يظهر من خلال هذه الآية الكريمة، ملزم بتبين الأخبار قبل قولها وإخراجها، وبعدم اتباع القضايا غير المثبتة، وغير المستدل عليها، لأنه يتحمل مسؤولية استخدام سمعه وبصره وفؤاده.

والعلم هو الركيزة الأساسية لنهضة الأمم، وتطور المجتمعات، ومواكبة مستجدات مظاهر الحياة وتقدمها، وهو سلاح للقضاء على التخلف والجهل والعقبات التي تعترض الإنسان، و"العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأخيار والأبرار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة. والتفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته بالقيام به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام، وهو إمام، والعمل تابعه. ويلهم السعداء، ويحرم الأشقياء"[3]. وبهذا، تكون المدرسة النبوية لها نصيب في الدعوى إلى العلم؛ لأنه نور وشعلة تضيء حياة

---

[1] جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، م2، ص: 36 – 37.

[2] – سورة الإسراء، الآية: 36.

[3] – فتح الباري،، للعسقلاني، كتاب العلم، ج:1، ص: 204.

الإنسان وتحفظ له الكرامة وتحقق الرقي والازدهار، ولهذا؛ أشاد القرآن بمكانة العلم وقدر أصحابه، وحض على طلبه لفضائله الجمة، وآثاره العظيمة في الدنيا والآخرة. كما أن العلم ميزة يتميز بها العقلاء من الناس، وقد خص الله الذين يعلمون بالعقل في قوله: (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ)[1] ، يتبين من خلال الآية الكريمة أن عقل المثل من العلم المفروض أن يتعلمه الإنسان، لأن "أمثال القرآن لا يعقلها إلا العالمون وأنها شبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما الآخر"[2]

وقد لفت القرآن الكريم انتباه الناس إلى أهمية الأمثال في أكثر من آية، يقول عز وجل: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ)[3].

وضرب الأمثال في القرآن الكريم، لم يكن عبثا؛ وإنما جاء للإيضاح والبيان تارة، وللاتعاظ والاعتبار تارة أخرى، لقوله: (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [4].و يأتي ضرب المثل على أكثر من عشرة معان نذكر منها: التبين، التمثيل، الجعل، الوصف، الذكر، الوضع، الاتخاذ[5].

إن الأمثال تقرب المعاني والأفكار بشكل واضح ويسير، ولهذا "أراد الله سبحانه وتعالى من الأمثال بالقرآن الكريم أن يوضح لنا، ويقرب إلى أذهاننا معالم هي غيب

---

[1] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[2] – الأمثال في القرآن الكريم، لابن قيم الجوزية، ص: 174.

[3] – سورة الروم، الآية: 58.

[4] – سورة يوسف، الآية: 111.

[5] – السنة النبوية :رؤية تربوية، سعيد إسماعيل علي، ص: 371.

عنا، ذلك أن الغيب لا يصل إليه العقل البشري مهما اجتهد، لأن هذا العالم محجوب عنا"[1].

ولعل قوله: ﴿مَثَلُ ٱلذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ إِتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾،[2] هي دعوة إلى إعمال العقل لفهم الأمثال والوقوف عليها وقفة تأملية تدبرية، للوصول إلى معناها وبيان غاياتها، والاستفادة منها؛ كمثل بيت العنكبوت الذي ضرب به الله مثلا لأولئك الذين يتخذون من دون الله آلهة، لبيان ضعفهم وهوانهم كضعف وهوان بيت العنكبوت المعرض للهشاشة والزوال.

إن طريق تحصيل معاني الأمثال ومغزاها، والرسائل والإشارات التي تحملها، هو إعمال دور العقل؛ المتجلي في تأمل وتدبر النصوص الواردة فيها، للوقوف على المعنى الحقيقي، والمفهوم المقصود، فالعالم هو الذي يعقل المثل العقل الصحيح، ويفهم المطلوب منه، ويقرب إلى الأذهان المعاني التي من أجلها ضرب هذا المثل، فالله استثنى العقل والفهم للطائفة العالمة من العباد المثقفة في الدين، والمتدبرة في النصوص.

والعالم هو"من عقل عن الله، فعمل بطاعته، واجتنب سخطه"،[3] وهو من تنكشف له معاني النصوص وثناياها، وأغراضها، وأحكامها، فيهتدي بها لأنها الحق من عند الله. يقول عز وجل: ﴿وَيَرَى ٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [4].

---

[1] – أمثال القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، ص:7.

[2] – سورة العنكبوت، الآية:41.

[3] –الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج:16، ص:365.

[4] – سورة سبأ، الآية: 6.

إن العلم يدرك ويكتسب الذي العقل الذي بواسطته تحصل العلوم والمعارف والحقائق وتفهم، إلا أن العقل يقتضي العلم بالله، ومعرفة ما أنزله على نبيه، ومعرفة حقيقة الكون، وحقيقة نفسه، فالعقل لابد له أن يملك تصورا صحيحا للدين وللكون وللحياة، حتى لا ينساق إلى الجهل، وينحرف عن جادة الحق، وهذا إنما يحصل بفهم شرع الله، والاهتداء به، من خلال التفكر والتدبر في آيات الله العظيمة.

والمقصود بالعقل في الآية الكريمة: **(وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَـٰلِمُونَ)** هو الفهم[1]، الذي خص به عز وجل الراسخين بالعلم والعالمين بالله. فهذه القوة الإدراكية إذ لم تتم بالعلم لدى الإنسان؛ فانه يتدنى ويزيغ عن الطريق السليم، فبقدر ما أوتي الإنسان من درجة في العلم تزداد درجة الاستقامة والإيمان والرفعة والريادة لديه.

ولما كان علماء المسلمون (كابن سينا، والفارابي ، الخوارزمي ... وغيرهم). "قد قرأوا القرآن الكريم بعقولهم وباحترافية، وتعاملوا مع علوم الوحي كمكون داخلي في شخصيتهم، وترجموا آيات رب العالمين لواقع ملموس في حياتهم، وتفاعلوا مع نصائح خالق الكون في الجوانب التشريعية، وفهموا ما وراء معرفة آيات الخالق، انطلاقا من فضاءات الموجهات المتعددة المناحي في (التدبر، التفكر، العقلانية) استطاعوا إدراك مفهوم العلم وتنويع مصادره، وكانت النتيجة، امتلاكهم لناصية الريادة والرفعة والدرجة العالية في عالم المعرفة والتكنولوجيا "[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الدعوة إلى العلم في القرآن الكريم لم تكن مقتصرة على العلم بالدين فقط وإنما المقصود بها كل علم ينتفع به صاحبه، وينور عقله، ويستقيم به سلوكه. وهذا ما أكده يوسف القرضاوي في كلامه: "والعلم الذي نوه به القرآن،

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج:16، ص:365.

[2] – العقلمانية والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إدريس الخرشاف، ص: 28.

وحفلت به آياته، يشكل كل معرفة تتكشف بها حقائق الأشياء، وتزول به غشاوة الجهل والشك عن عقل الإنسان، سواء أكان موضوعه الكون والطبيعة أم موضوعه الإنسان، أم موضوعه أم موضوعه الوجود والغيب وسواء أكانت وسيلة معرفته الحس والتجربة، أم وسيلة العقل والبرهان، أم وسيلة الوحي والنبوة"[1].

ولكن أغلب ما دعا القرآن إلى العلم به هو معرفة الله وصفاته للوصول إلى قدرته وعظمته عز وجل كقوله: (**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**) [2]، وقوله تعالى: (**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**)[3] وهذه المعرفة تقتضي إعمال العقل في تدبر آيات القرآن، والتأمل فيها لفهمها فهما صحيحا، وشرط العلم أساسي وضروري لتحقيق هذه الغاية كما أكدت الآية الكريمة (**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**)، فالله خصص العالمين بالله، وصفاته، وأحكامه، وفرائضه، لعقل الآيات.

ج- نـــوع العلاقـــــة

إذا من خلال ما سبق، ومن خلال الآية: (**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**)،[4] تظهر علاقة العقل بالعلم؛ والمتمثلة في علاقة التكامل والتداخل[5] بين العقل والعلم، التي تتجلى في كون العقل في حاجة ماسة إلى

---

[1] – العقل والعلم في القرآن الكريم، يوسف القرضاوي، ص: 149.

[2] – سورة الطلاق، الآية: 12.

[3] – سورة محمد، الآية: 20.

[4] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[5]– مفهوم العلم في القرآن الكريم، الدكتور مصطفى فوضيل، ص:109.

العلم بأمور الدين ليستبصر بها، وينمى ويهتدى بها، والعلم يقتضي العقل لمعرفة صحة الدعوة، وكنه الآيات، ومقاصد الدين؛ فالله سخر للإنسان العقل والقرآن لأهمية كل واحد منهما للآخر، كما يقول الراغب الأصفهاني: "سخر الله عز وجل رسولان إلى خلائقه: أحدهما من الباطن وهو العقل، والثاني من الظاهر وهو الرسول، ولا سبيل لأحد الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم تقدمه الانتفاع بالباطن، فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر، ولولاه لما كانت تلزم الحجة، ولهذا أحال الله بين من يشكك في وحدانيته وصحة نبوءة أنبيائه على العقل، وأمر أن يفزع إليه في معرفة صحتها، فالعقل قائد والذين مسدد، ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائرا"[1].

وقد ارتبط العلم في القرآن الكريم "بالنظر إلى آفاق السماء والأرض والتأمل والتدبر والتفكر وإلى النظر في أحوال الأمة، التي اندثرت وما تزال بقايا حضارتها مدیناتها ... كما حرضهم على طلب العلم والمعرفة والنظر في الكون، والتأمل في الكائنات، والتنقيب عن أسرار الوجود، وحث حثا متواصلا على العناية بتنمية العقل الإنساني وترقية الشخصية الإنسانية "[2].

إن الإنسان انفرد بالعقل والعلم على خلاف باقي المخلوقات، و هما اللذان أكسباه الرقي والرفعة والارتقاء بنفسه وفكره، و مكناه من تحسين طرق عيشه، وأسلوبه في الحياة، كما عملا على ترسيخ قيم التسامح والتعايش والألفة والمحبة بين الناس، وعلى تقوية الإيمان بالله بمعرفته عز وجل، وتدبر آياته الكريمة والتفكر في خلقه.

---

[1] – الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص: 124.

[2] – معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 355.

ولعل المقصد من الدعوة إلى إعمال العقل، والتدبر، والنظر في آيات الله المتكررة؛ هو تنمية العقل وإصلاحه من مخلفات الجاهلية المتمثلة في التقليد والتبعية وعبادة الأوثان، وفهم الوحي الفهم السليم الواعي المرصع بالإيمان في القلوب كما يؤكد ذلك الطاهر ابن عاشور بقوله: "إن إصلاح التفكير من أهم ما قصدته الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع من طريق صلاح الأفراد، وبهذا نفهم وجه اهتمام القرآن باستدعاء العقول للنظر والتذكر والتعقل والعلم والاعتبار، وأن ذلك جرى على هذا المقصد فأنبأنا عن استقراء اهتمامه والإفصاح عنه بكلام رسوله"[1].

وفي مقابل تكامل العلم والعقل نجد فريقا يمجد للعلم، ويجعله الأصل؛ باعتبار لقصور العقل على معرفة كل الحقائق، ولعجزه عن الوصول إلى تفسير كل ما يحدث في الكون، وقد قيل في هذا الشأن[2] :

عِلْـــمُ العَلِـــيمِ وَعَقْـــلُ الْعَاقِـــلِ اخْتَلَفَـــا
مَنْ ذَا الَّـــذِي مِنْهُمَـــا أَحْـــرَزَ الشَّـــرَفَا
الْعِلْـــمُ قَـــالَ: أَنَـــا الَّـــذِي أَحْرَزْتُـــهُ
وَالْعَقْلُ قَالَ: أَنَا الرَّحْمَـــانُ بِـــي عُرِفَـــا
فَأَفْصَـــحَ الْعِلْـــمُ إِفْصَـــاحاً وَقَـــالَ لَـــهُ:
بِأَيِّنَـــا اللهِ فِـــي فُرْقَانِـــهِ اتَّصَـــفَا
فَـــأَيْقَنَ الْعَقْـــلُ أَنَّ الْعِلْـــمَ سَـــيِّدُهُ
فَقَبَّـــلَ الْعَقْـــلُ رَأْسَ الْعِلْـــمِ وَانْصَـــرَفَا

عموما، فإن الله ميز الإنسان بملكة العقل، وأحاطه برعايته وحفظه، وحرم كل ما من شأنه أن يعطله؛ لأهميته العظمى في التمييز بين النافع والضار، والصالح والطالح، ولدوره في اكتساب العلم وإدراكه، وفهم النصوص؛ إذ لا قيمة لعلم إلا بعقل يدركه

[1] – أصول النظام الاجتماعي، الطاهر ابن عاشور، ص: 52.

[2]– وردت الأبيات في كتاب الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة، الحافظ محمد عبد الحق الاشبيلي.

ويفهمه ويستوعبه، كما أن العقل بلا علم قد يزيغ أو ينحرف إلى غير المقصد الذي من أجله أودعه الله في الإنسان؛ فلا يمكن أن يستقل العقل عن العلم، خاصة العلم بالدين الذي يعمل على توجيه وإرشاد العقل إلى الطريق الصحيح، الذي يتوافق مع التصورات السليمة للوحي وللكون، وعلى تجنيب العقل ترسبات الجاهلية وما شابهها من عبادة الأصنام، والتقليد والتبعية وغيرها، ومنعه من الخوض في الغيبيات واتباع الأهواء والتبعية للأسلاف.

7-علاقة العقل بالهدى

ارتبط لفظ العقل بالهدى من خلال الآية التالية: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾[1].

أ- مفهوم الهدى في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي.**

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان، الأول: التقدم للإرشاد، والثاني: بعثة لَطَفٍ"[2]، الهدى نقيض الضلال[3]، وهديته الطريق هداية أي عرفته[4]؛ وأهدى المرأة إلى زوجها أي زفها.

ويقال هدى، يهدي، هدى، وهديا، وهدية، والهدى: الرشاد والبيان[5].

والهداية: "الاهتداء إلى الإسلام، والإيمان به، والإعانة على ذلك"[6].

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 169.

[2]- مقاييس اللغة، لابن فارس مادة: (هدى).

[3]- العين، للخليل الفراهيدي مادة (هدى).

[4]- الصحاح، للجوهري، مادة (هدى).

[5]- لسان العرب، لابن منظور، مادة (هدى).

[6]- مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، مادة (هدى).

إذ فمدار مادة (هدى) في معاجم اللغة على معنيين أساسيين: أولهما: التقدم والارشاد والبيان، ويتوافق هذا مع معنى الهدى في قوله تعالى:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[1] أي أرشدنا إلى الطريق المستقيم، وفي قوله: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ**﴾[2]، أي: ألم يتبين لهم. وثانيهما: الهدى، والهدية، والإهداء، والزف، بدافع الود واللطف، أي الإعطاء وتقديم شيء كعربون محبة وود.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

جاء في الكليات:" الهداية هي الدلالة على طريق من شأنه الإيصال إلى المطلوب سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل".[3]

وجاء في التعريفات: الهداية الدالة على وصل المطلوب، وقد يقال هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب، والهدى هو ما ينقل للذبح من النعم إلى المحرم.[4]

وأورد الكفوي في كشافه أن "الهداية تنحصر في أجناس كما أكد المحقق البيضاوي في تفسيره هداية الله تعالى:

"– إفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الامتداد إلى مصالحه، كالقوة العقلية والحواس الظاهرة والباطنة.

– نصب الدلائل الفارغة بين الحق والباطل، والصلاح والفساد.

– إرسال الرسل وإنزال الكتب.

---

[1]– سورة الفاتحة، الآية: 5.

[2]– سورة السجدة، الآية: 26.

[3]– الكليات للكفوي، مادة (الهدى)

[4]– التعريفات للجرجاني، مادة(هدى).

– كشف السرائر، وهذا الصنف اختص به الأنبياء، والأوليات، كالوحي والرؤى الصادقة" [1].

الهداية، إذا، هي الدلالة على الطريق من أجل التوصيل إلى المطلوب، ولها أوجه حسب أوليات كل وجه، إذ لا يمكن حصول أحدها قبل الآخر، وكل واحد متوقف على ما قبله، ويتمثل في قوتي العقل والحواس التي وهبها الله إياها للإنسان التي تمكنه من الاهتداء إلى ما يصلح له وينفعه، ثم بين لهم طريق الشر والخير، والحق والباطل، وأنزل الكتب عن طريق الرسل لهداية الناس إلى الطريق القويم، وأخيرا كشف السرائر على قلوب الأنبياء وبعض الأولياء بالوحي، والمنامات الصادقة لتحقيق الهداية والاهتداء للأمة.

ب– مفهوم الهدى في القرآن الكريم.

ورد لفظ الهدى في القرآن الكريم بكل مشتقاته، في اثنين وعشرين وثلاث مائة (322) موضع [2]، حيث جاء في تراكيب وسياقات كثيفة تستلزم الوقوف والفحص للظفر بمفاهيمها التي تكتسيها داخل النسق القرآني الراكنة فيه، ومن الوجوه التي وردت فيها لفظة الهدى في القرآن الكريم:

– الهدى بمعنى الثبات والإرشاد والتوفيق: كقوله تعالى: ﴿**اِهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**﴾؛[3] فمعنى اهدنا: وفقنا للثبات عليه.[4]

وجاء في تفسير ابن كثير: الهداية هنا بمعنى الإرشاد والتوفيق[5] فالآية تتضمن الدعاء بالإرشاد، والدلالة إلى طريق هدايته الموصلة إلى أُنسه وقربه.[6]

---

[1]– كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، مادة (الهدى).

[2]– مفهوم الهدى في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور الحبيب مغراوي، ص: 86.

[3]– سورة الفاتحة، الآية: 5.

[4]– الجامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري: م1، ص: 73.

[5]–تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص: 137.

[6]– جامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1، ص: 226.

- الهدى بمعنى القرآن، قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُّومِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَنْ قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1]: أي ما جعل الناس يعرضون عن الإيمان بالقرآن،[2] ويستغفرون ربهم إلا بعد أن تأتيهم قصص الأمم السابقة المكذبة بالرسل قبلهم، أو تصيبهم أنواع عديدة من العذاب.

- الهدى بمعنى الرسل: قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُّومِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَنْ قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [3]. فالهدى وردت هنا للدلالة على الرسل[4]، أي أن أكثر الناس لم يؤمنوا بالرسل ولا بالمعجزات، بل صدوها، وكذبوا بما جاءت به؛ كما تصرح الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّاتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾،[5] وهذا التكذيب ليس مقصودا لذاته لأنهم يعلمون في قرار أنفسهم بصدق بصدق معجزات الرسل، ولكنهم كانوا يكذبون بها للحفاظ على مصالحهم المتمثلة في الاستبداد والاستعباد والاستقواء، وهم مدركون حق الإدراك أن ما تقترف أنفسهم عين الحرام، ومناط غضب الله، وسخطه وعقابه.

- الهدى بمعنى التوراة: في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَآءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[6]؛ فالهدى المقصودة هنا هي التوراة التي أتاها الله لموسى، ليهتدي بها الناس.

وعلى العموم، فإن موارد الهداية ومعانيها في كتاب الله عز وجل وفيرة بشكل لافت، وكيف لا والقرآن الكريم أنزل لهدى وهداية الناس﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى

---

[1]- سورة الإسراء، الآية: 94.

[2]- صفوة التفاسير، علي الصابوني، م:2، ص: 176.

[3]- سورة الإسراء، الآية: 94.

[4]- الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص: 177.

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5، ص: 121.

[5] - سورة غافر، الآية: 22.

[6]- سورة التغابن، الآية: 6.

لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾،[1]﴿ قَد جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2]. وقد سن الخالق فيه قوانين الهداية، وسبل الثبات والرشاد والنجاة. وهو الطريق الموصل إلى مرضاة الله تعالى وإلى رضوانه وجناته، وقد سمي القرآن بالهدى؛ لما له من "أثر بالغ في اهتداء المهتدين... وانكشف لهم ما كان مستورا بين طيات الجهل، وحجب العصبية حيث عرفوا ربهم، وتبينوا وظيفتهم في الحياة، وما هم إليه صائرون بعد الموت، وبالقرآن الكريم بنوا الحضارة، وأسسوا دولة، وصبغوا الحياة في ظل العبودية الحقة لله تعالى؛ لأن القرآن فيه الهداية للعقل، والهداية للقلب، والهداية للوجدان، كما فيه الهداية لكل خير في التصور والسلوك والأخلاق."[3]

إن القرآن الكريم يتميز في نظمه ومنهجه وشموليته وخلوده ومواكبته، في مختلف الأمصار والعصور، لتطورات العلوم والنظريات والمناهج، وقد نزل بقيم وأحكام وشرائع حسب ما تتطلبه الوقائع والأحداث، حيث استجاب لقضايا الناس والمشاكل التي يتخبطون فيها، فهو جاء كإرشاد رباني واقعي في أهدافه ومراميه، يبتغي هداية الناس إلى الطريق المستقيم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم واصفا إياه:" كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم".[4]

---

[1]– سورة الإسراء، الآية: 9.

[2]– سورة المائدة، الآية: 17 – 18.

[3]– مفهوم الهدى في القرآن الكريم، دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الدكتور الحبيب المغراوي، ص: 13.

[4]– المصنف، عبدالله بن أبي شيبة، كتاب فضائل القرآن، ج10، ص: 16.

ذلكم القرآن الكريم، معجزة الرسول العظيمة، ودستوره الشامل في العقائد والعبادات والحكم والأحكام، والآداب، والقصص والمواعظ، وهو منقذ البشرية من براثين الجهل والضلالة والعبودية، فبفضله تخشع الأبصار، وتلين القلوب، وتهدي العقول، وتستقيم الأنفس، وهو مناط الهداية والحكمة والرحمة فقد وردت آيات عديدة تشيد بذلك:﴿إِن هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[2]، ﴿يَـٰسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[3]، وسيظل القرآن الكريم المعجزة الباقية في كل عصر ومصر من ناحية اللفظ والمضمون، متحدا ومتفوقا، ومطابقا مع العلم والعقل، والفطرة.

ج- نــوع العلاقــة

ارتبط لفظ العقل بالهداية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[4]، إذ جاءت جملة "لا يهتدون" معطوفة على جملة "لا يعقلون"، لتوكيد نفي صفة العقل والاهتداء، ولتعميم الحكم عليهم وعدم إعمالهم لعقولهم، ولعدم اتباعهم لهداه، هذا لأنهم اتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم من الضلالة والجهل والعبودية.

إن الآية الكريمة تذم الضالين الذين يقلدون آباؤهم، وتقر بعدم فهم آبائهم حقيقة الأمور، وبالتالي ضلالهم وانحرافهم عن صراطه المستقيم، وانحرافهم عما أنزله الله

---

[1] – سورة الإسراء، الآية: 9.

[2] – سورة البقرة، الآية: 184.

[3] – سورة يس، الآية: 1.

[4] – سورة البقرة، الآية: 169.

تعالى على نبيه ويقتدون ويقتفون أثرهم في عبادة الأصنام والأنداد، ولأن الله منع عنهم الفهم والهداية، وقد تقدم نفي التعقل عن نفي الهداية، لأهمية العقل في هداية الإنسان، لأن الاهتداء يحصل بالعقل والتفكر والنظر في آياته العظيمة، وفي خلقه سبحانه وتعالى، والعقل طبعا يكون تابعا مهتديا بوحي الله، ومحتكما به.

لقد وهب الله عز وجل للإنسان العقل، وخصه به عن باقي المخلوقات ليميز به الحلال وبين الحرام، والخير والشر. يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]؛ أي أن الله جعل له طريقين؛ طريق الخير حيث أرشده ودعاه إليه، وطريق الشر فحذره منه ونهاه عنه وجعل له سلطة الاختيار بينهما. ومما ينبغي ذكره في هذا المقام أن العلاقة بين العقل والهدى كما يتضح من خلال الآية هي علاقة التعاطف، حيث جاء العقل معطوفا مع لفظ الهدى لفظا وحكما، بواسطة أداة العطف (الواو).

إن الله يزكي العقل، ويجعل له مكانة عالية في القرآن الكريم، حيث حرره من قيود التقليد والاعتقاد، والخرافات؛ كما تظهر الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[2]، التي تذم الذين يتبعون أسلافهم من الجاهلين المشركين، ويرفضون ما أنزل على الرسل على الرغم من أنه عين الحق، وعين الصواب. والعقل، بالمعنى الذي تدل عليه الآية، هو تلك القوة المدركة للأشياء على حقيقتها، الفاهمة للوحي، والمميزة بين الشرك والمعاصي والمخاطر، وبين الإيمان، والفضائل والمنافع، وبواسطتها جعله مكلفا عن باقي المخلوقات، حتى يؤدي المهمة التي من أجلها، خلق وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وحده.

---

[1]– سورة البلد، الآية: 10.

[2]– سورة البقرة، الآية: 169.

والاختيار الصحيح، يحتاج إلى أمرين أولا: إعمال العقل وتفعيله، وثانيا: الوحي للاهتداء به، فالعقل تابع للوحي، والهداية تحصل بواسطتهما معا؛ لهذا جاء قوله تعالى: ﴿ٱلذِين يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ هَدٰيهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ﴾[1]؛ فالمسلم يستمع القرآن ويفهمه ويعقله، ثم يعمل به، ويهتدي به إلى صراطه المستقيم وذلك لأنه من ذوي العقول السليمة الفاعلة، المميزة بين النافع والضار، والصالح والطالح، الحسن والسيئ.

وعلى العموم فإن العقل يقوم بدور أساس في هداية؛ الفرد من خلال تمكينه من إدراك حقيقة الوحي والكون، ومن خلال جعله يميز بين منافع الأشياء ومضارها، كما تكمن أهمية العقل في الاهتداء إلى الحق؛ من خلال العمليات العقلية التي يقوم بها كالنظر والتفكر والتأمل في ملكوت السموات والأرض للوصول إلى عظمته عز وجل ووحدانيته وقدرته في الخلق. ويستمد العقل اهتداءه وإرشاده إلى الطريق السليم بالرجوع إلى الوحي؛ لأن قدرة العقل على الإحاطة بكل شيء تظل محدودة.

8.علاقة العقل بالكتاب

ارتبط العقل بالكتاب من خلال الآية الكريمة": (أَتَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[2]

أ – مفهوم الكتاب في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعني اللغوي.**

جاء في مقاييس اللغة: "الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء."[3]

---

[1] – سورة الزمر، الآية: 17

[2] – سورة البقرة، الآية: 43.

[3] – مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (كتب).

والكتاب يطلق على الكتاب المنزل.[1]، وهو الفرض والحكم والقدر.[2] والكتاب: الصحيفة التي يكتب فيها[3] ويدل على جمع الشيء من ذلك الكتاب والكتابة.

وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط.[4].

يقصد بالكتاب ضم الحروف بعضها إلى بعض، مكونة بذلك كلمات لتكون نص أو نصوصا كتبت على ورق. ويطلق لفظ الكتاب على كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويعبر عنه بالفرائض والأحكام التي ألزم عباده بها، وبالأقدار المقدرة عليهم.

- **في المعنى الاصطلاحي.**

يراد بالكتاب في عرف الأدباء إنشاء النثر والنظم. [5]

وفي عرف الفقهاء: ما يتضمن الشرائع والحكم.

والكتاب: علم لطائف من ألفاظ دالة على مسائل مخصوصة من جنس واحد تحته في الغالب إما أبواب دالة على أنواع منها، وفصول دالة على الأصناف[6].

ويطلق في الشرع على مجموع القرآن، أو على كل جزء منه[7]

إن الكتاب في حقيقته اصطلاحيا لا يختلف عن المعنى اللغوي، إذ يقصد به جمع الحروف وضم بعضها إلى بعض، وسمي بالكتاب لأنه تكتب وتجمع فيه الحروف والكلمات بالكتابة أو الخط، وقد يقصد به مجموعة من الأبواب أو الفصول ضمن مسألة من المسائل.

---

[1]– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الفيومي، مادة (كتب).
[2]– الصحاح للجوهري، مادة (كتب).
[3]–تاج العروس من جوهر القاموس، للزبيدي، مادة (كتب).
[4]– معجم مفردات ألفاظ القران الكريم، للراغب الأصفهاني، مادة (كتب).
[5]– التعريفات للجرجاني، مادة (كتب).
[6]– الكليات للكفوي، مادة (كتب)
[7]– كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، مادة (كتب).

ب – مفهوم الكتاب في القرآن الكريم.

إن المتأمل في القرآن الكريم، والمتتبع لآياته الكريمة، يجد أن القرآن تارة يعبر عنه بالقرآن، وتارة يعبر عنه بالكتاب، وكلاهما يدل على جمع الحروف والكلمات وضمها، والفرق بينهما في كون القرآن الكريم يراد به: الجمع؛ بمعنى حفظه في الصدور عن ظهر قلب.[1] كما في قوله تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ)** [2].

ويراد بالكتاب: الجمع؛ بمعنى كتابته وحفظه في السطور[3].

فالمعنى الأول (الكتاب) جمع الكلمات في السطور، والمعنى الثاني(القرآن) جمع الكلمات في الصدور. والحكمة من ذلك هو أن الله تولاه بحفظه وعنايته؛ في موضعين الصدور والسطور كما وعد بذلك في قوله: **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)** [4]، حتى لا تضيع منه كلمة، ولا يطال آياته أي تحريف أو تبديل.

وقد ورد لفظ الكتاب في القرآن الكريم 255 مرة.[5] وكثرة هذا الورود دليل على مكانته الشريفة المقدسة ومقامه في الشريعة الإسلامية، وورود اسم الكتاب في القرآن الكريم ليس بمعنى آيات القرآن فقط، وإنما انصرف إلى معان أخرى يفرض السياق القرآني مدلولها، إذ جاء الكتاب بمعنى الإنجيل في قوله تعالى: **(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ**

---

[1]– جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سلمان العبيد، ص:6.

[2]– سورة القيامة، الآية: 17.

[3]– جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي بن سلمان العبيد ص: 8.

[4]– سورة الحجر، الآية: 9.

[5]– تبين من خلال قائمة معجمية لألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها لمحمد حسين أبي فتوح.

وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا) [1]، ويقصد بالكتاب هنا الإنجيل[2]، ويراد بأهل الكتاب: النصارى.[3]

وورد بمعنى التوراة: (وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)[4]، ويقصد بالكتاب هنا التوراة [5] المنزلة على اليهود؛ التي يفترون عليها كذبا ويحرفونها عن المراد بها.

وورد كذلك بمعنى الفرض والواجب: في قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾) [6].

وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)، [7] ف(كتب) هنا بمعنى فرض[8].

وجاء بمعنى العدة في قوله تعالى: (وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ

---

[1]- سورة النساء، الآية: 171.
[2]– صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج2– ص 215.
[3]– جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، م:2 ص:614.
[4]- سورة آل عمران، الآية: 78.
[5]– جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، م: 2 ص:279.
[6]-سورة البقرة الآية: 178.
[7]–سورة البقرة، الآية: 183.
[8]– تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج: 1، ص:497.

وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)[1]. الكتاب هنا: العدة [2] وهي المدة الزمنية التي يحددها الشرع للمرأة المطلقة أو الأرملة التي لا يجوز لها النكاح قبل انتهائها.

وعموما؛ اتخذت لفظة كتاب مواضع عديدة في القران والكريم، وأصابت معاني كثيرة يحددها موضوع الآية والسياق التي وضعت فيه.

وما يهمنا في هذا الشأن أن لفظ الكتاب الذي ورد في الآية القرآنية التالية: (تَامُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3]. تبدأ الآية الكريمة بهمزة الاستفهام؛ لتوبيخ اليهود الذين يرشدون الناس إلى الإيمان بالله وبالكتاب أي: التوراة[4] ويكفرون هم بها. والتوراة أو ما يعرف بالعهد القديم؛ هي كتاب الله المنزل على موسى عليه السلام الذي أرسله لله عز وجل نبيا إلى بني إسرائيل، وقد تضمنت أحكام الله وشرائعه.

وقد وصفها عز وجل بالكتاب والنور والرحمة والهدى في أكثر من آية: (إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرِيٰةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيِّـُٔونَ ٱلذِينَ أَسْلَمُواْ لِلذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّٰنِيُّونَ وَالاَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ)[5]. ٱلْكَٰفِرُونَ)[5]. (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَاماً عَلَى ٱلذِىٓ أَحْسَنَ

---

[1]-سورة البقرة، الآية: 233.

[2]- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج: 1، ص:631.

[3]-سورة البقرة، الآية: 43.

[4]- سورة البقرة، الآية: 44.

[5]- سورة المائدة، الآية: 46.

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُومِنُونَ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَـٰرَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[1].

إن التوراة من الكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على سيدنا موسى بعد هلاك فرعون، ويستلزم الإيمان بها قلبا ولسانا وجوارح، لأنها من عند الله، باعتبار هذا الأمر ركنا من أركان الإيمان، ودعت إلى ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلذِے نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلذِےٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلاَخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيداً)[2]وقوله : (وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ ٱنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ ٱنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالاَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤)[3].

من هنا يتضح أن الاعتقاد بالقرآن الكريم، وبما سبقه من الكتب، ضرورة حتمية؛ لأنها تحتوي على كلام إلهي يتضمن أحكاما ومواعظ وعبرا، أنزلها الله على رسله لتبليغ أممهم بها، إلا أن التوراة طالتها أيادي اليهود فغيرت بعضا من آياتها، لذا أصبح الاعتماد عليها ضعيفا لنسبية مصداقيتها بعد هذا التحريف.

وبما أن التوراة مصدرها الله، وجب الإيمان بها؛ والتسليم بما جاءت به، ولا يجب التفريق بينهما وبين القرآن، أو باقي الكتب السماوية كما حض على ذلك القرآن الكريم في الآية الكريمة: (إِنَّ ٱلذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُومِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

[1] – سورة الأنعام، الآيتان: 154 – 155.

[2] – سورة النساء، الآية: 136.

[3]- سورة البقرة، الآية: 4.

وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا)[1]؛ لأنها تحتوي أصولا اعتقادية، وشرائع ومناهج ووصايا لا يثبت الإيمان إلا بالتصديق والإقرار بها.

ج - نــوع العلاقــة.

وما يقال عن علاقة العقل بالكتاب (التوراة) هنا من خلال الآية 44 من سورة البقرة؛ هو ما دامت التوراة كتاب الله المنزل على موسى، والقرآن الكريم يقر بذلك في أكثر من آية ويحض على الإيمان بها، لكونها من عند الله، ولاشتمالها على أحكامه كما تعترف به الآية الكريمة: (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرِىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرِىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ)"[2]، كما أن التوراة نور وهدى ورحمة كما سبق أن سيق في الآية سالفا؛ وبذلك تكون علاقة العقل بالكتاب (التوراة) علاقة اقتضاء ولزوم، إذ إن العقل يقتضي لوصوله إلى الإيمان اليقيني الصادق، التصديق بأحكام وشرائع التوراة لأنه عز وجل دعا إلى الاعتقاد بنبوة جميع الأنبياء السالفين والتصديق بكتبهم التي أنزلت عليهم، والإيمان بكل ما أتوا به لأن إنكار ما أنزله كفر وضلال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ

---

[1]- سورة النساء، لآية: 149.

[2]- سورة المائدة، الآيتان: 45 – 46.

ٱلذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَّكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلَٰلاً بَعِيداً) [1].

وعلى هذا، فإن نفيها أو تكذيبها أو الانتقاص من شأنها، أمر مرفوض وغير مقبول في الشريعة الإسلامية؛ لأنها كلام الله المنزل على نبيه موسى.

9. علاقة العقل بالذكر

ارتبط لفظ العقل بلفظ الذكر في الآية الكريمة: (لَقَدَ آنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[(2)].

أ- مفهوم الذكر في المعاجم اللغوية والاصطلاحي

- **في المعنى اللغوي.**

تدور مادة (ذ ك ر) في مقاييس اللغة حول أصلين: الأصل الأول: الذكورة؛ "فالمذكر التي ولدت ذكرا والمذكار التي تلد الذكران عادة".[(3)] والأصل الثاني: ذكرت الشيء خلاف نسيته، ثم حمل عليه بالشأن، والذكر: العلاء والشرف،[(4)] والذكر من ذكر، يذكر: حفظ الشيء؛ وهو نقيض النسيان[(5)] والذكر خلاف الأنثى، والذكر: الثناء، وقوله: (صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) [(6)] أي ذي الشرف[(7)].

---

[1]- سورة النساء، الآية: 136.
[2] – سورة الأنبياء، الآية: 10.
[3] – مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (ذكر).
[4] – مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (ذكر).
[5] – تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة (ذكر).
[6] – سورة ص، الآية: 1.
[7] – الصحاح للجوهري، مادة (ذكر).

إذن يعود الذكر إلى معنيين أصليين، الأول بمعنى الذكورة وهي ضد الأنوثة، والثاني بمعنى الحفظ وهو ضد النسيان، ويأتي الذكر بمعنى العلاء والشرف.

- **في المعنى الاصطلاحي.**

جاء الذكر في الكليات بمعنيين؛ أحدهما: التلفظ بالشيء، والثاني: إحضار في الذهن بحيث لا يغيب عنه، وجاء في بعض الآيات بمعان متعددة كالبيان والحديث والقرآن والشرف[1].

وأورد المصطفوي في معجمه التحقيق في كلمات القرآن الكريم، أن أصل مادة (ذكر) هو (التذكر)؛ في مقابل الغفلة والنسيان،[2] وهو أعم من الذكر باللسان ومن الذكر بالقلب[3] .

والذكر: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، ووضع الملل[4].

ب – مفهوم الذكر في القرآن الكريم.

ورد لفظ الذكر في القرآن الكريم مائتين واثنين وتسعين 292 موضعا، بصيغ فعلية واسمية متعددة، وبمعان متعددة نذكر منها:

– الذكر باللسان[5]: أي الترديد باللسان كالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والاستغفار، والدعاء وغيرها، كما في قوله: **(قَالُواْ سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ)**[6] **وقوله: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ**

---

[1] – الكليات لأبي البقاء الكفوي، مادة (الذكر).

[2] – التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، مادة (ذكر).

[3] – المرجع نفسه.

[4] – المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، حسن جبل، مادة(ذكر).

[5] – التحقق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مادة (ذكر).

[6] – سورة الأنبياء، الآية: 60.

﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

– الذكر بالقلب[2]: وهو ذكر الله سبحانه وتعالى بالقلب ويكون ذلك في الخفاء أي بينه وبين نفسه، بالتدبر والنظر في عظيم خلق الله، وبالتوحيد والتعظيم والدعاء. والذكر بالقلب أعلى مرتبة من الذكر باللسان، ويعلو ذلك الجمع بينهما. ومن النماذج التي ورد فيها الذكر بمعنى الذكر بالقلب: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.[3] وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [4] وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [5].

– الذكر بمعنى القرآن: كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [6]. فالمقصود بالذكر هنا القرآن الكريم، ولصفة الحكيم وجوه، الأول: أنه بمعنى الحاكم مثل القدير والعليم، والقرآن حاكم بمعنى أن الأحكام تستفاد منه، والثاني: معناه ذو الحكمة من تأليفه ونظمه وكثرة علومه، والثالث: بمعنى المحكم والذكر الحكيم هنا غير القرآن، وهو اللوح المحفوظ الذي نقلت جميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام[7]. ومن التفاسير التي قدمت للذكر الحكيم ما يلي:

❖ الذكر الحكيم: القرآن ووصفه بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه[8].

❖ الذكر الحكيم: المحكم أي القرآن[9].

---

[1] – سورة الجمعة، الآية: 9.

[2] – التحقق في كلمات، القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مادة (ذكر).

[3] – سورة البقرة، الآية: 152.

[4] – سورة مريم، الآية: 67.

[5] – سورة الرعد، الآية: 29.

[6] – سورة آل عمران، الآية: 57.

[7] – تفسير الفخر الرازي، ج 8، ص: 74.

[8] – الكشاف، للزمخشري، ج1، ص: 422.

[9] – تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي، ج3، ص:63.

❖ آيات الذكر الحكيم: هي آيات القرآن الكريم المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بينه ولا من خلفه[1].

وقد وصف الذكر بالحكمة لما يشتمل عليه من الحكم والعبر والمواعظ التي يهتدي بها المؤمنون ويتعظون بها. وكذلك وصف القرآن في قوله تعالى: (**آَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً إِن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ**) [2]، بالذكر[3].

– الذكر بمعنى العبرة والعظة[4]: كقوله تعالى : (**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوۤءِ وَأَخَذْنَا ٱلذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**) [5] **وقوله:** (**وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُومِنِينَ**)، [6] أي تذكر بالعظة تنفع المؤمنين[7].

– الذكر بمعنى الحفظ: كقوله تعالى: (**وَإِذَ آخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)،[8]

فمعنى الذكر: التذكر، وقوله: "واذكروا نعمة الله" أي احفظوا نعم الله" عليكم حيث زرع بينكم الألفة والمحبة بعدما كنتم أعداء تتحاربون.

---

[1] – صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م1، ج3، ص: 206.
[2] – سورة الزخرف، الآية: 4.
[3] – سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر علوش الحميدان، ص: 62.
[4] – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص: 217.
[5] – سورة الأعراف، الآية: 165.
[6] – سورة الذاريات، الآية: 55.
[7] – الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ج:1، ص:506.
[8] – سورة البقرة، الآية: 62.

- الذكر بمعنى الشرف[1]: من ذلك قوله تعالى: (وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ)،[2] وقوله: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، [3] فقد عني بالذكر في هذين الموضعين؛ معنى الشرف.

وعلى العموم، فقد ورد الذكر في القرآن الكريم بمعان كثيرة وبوجوه عديدة؛ أحصاها بعضم في عشرين وجها هي:[4](ذكر اللسان، ذكر القلب، الوعظ، التوراة، القرآن، اللوح المحفوظ، رسالة الرسول، العبرة، المنبر، الرسل، الشرف، التوبة، الصلوات الخمس، صلاة العصر، صلاة الجمعة، العذر من التقصير، الشفاعة، التوحيد، ذكر المنة، الطاعة، الحكمة).

وللذكر أهمية كبيرة، وقيمة عظيمة، لما له من فضائل، به تلين القلوب، وتدفع النقم، وتمحى الذنوب، وهو "خير ما صرفت فيه الأوقات، وأزهقت فيه الأنفاس، وأمضيت فيه الساعات، ذكر الله تطمئن به قلوب المؤمنين، وتسكن نفوسهم، ويعظهم يقينهم، ويزداد إيمانهم"،[5] فكلما ذكر العبد الله من تحميد وتهليل وتسبيح وغيرها... إلا إلا وانساقت له الخيرات وازدادت النعم، وبعثت السكينة إلى القلب وأزيلت الأسقام، وقد قيل عن فضائل الذكر أبيات شعرية ترجع للعلامة عبد الرحمان ابن ناصر السعدي رحمه الله[6]:

فَـــذِكْرُ إِلَـــهِ الْعَـــرْشِ سِـــرًّا وَمَعْلَمَـــا

يُزِيـــلُ الهَـــمَّ عَنْـــكَ وَيُطْـــرِدُ

---

[1] – سور الحواميم دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر علوش الحمداني، ص: 62.

[2] – سورة الزخرف، الآية: 43.

[3] – سورة الأنبياء، الآية: 10.

[4] – بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي: ج3، ص: 13 – 15.

[5] – فوائد الذكر وثمراته، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص: 5.

[6] – فوائد الذكر وثمراته، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص:35.

وَيَجْلُـــــبُ لِلْخَيْـــــرَاتِ دُنْيَـــــا وَأَجَـــــلاَ

وَإِنْ يَأْتِيكَ الْوَسْـوَاسُ يَوْمـــاً يُشَـــرَّدُ

فَقَـــدْ أَخْبَـــرَ المخْتَـــارُ يَوْمـــاً لِصُـــحْبِهِ

بِأَنَّ كَثِيَر الـــذِّكْرِ فِـــي السَّـــبْقِ مُفْـــرَدُ

مما سبق تتبين مكانة الذكر السامية وشأنه العظيم، وما يحدثه للذاكرين من طهارة القلوب وسلامتها، وطمأنينة النفس وراحة البال، (أَلذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلاَ بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ)،[1] وحصد التواب والمغفرة، والفلاح في الدار بين الدنيا والآخرة **(وَالذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً)**،[2] وما يهمنا في هذا المقام معنى الذكر الوارد في الآية الكريمة: **(لَقَدَ آنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰباً فِيهِ ذِكْرُكُمْۚ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)**،[3] حيث ورد الذكرى هنا بمعنى الشرف،[4] لقد أنزل الله الكتاب بمعنى القرآن لكريم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو آخر الكتب السماوية الشامل على تنظيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع وهو أساس نهضة الأمة دينيا ودنيويا، فمنه يستمد كل ما يحتاجه من علم وإرشاد وتوجيه، ونور وبصيرة، وذلك بناء على ما تحتويه الآيات العظام من أحكام، وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب تضمن للناس حقوقهم، وتعرفهم على واجباتهم. ومن مقاصدها كذلك حماية الكليات الخمس الجامعة لمصالحهم وضرورياتهم المتمثلة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال.

---

[1] – سورة الرعد، الآية: 28.

[2] – سورة الأحزاب، الآية: 35.

[3] – سورة الأنبياء، الآية: 10.

[4] – الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي ج: 14، ص: 170.

" فيه ذكركم" وذهب أغلب المفسرين إلى تفسير "ذكركم" بالشرف كما سبقت الإشارة إلى ذلك فالعبد يشرف بالقرآن الكريم وتعلو مكانته، وترتقي قيمته عند الله في الدارين الدنيا والآخرة، كما أكد عز وجل في غير آية: (وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ)[1] و(وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ).[2] فقد كانت العرب قبل نزول القرآن ضعيفة ومتفرقة تسودها العبودية والجهل، والنزاعات، وتغوص في الباطل والفتن، والتخلف والضلال، فجاء القرآن الكريم ليشرفهم ويرفع من قدرهم بنوره وهديه، ليضع للعباد نظام حياة واضح، ويرتقي بهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم، ومن الرذيلة إلى الفضيلة.

إن القرآن جاء ليحسن حال الناس، ويرفع شأنهم، فكلما اقترب العبد من آيات وسور من القرآن، وأطال التأمل والتدبر فيها، إلا وازداد علما ورفعة وعلوا، لأن القرآن يشرف ويرتقي بصاحبه، وينير عقله ويشرح صدره، ويهبه السعادة والطمأنينة في حياته.

(أفلا تعقلون): العقل هنا أولا بمعنى التمييز جاء في تفسير السعدي: (أفلا تعقلون) أي أفلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم؟ وكيف لا تعملون على ما فيه ذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة؟ فلو كان لكم عقل لسلكتم هذا السبيل"[3].

وثانيا بمعنى الفهم: أي فهم تعاليم هذا الذكر وأحكامه وعلومه للوصـــول إلـــى

معرفة الله عز وجل وبلوغ اليقين لوحيه، وتزكية الروح واستقامة السلوك وتحقيق سعادة الدارين لأن "الفهم الصحيح للقرآن وما جاء فيه من البرهان والحكمة هو الذي

---

[1] – سورة الزخرف، الآية: 43.

[2] – سورة ص، الآية: 1.

[3] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج:17، ص:604.

يبعث صاحبه على استثمار الدنيا والآخرة معا، فلا يضيع العاقل الدنيا بدعوى طلب الآخرة لانشغاله بالدنيا بل يكون من الخيار الذين يجمعون بين سعادتي الدنيا والآخرة"[1].

ج- نوع العلاقة

من خلال ما سبق يتبين أن الله سبحانه وتعالى شرف الإنسان بالعقل والقرآن الكريم، ليميزه عن باقي المخلوقات ويرتقي به. لأن القرآن شامل على أشرف العلوم والعقل أداة للوصول إليها، وكلاهما نال الشرف فالقرآن بما يكتنزه من حقائق وأسرار، والعقل لإدراكه هذه المعاني والفهوم. وبهذا تكون علاقة العقل بالذكر علاقة تداخل وتكامل، فالذكر شرف للعقلاء، فكل من احتكم إلى القرآن عدلأ ومن عمل به رشد، ومن اتبعه استقام ومن قال به صدق.

فهذا الذكر الحكيم؛ جعل عزة ورفعة وشرفا في الدنيا والآخرة لمن اتبعه، ولما تمسك الناس به كانوا منارة العلم، ونالوا الرفعة والسؤدد في حين الجهل يفتك غيرهم من الأمم، ولما تركوه عرفوا ما عرفوه من الانحطاط والتخلف والإحباط.

لقد شرف الله الإنسان بالعقل في نفسه وميزه به، وأنزل القرآن ليدركه ويفهمه وليتدبر آياته بهذه الملكة الجليلة ويهتدي به، فهو مفخرة لكل مسلم على وجه الأرض، وهو من أعظم القربات التي يتقرب بها إلى الله وأحبها إليه، ويأتي دور العقل هنا في فهم الآيات فهما صحيحا، والتدبر في معانيها، ثم الاهتداء بها، والاحتكام إليها في جميع أمور الحياة وورد في هذا المقام قول سيد قطب رحمه الله: "إن دور العقل أن يتلقى

[1] – أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، عبد القدوس بن أسامة السامرائي، ص:51.

الرسالة، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول، ومهمة الرسول أن يبلغ ويبين ويستنفذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام، وينبه العقل الإنساني إلى تدبير دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق، وأن يرسم له منهج الحياة العملية، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة... إن هذه الرسالة تخاطب العقل بمعنى أنها توقظه وتوجهه، وتقيم له منهج النظر الصحيح لا بمعنى هو الذي يحكم بصحتها أو بطلانها وبقبولها أو رفضها، ومتى تبث النص كان الحكم، وكان على العقل البشري أن يقبله وينفذه سواء كان مدلوله مألوفا أو غريبا عليه.

إن دور العقل – في هذا الصدد– هو فهم ما يعنيه النص وما مدلوله الذي يعطيه حسب معاني العبارة في اللغة والاصطلاح. وعند هذا الحد ينتهي دوره. إن المدلول الصحيح للنص لا يقبل البطلان و الرفض بحكم هذا العقل. فهذا النص من عند الله، والعقل ليس إلها ليحكم بالصحة أو البطلان، بالقبول أو الرفض لما جاء من عند الله،[1] لهذا نجد مساحة كبيرة في القرآن الكريم، تنوه بالعقل وتدعونا إلى التأمل والتفكر والتدبر، وعدم تعطيل العقل وإتباع الأمم السالفة، والتقليد الأعمى الذي من شأنه أن يزيح العقل عن منحاه الصحيح، والقرآن الكريم لا يعطي مساحة واسعة وتكرار بصور مختلفة، إلا لما له أهمية وخطورة في الحال والمآل، فالتقليد الأعمى سبب في الضلال والعمى ومانع من موانع التوفيق والهدى، ويغلق أمام العقل روافد الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة عبر إعمال الفكر والتأمل والنظر[2].

وعموما يعد القرآن الكريم كتابا شاملا، لكل ما جاء في الكتب السماوية من أحكام ومواعظ وقصص، وهو مرجعا يوجه الناس، ويرشدهم إلى كل ما يتعلق بالمعاملات والآداب والأخلاق، لأنه شامل جامع لكل شيء. يقول تعالى: **(وَمَا مِن**

---

[1] – في ظلال القرآن، سيد قطب لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري، ج:2، ص: 806-807.

[2] – أهمية القرآن في حياة المسلم. وصفي عاشور أبو زيد، ص: 17.

دَآبَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)،[1] والمطلوب هو حسن التعامل معه قراءة، وفهما، وعملا.

المطلب الثاني:العلاقات المختلفة والمتضادة.

1- علاقة العقل بالصم البكم والعمى.

ارتبط لفظ العقل بصفات الصم والبكم، في الآيات التالية:- ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2].

-﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[3].

-﴿وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلذِے يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[(4)].

أ- مفهوم الصم والبكم والعمى في المعاجم اللغوية.

- **فـــي اللغـــة:**

بكم: "الباء والكاف والميم، أصل واحد هو الخرس"[(5)]، والأبكم هو الإنسان الذي لا يستطيع الكلام، ويقال له بكيم، أيضا وقيل فيه:

---

[1] – سورة الأنعام، الآية: 38. .

[2]– سورة الأنفال، الآية: 22.

[3]– سورة يونس، الآية: 42.

[4]– سورة البقرة، الآية: 170.

[5]– مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (بكم).

فَلَيْتَ لِسَانِي كان نِصْفَيْنِ مِنْهُما بَكِيمٌ وَنِصْف عِنْدَ مَجْرَى الْكَوَاكِبِ [1]

وقد يقال للذي لا يفصح إنه أبكم.[2]

ويقال للأبكم الذي له نطق، ولا يعقل الجواب.[3]

صم: "الصاد والميم أصل يدل على تضام الشيء، وزوال الخرق والسم".[4]

والصمام: رأس القارورة، والفعل: صممتها أي سددتها[5]، وحجر أصم: أي صلب.[6]

عمى: "العين والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ستر وتغطية، من ذلك العمى: ذهاب البصر من العينين كلتيهما".[7]

ويقال رجل عمي: أي جاهل[8].

والعماية: الغواية، وهي السحاب الكثيف المطبق.[9]، والعمية: الضلالة.[10]

وكذلك يستعار العمى للقلب كناية عن الضلالة، والعلاقة عدم الاهتداء.[11]

وعموما؛ إن البكم والصم والعمي، هي عاهات تصيب الإنسان أو يولد بها،

---

[1]– البيت من بحر الطويل، ورد الصحاح للجوهري، مادة (بكم).

[2]– العين للخليل الفراهيدي، مادة (بكم).

[3]– المصباح المنير، للفيومي، مادة (بكم).

[4]– مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (صم).

[5]– العين للخليل الفراهيدي، مادة (صمم).

[6]– المصباح المنير، للفيومي، مادة (صمى).

[7]– مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (عمى).

[8]– الصحاح للجوهري، مادة (بكم).

[9]– العين للخليل الفراهيدي، مادة (عمي).

[10]– العين للخليل الفراهيدي، مادة (عمي).

[11]– المصباح المنير، للفيومي، مادة (عمى) .

تسبب له خللا أو اضطرابا، إذ يجد الإنسان نفسه عاجزا عن أداء بعض المهام والوظائف التي يقوم بها العضو المصاب بالخلل، فالبكم خلل لغوي يعجز صاحبه عن التكلم والتخاطب والتواصل، والصمم عطب يصيب الأذن، وينتج عن ذلك صعوبة فهم وإنتاج اللغة، وغالبا ما يسبب الصمم (إعاقة سمعية) والبكم (إعاقة لغوية). أما العمى فهو إعاقة بصرية يفقد صاحبها القدرة على رؤية الأشياء وألوانها وأشكالها وغير ذلك.

- **في الاصطلاح:**

البكم: الأصل في مادة (البكم): الخرس، وهو عدم القدرة على التكلم، ويطلق البكم عن العجز عن مطلق النطق[1].

ورد البكم في القرآن الكريم بمعنى الخرس عن الكلام بالإيمان[2].

الصم: الأصل الواحد في هذه المادة: هو الصلابة والسداد في قبال ما يواجهها.[3]

وهناك نوعان من الصمم، صمم مادي ظاهري ينتج عنه اضطراب أحد طبقات الأذن. وصمم باطني روحاني:" إنما يكون بزوال الصفاء والنورانية عن الروح الإنساني، ومحجوبيته بالتعلقات والأفكار الدنيوية[4].

أما العمي: جاء في المعجم الاشتقاقي المؤصل:" العماية والعماءة كسحابة: السحابة الكثيفة المطبقة ولقيته في عماية الصبح: أي ظلمته قبل أن أتبينه"[5] وأغلب ما استعمل العمى في القرآن للدلالة على الضلالة والجهالة وعدم الاهتداء.

والخلاصة مما سبق من الناحية الاصطلاحية يحيل إلى الجهل والضلال وعدم

---

[1]– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، مادة (بكم).

[2]– الكليات، للكفوي، مادة (بكم).

[3]– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، مادة (صم).

[4]– التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، مادة (صم).

[5]– المعجم الاشتقاقي المؤصل، حسن جبل ، مادة (عمى).

البصيرة، وصف بها المجاهل الذين لم يعرفوا إلى هدى الله سبيلا، لعدم معرفتهم بما أنزله الله على رسله.

ب – مفهوم الصم والبكم العمي في القرآن الكريم.

وردت صفات "الصم البكم العمي" في القرآن الكريم في العديد من الآيات:

- ﴿صُم بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [1].

- ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

جاءت هذه الآيات لتذم المنافقين والكفار، ووصفتهم بهذه الأنواع من العاهات التي هي في حقيقة الأمر ليست عضوية وإنما تتعلق بضعف البصيرة، وببساطة إدراكهم وفهمهم، وسذاجة عقولهم، رغم أنهم ينعمون بسلامة أعضائهم وحواسهم لكنهم لا يهتدون إلى طريق الحق، ولا يؤمنون بما أنزله الله على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَالِانسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَالاَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[3]. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَٰراً وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلآَ أَبْصَٰرُهُمْ وَلآَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[4].

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 17.

[2]– سورة الزخرف، الآية: 40.

[3]– سورة الأعراف، الآية: 179.

[4]– سورة الأحقاف، الآية: 26.

إن الإعاقة التي تتحدث عنها هذه الآيات ليست الإعاقة المتمثلة في فقدان القدرة على السمع وعلى البصر، وإنما هي إعاقة ناتجة عن الإعراض عما جاء به الوحي والتكذيب به، لأن حواسهم قاصرة وعاجزة عن عقل وفهم آيات الله الموصلة إلى منافذ العلم والمعرفة والحقيقة المتمثلة في وحدانيته تعالى في الخلق وعظمته، وإرسال الرسل لهداية الناس إلى صراطه المستقيم.

وكذلك البكم هنا "ليس تعطل عن الكلام أصلا، إنما هو تعطل عن كلام الحق، وهذا التعطيل ليس للعلة، إنما للغاية من خلق القدرة على الكلام، أما الجمع بين الصم والبكم فهو للدلالة عن تعطل العقل عن دوره في إدراك الحق أو تبليغه".[1]

إن الخطاب موجه للكفار المعرضين عن الحق، الذين يعطلون عقولهم عن التفكر والتدبر في القرآن الكريم، فهم صم لا يسمعون الحق فينتفعون به، وبكم لا تنطق ألسنتهم بالحق، عمي لا يستبصرون الحق، لأن حواسهم الباطنة[2] متمثلة حسب ورودها في القرآن الكريم في قيمتها المعرفية والإدراكية.

ج – نــوع العلاقــة

إن الإعاقة الحقيقية التي ركزت عليها الآيات هي إعاقة القلب: قال الطبري في تفسير الآية: ﴿**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[3]، قال أبو جعفر: "يقول تعالى ذكره: إن شر ما دب على الأرض ما خلق الله عند الله، الذين يصمون عن الحق لئلا يستمعون فيعتبروا به ويعظوا به، وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه، فيستعملوا بهما أبدانهم."[4]

---

[1]– المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم، عبد الكريم بليل– ص:139.

[2]– المرجع نفسه. ص:211.

[3] – سورة الأنفال، الآية: 22.

[4]– جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري، م: 4، ص: 24 – 25.

تشبه الآية الذين لا يعقلون كلام الله بالأنعام لأنهم لم يستخدموا حواسهم وجوارحهم لفهم الوحي ولتصديق الرسل، بل صدوا وأعرضوا عنه رغم قدرتهم على السمع، والكلام والنظر، إلا أن عقلهم لا يطاوعهم في إدراك وفهم وقبول الرسالة الموحاة إلى الرسول الكريم.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾،[1] يخاطب الله عز وجل نبيه في الآية بعد عدم استجابة المكذبين لما دعاهم إليه، فهم يسمعون سمعا ظاهريا فقط دون وعي أو فهم، فالصمم صمم معنوي يتعلق بصمم العقل وتعطيله.

جاء في تفسير ابن كثير:"يسمعون كلامك الحسن، والقرآن العظيم، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأبدان والأديان، وفي هذا كفاية عظيمة، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم، فإنك لا تقدر على إسماع الأصم- وهو الأطرش- فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء، إلا أن يشاء الله".[(2)] فهؤلاء ختم الله على قلوبهم غشاوة لا يتأثرون بالقرآن فرغم سلامة أذنهم إلا أن آيات الله لا تمرر إلى عقلهم ليستوعبوا ما أمروا به، ونهوا عنه، ليؤمنوا بالله.

وقوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلذِے يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾،[(3)] تشبه الآية الكفار الذين يدعون إلى الإيمان فيما كانوا يعبدون بالأنعام التي لا تفقه شيئا في الضلال والغي والجهل، فالأنعام تسمع أصوات راعيها دون فهم أو عقل لما يقول، ومعنى المثل الذي ضرب في الآية هو أن مثل الذين كفروا وداعيهم، كمثل الغنم وراعيها التي لا تفهم لغته ولا تعقله، كذلك الشأن بالنسبة للكافر في قلة فهمه عن الله- وسوء قبوله لما دعي

---

[1]- سورة يونس، الآية: 42.

[2]- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4، ص: 270.

[3]- سورة البقرة، الآية: 170.

إليه من الإيمان والتوحيد وتعظيم الله، لأنه صم لا يسمع الحق، لا ينطق به، وعمي لا يبصره بالرغم من كونه صاحب آذان، فهم صم بكم عمي عن الحق وعن الهدى، يتلقون الوحي بعدم القبول وعدم الفهم والعقل، لضعف بصيرتهم، وهشاشة فكرهم، وسذاجة عقلهم.

وحاصل القول، إن الإنسان كائن ميزه الخالق عز وجل عن باقي المخلوقات بالعقل، يدرك به الحقائق ويكتسب به العلم، ويفكر به في ملكوت السموات والأرض، ويميز به ما ينفعه وبين ما يضره، ليصل إلى المبتغى الذي من أجله خلق وهو توحيد الله، وعبادته، وتعظيمه.

صحيح أن العقل تقع عليه مسؤولية التمييز أو التفريق بين الأشياء ومسؤولية الفهم والإدراك والتفكر، وغيرها من الوظائف العقلية التي يقوم بها، لكن هذه المهام لا يقوم بها العقل وحده، ولكن هناك وسائل زود بها الإنسان وتجعله يقوم بكل هذه الأدوار، وهذه الوسائل والطرق هي الحواس، وأي اضطراب يصيب أي عضو مسؤول عن حاسة معينة سوف يعيق بشكل أو بآخر عملية التوصل للمعرفة أو تلقيها، وهذا الأمر ينطبق على الصم والبكم والعمي الذي فقدوا القدرة على السمع والكلام والنظر، التي تعد من أهم الحواس في عملية الإدراك والفهم والتواصل، وتلقي المعلومات، فهي التي تعطي للعقل الإشارات والمنبهات انطلاقا من العالم الخارجي، ليستجيب لها العقل من تأويل وتفسير، واستيعاب ما يتلقاه.

وصحيح أن الحواس تعتبر نوافذ البناء المعرفي لدى الإنسان من خلال قوله تعالى:﴿**وَالله أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَـٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾.[1]

[1]– سورة النحل، الآية: 78.

لكن هذا لا يعني أن العقل يكون عاجزا أمام اضطراب الحواس أو غيابها بنشاطه المعهود، وإنما ليس بالسهولة والشمولية والوضوح التي يستعين بها على التلقي بالحواس.

بالرجوع إلى الآيات الوارد فيها صفات الصم والبكم والعمي، التي نفت عن الموصوف بهم صفة العقل، يتبين أن العلاقة بين العقل وهذه الصفات علاقة تقابل وتضاد، ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان ومكنه كما سبقت الإشارة في أدوات توصله إلى معرفة الله، فجعل له نعمة البصر لينظر إلى آثاره تعالى في الكون وآثار صفاته من خلال التفكر في الكواكب والمجرات والسموات والأرض والبحار والمحيطات وغيرها...، ليخلص بعقله إلى أن لهذه المخلوقات صانعا هو الله عز وجل، ليزداد إيمانه بها، ويجتهد في عبادته مرضاة له.

كما مكنه من القدرة على السمع، ليستمع إلى آيات الله الكريمة ليكتشف ما تختزله من حكم ومواعظ، وأدلة وبراهين لوجود الله، وبلاغتها وفصاحتها ودقة نسقها ونظمها.

إلا أن المعرضين رغم ما يرونه من عجائب الصنع، وغرائب الخلق، وما يسمعونه عن الوحي وأحكامه وشرائعه، فهم يرفضونه بشكل قطعي؛ لقصور عقلهم في استيعاب ما جاء به الحق، فهم ممن سخروا سمعهم وبصرهم ولسانهم لغير ما أمروا به في التفكير في عظمة الخالق، ولعل هذا هو الامتياز الحاصل بين الإنسان وباقي المخلوقات، في العمليات العقلية التي توصل إلى الهداية ومعرفة الحق، ولما أعرض الكفار عن تفعيل العقل واستخدامه في ما خلق لأجله لتحصيل فضائله العظيمة، فقد جعلوا كالأنعام التي لا تفهم ولا تعي يقول تعالى:﴿وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ ٱلْجِنِّ وَالِانسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَئِكَ كَالاَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1]. قال الرازي: "فتقريره أن الإنسان وسائر الحيوانات متشاركة في قوى الطبيعة الخمس الباطنة والظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في القوة العقلية والفكرية التي تهديه إلى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فلما أعرض الكفار من اعتبار أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق، والعمل بالخير كانوا كالأنعام"[2].

وتبقى الحواس وحدها لا تحقق المعرفة المرجوة، لأن هذا من مهام العقل من خلال مبادئه الفطرية، فالعلم إنما هو عملية تفاعل ثنائي بين الحواس والعقل، فهي بمحصولها من الإدراكات، والعقل بما فيه من مبادئ أولية يوظفها في تلك المادة الحسية"[3].

وعموما؛ فإن الحواس والعقل تتحد وتتكامل في البناء المعرفي، وتحصيل المعلومات، وفقد أحدهما نقص في الأخرى، وقد أودعهما الله تعالى في الإنسان وحث على استخدامها في طاعة الله، خاصة حاستي السمع والبصر لدورهما الأساسي في عملية الإدراك والتعلم ونقل المعارف، وفي تمكين العقل من الحكم على الأشياء، والاستنتاج والقياس والتفسير وغير ذلك.

2 – علاقة العقل بالضلال:

أ– مفهوم الضلال في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي:**

جاء في مقاييس اللغة، الضاد واللام أصل واحد، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه[4].

---

[1]– الأعراف، الآية: 179.

[2]– التفسير الكبير، للرازي، ج15، ص: 53–54.

[3]– مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبدالرحمان بن زيد الزبيدي، ص: 499.

[4] ــ مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (ضل).

وتقول ضللت مكاني، إذا لم تهتد له، وضل إذا جار عن القصد، وأضل بعيره إذا أفلت فذهب[1].

والضلال والضلالة ضد الرشاد والهدى.[2]

إذن الضلال هو العدول عن الطريق المستقيم والسديد، وهو ضـــد الهدايـــــة والإستقامة والرشاد، ويعبر عن الضلال بالضياع والهلاك، وذهاب الشيء إلى غير محله، والضالة تطلق على البعير التي انحرفت عن الطريق.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

يقصد بالضلال: العدول عن الطريق المستقيم[3]، وبضاده الهداية، ولكل عدول عن المنهج ضلال عمدا أو سهوا، يسيرا أو كثيرا[4]، والضال المملوك الذي ضل الطريق إلى منزل مالكه من غير فضل[5].

الضلال يكون في مقابلة الهدى، والغي في مقابلة الرشد، والضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا، والغواية: ألا يكون له إلى المقصد طريق مستقيم"[6].

ب – مفهوم الضلال في القرآن الكريم:

وردت ألفاظ الضلال في القرآن الكريم مائة وإحدى وتسعين(191) مرة[7]. وقد تعددت معاني كلمة الضلال في القرآن الكريم وتعددت استعمالاتها، وكل استعمال

---

[1] ــ كتاب العين، للخليل الفراهيدي، مادة (ضلل).
[2] ــ لسان العرب، لابن منظور، مادة (ضلل).
[3] ــ مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، مادة (ضلل).
[4] ــ الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مادة (الضلال).
[5] ــ التعريفات، للجرجاني، مادة (الضلال).
[6] ــ كشاف اصطلاحات الفنون، مادة (الضلال).
[7] ــ ألفاظ الهداية والضلالة في القرآن الكريم في ضوء تفسيري القرطبي والشعراوي، لسائد فايز، ص: 156.

يحدده السياق الذي وضعت فيه، شأنها شأن الألفاظ السالفة الدراسة بعلاقتها مع العقل، ومن وجوه الضلال في القرآن الكريم.

الضلال بمعنى الغي أو الإغواء. في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1]، قال الطبري في تفسير الآية: "ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي وإفرادي بالألوهية حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعيدونها"[2]، وقال الصابوني: "لقد أضل الشيطان منهم خلقا منهم كثيرين، وأغواهم عن سلوك طريق الحق"[3]، وفي الآيات التي حمل الضلال فيها معنى الإغواء قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[4].

لأضلنهم: أي لأغوينهم[5]،وأحرفهم عن طريق الهدى [6].

- الضلال بمعنى النسيان: وقد يدل على الحيرة والسهو من خلال قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[7].

والضلال هنا جاء بمعنى الحيرة أو النسيان أو السهو، جاء في تفسير القرطبي: "قال أبو عبيد: معنى أن تضل، تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالا"[8].

---

[1] ــ سورة يس، الآية: 62.

[2] ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج: 6، ص: 285.

[3] ــ صفوة التفاسير، الصابوني، م 3، ص: 21.

[4] ــ سورة النساء، الآية: 119.

[5] ــ معالم التنزيل، البغوي، م: 2 ج:5 ص: 281.

[6] ــ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج:7، ص:135 .

[7] ــ سورة البقرة ، الآية: 282.

[8] ــ الجامع لأحكام القرآن القرطبي . ج: 4، ص:451.

– الضلال بمعنى الإبطال في قوله: **(أَلذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ)**[1]، أي الذين يجحدون بآيات الله ويعرضون عن الإسلام، ويمنعون الناس من الدخول فيه، يبطل أعمالهم ويحبطها ويجعلها ضائعة لا ثواب فيها، لأنها لم تكن لله فبطلت[2]، وقوله تعالى: **(وَالذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُّضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ)**[3]، أي لن تبطل[4]، أعمال الشهداء في سبيل الله بل سيجزون الجنة. الجنة.

– الضلال بمعنى الخطأ : في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** [5]، والضلال هنا بمعنى الخطأ. قال الطبري: "يعنون إن أبانا يعقوب لفي خطأ من فعله، في إيثاره يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة، ويعني بالمبين: أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه"[6].

إن الله أنزل القرآن نظاما للناس في حياتهم، ودستورا في شؤونهم وألزمهم باتباعه والاهتداء إليه، لأنه طريق الحق والهدى **(فَمَنِ إِتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَىٰ)**[7]، ومن أعرض عن ذلك سيضل ويشقى، ويعيش حياة ضنكا، بسبب الكفر والجحود وتحجر العقول عن طريق الهداية والنور، واتباعهم لطريق وخطوات الشيطان.

ولعل الآية الكريمة: **(وَلَقَدَ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ)**[8]، تدل على عداوة الشيطان للناس في إضلالهم وإغوائهم عن الحق، **(وَلَقَدَ**

---

[1] ــ سورة محمد، الآية: 1.

[2] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، ج 3، ص: 205.

[3] ــ سورة محمد، الآية:4.

[4] ــ صفوة التفاسير، علي الصابوني، ج 3 ، ص: 207.

[5] – سورة يوسف، الآية: 8.

[6] – جامع البيان في تأويل آي القران، للطبري، ج: 13، ص: 18

[7] – سورة طه، الآية: 121.

[8] – سورة يس، الآية: 61.

آضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً)، تعني كما سبقت الإشارة أغوى الخلق الكثير، وعبر عنه بالجبل للدلالة على كثرة الكثرة لأن (جِبِلّاً كَثِيراً)، تدل على تضعيف الكثرة، (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)، همزة الاستفهام للتوبيخ على عدم إعمالهم للعقل والتمييز بين طريق الهدى وطريق الضلال (طريق الشيطان).

إن المقصود بالعقل في الآية ليس العقل الذي ضده الجنون أو الحمق، وإنما العقل الذي يميز بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وطاعة الله، وطاعة غيره، واتباع الطريق المستقيم واتباع طريق الشيطان. العقل الذي يستنير بالوحي، ويستمد قوته منه، ويتخذ الهداية والصلاح سبيلا له، ويبتعد عن كيد الشيطان الذي وعد نفسه بإغواء الإنسان واستدارجه إلى المحرمات والمحظورات، وتزيين المعاصي والذنوب، والإيقاع به فيها.

ج – نـوع العلاقــة.

إن الله أوجد الإنسان في الكون، وأوجد له العقل، ليتبع طريق الهداية، وليكبح ميولاته ورغباته، أو يوازن بينها وفق ضوابط شرعية حتى لا يسقط في الضلال. فالعقل له دوره وأهميته في توجيه الإنسان إلى طاعة ربه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يضله أو يحرفه عن الطريق المستقيم وطريق الهداية.

والحاصل أن الإنسان إذا أقحم العقل في غير مجاله أو استخدمه بشكل خاطئ، ضل وضاع عن سواء السبيل، وانحرف عن المهمة التي من شأنها خلق، وهي طاعة الله وعبادته، وبهذا تكون علاقة العقل بالضلال علاقة تضاد. فإذا كان دور العقل يتمثل في اجتناب الآثام والمعاصي، والحذر من مكائد الشيطان، فإن ضد ذلك يشمل الخضوع لإغواءات الشيطان ووساوسه التي تقود إلى الضلال والكفر، فمن سمة إعمال العقل في الشريعة الإسلامية الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يسقط الإنسان في الإباحيات

والمحرمات، ولعل الآية الكريمة: (وَلَقَدَ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ) [1] تذم وتوبخ الذين يسيئون التصرف بعقولهم إذ لا يعملوها في ما ينفعهم، فلم يعقلوا عداوة الشيطان ومكره، وما فعله بالذين خالفوه وآمنوا بالله وحده، ولكن الشيطان أوقعهم في شباك الضلال والضياع. يستفاد من سياق الآية أن الضلال يكون نتيجة لعدم إعمال العقل، واتباع والاحتكام إلى غير ما شرعه الله سبحانه وتعالى، والانقياد إلى إغواءات إبليس الذي يصور الحرام والباطل في صورة حسنة للعباد بغية إضلالهم عن طريق الحق والهداية، وإبعادهم عن دين الله كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلاً بَعِيداً)[2]. وغير هذه الآية كثير في القرآن الكريم، التي تبين مكر الشيطان وسعيه إلى إغواء وإغراء العباد، من أجل زحزحة إيمانهم والإيقاع، بهم في بحر المعاصي والظلمات.

إن العقل قوة من القوى التي تجعل الإنسان يحدو إلى طريق الحق والنجاة، وينضوي إلى الاستقامة والصلاح، ويرجع الشاردة والضالة إلى الطريق القويم والمستقيم، باتباع منهج رب العالمين، وامتثال أوامره تعالى وتعليماته، والحذر من أغلال، ومكائد الشيطان، وهذا يتطلب من الإنسان أن يكون على درجة عالية من رجاحة عقله، وتحكيمه من أجل نصرة الحق، وضمان سيره في الوجهة الصحيحة التي يرتضيها الشرع، ولا ينساق وراء ما أراد به الشيطان أن يسوقه إليه، فلا استقامة لعبد حتى يستقيم عقله.

3 ــ علاقة العقل بالتحريف

---

[1] – سورة يس، الآية: 62.

[2] – سورة النساء، الآية: 59.

من خلال قوله تعالى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1] .

أ- معنى التحريف في المعاجم اللغوية والاصطلاحية.

- **في المعنى اللغوي :**

جاء في مقاييس اللغة: الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول:

- "حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء.

- الانحراف عن الشيء، يقال انحرف عنه ينحرف انحرافا، وحرفته: إذا عدلته عن جهته.

- المحراف: عبارة عن حديدة تستخدم لعلاج الجراح".[2]

وتحريف الكلام عن مواضعه: تغييره وتبديله.[3]

والتحريف: قط القلم محرفا، وقد قيل في هذا:

تَخَـــالُ أُذْنَبَـــهُ إذَا تَحَرّفَـــا خَافِيَـــــةً أَوْ قَلَمـــــاً مُحَرَّفـــــاً[4]

فالتعريف بمعناه اللغوي: هو التبديل والتغيير، والعدول، وهذه المفاهيم كلها تدل على تغير الشيء عن أصله، أو تغييره من اتجاهه إلى اتجاه آخر.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

نجد صاحب التعريفات يعرف التحريف بأنه تغيير اللفظ دون المعنى[1].

---

[1]- سورة البقرة، الآية: 75.

[2]- مقاييس اللغة، مادة (حرف).

[3]- لسان العرب لابن منظور، مادة (حرف).

[4]- ورد البيت في تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مادة (حرف).

والمحرف: هو ما اتفق ركناه في أعداد الحروف، وترتيبها، واختلف في الحركات، سواء كان من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل[2]، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدَ آرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[3].

وجاء في معجم اصطلاحات الفنون: التحريف بمعنى التصحيف[4] عند المحدثين، وتغيير ألفاظ لمراعاة الصوت عند القراء[5].

إذا، التحريف بهذا المعنى هو تغيير كلمات القرآن الكريم، من خلال تبديل اللفظ أو الحركات؛ مما يجعل معانيها تصرف إلى معاني أخرى؛ وبالتالي تزيغ عن مقاصدها المنشودة.

ويمكن الانتهاء إلى خلاصة مفادها؛ أن التحريف في المعاجم اللغوية اتخذ معنى التغيير والتبديل في الشيء، أما في المعاجم الاصطلاحية، فهو يُحمل على أنه تغيير في ألفاظ القرآن الكريم التي تصرفها عن دلالتها. ولتتضح لنا الرؤية أكثر في معنى التحريف سنحاول بيان مفهومه في القرآن الكريم.

ب – مفهوم التحريف في القرآن الكريم

مما شك فيه أن القرآن الكريم. منزه عن التحريف والتبديل بعناية ربانية عالية؛ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[6]، والمقصود بالحفظ هنا هو إحاطة القرآن برعايته تعالى حتى لا يمسه نقص أو زيادة، أو تغيير

---

[1]– التعريفات، للجرجاني، مادة (حرف).
[2]– الكليات، للكفوي. مادة (حرف).
[3]– سورة الصافات، الآيتان: 72–73.
[4]– "التصحيف تغيير اللفظ والمعنى"، الكليات للكفوي، مادة (حرف).
[5]– كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، مادة (حرف).
[6]– سورة الحجر، الآية: 9.

لألفاظه ومعاني آياته مع مرور الأزمنة والعصور، على عكس ما وقع للكتب السماوية السابقة، التي طالها التحريف والتغيير.

وقد ورد مصطلح التحريف في القرآن الكريم بصيغة "يحرفون" في أربعة مواضع هي:

يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[2].

يقول تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[3].

يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1].
يَعْلَمُونَ﴾[1].

---

[1]– سورة المائدة الآية: 13.

[2]– سورة المائدة الآية: 41.

[3]– سورة النساء، الآية: 46.

تشير الآيات البينات إلى التحريف الذي تعرضت له الكتب السماوية (التوراة والإنجيل)، مما أدى إلى نسبية الاستدلال بها والتشكيك في مصداقيتها، وهذا راجع إلى التغيير والإتلاف الذي أحدثته اليهود في آياتها، حيث بدلوا مواطن بعض الآيات والألفاظ، مما أدى تغيير فحوى ومغزى بعضها، وإلى نقص في أحكامها وتشريعاتها، فأصبح من الصعب أن يعتد بها.

ويظهر من خلال الآيات أن التحريف في القرآن الكريم يتخذ شكلين:

– أولهما: التحريف اللفظي: تدل عليه الآيات (المائدة 13)، (المائدة 41) (النساء 46)، ويقصد تغيير الآيات والألفاظ عن مواضعها بأخرى غير التي أنزلها الله، وبذلك جهلت الناس بما أنزل تعالى و"فسدت فُهُومُهم، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله الله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل"[2]. حيث تؤول الآيات إلى معاني غير التي أريد بها، فتظل مقاصدها وتضيع أحكامها.

– ثانيهما: التحريف المعنوي: ويقصد به كل تفسير أو تحليل أو تأويل للآيات خاطئ؛ الذي من شأنه أن يغير معانيها الحقيقية، ويخرجها عن الطريق المنشودة منها، وبالتالي: إخراج الوحي إلى ما يخدم أهواء الأعداء وأغراضهم الدنيئة، كما جاء في الآية: ﴿ **وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[3] ، فقد عمدوا إلى تحريف التوراة من بعد أن سمعوا آياتها، وعقلوا[4] معانيها، وضبطوا فحواها؛ فأولوها وفق ما يخدم مصالحهم.

---

[1]– سورة البقرة، الآية: 75.

[2]– تفسير القران العظيم، تفسير ابن كثير، ج 3، ص:64.

[3]– سورة البقرة، الآية: 75.

[4]– " أي فهموه وضبطوه، ولم تعولهم شبهة في صحته". انظر الكشاف للزمخشري: م 2، ص: 177.

وهذا النوع من التحريف غالبا ما يطال القرآن الكريم، فنجد البعض يؤول بعض عباراته بشكل لا يليق بقداستها، ويفسرونها بغير ما أريد بها، فمثلا لفظة "الجهاد" التي طالها لبس كبير، وانحرف عن الفهم المراد بها في القرآن الكريم، وانزاح عن السياق الذي من أجله شرع، فالفجوة واسعة وبعيدة كل البعد بين لفظة "الجهاد" في القرآن الكريم، وبين مفهومه في التطبيق والممارسة.

ويظل الإقرار راسخ بأن القرآن الكريم محفوظ[1] بعناية إلاهية من أي تحريف أو تبديل، نقصان أو زيادة وهذا واضح في العديد من آيات القرآن التي تؤكد سلامته من أي تغيير مصداقا لقوله تعالى: ﴿لاَّ يَاتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]. وقوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَـٰتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاًۖ لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦۚ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَداً﴾[4].

من خلال هذه الآيات يتبين أن الله خص القرآن بعنايته وحمايته، وتكفل بحفظ كلماته من كل تحريف أو تبديل قد يصيبه، كما أن "الظروف التي أحاطت بنزول القرآن تقتضي سلامته من مزعومة التحريف لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر بتدوين النص القرآني أولا بأول، وقد اتخذ كتابا يكتبون الوحي حين نزوله، وكان صلى الله عليه وسلم يشرف بنفسه على وضع كل آية في موضعها من السورة، ولم

---

[1]– "كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان – محروسا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسر عليه".

– معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي القسم الأول، ص: 27.

[2]– سورة فصلت، الآية: (41–42).

[3]– سورة الأنعام، الآية: 115.

[4]– سورة الكهف، الآية: 27.

يكتف بذلك بل كان يأمر باستظهار القرآن الكريم وتعلمه لينظم الاستظهار إلى التدوين في حفظ القرآن وسلامته، هذا زيادة إلى حرص المسلمين وعنايتهم البالغة وتفانيهم من أجل أن لا تمتد إلى القرآن الكريم يد التغيير أو التبديل حتى ولو بحرف واحد"[1].

ج- نـــــوع العلاقـــة

تتجلى علاقة التحريف والعقل في علاقة التضاد، فإذا كان العقل من خلال الآية 75 من سورة البقرة، هو فهم وضبط معنى الآيات فإن نقيض ذلك هو تحريف الدلالة، وإخفاء المعنى الحقيقي للآيات.

ومفاد ما توصلنا إليه هو أن من مسلمات العقل التي يسلم بها أن القرآن الكريم،

منزه عن أي تلاعب أو تغيير باعتباره دستورا ترجع إليه الأمة في جميع أمورها، وتعتد في شؤونها الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية، إضافة إلى كونه معجزا[2].

ومتحديا للذين يكذبون به ويطعنون فيه.

وتجدر الإشارة إلى أهمية العقل في التسليم بالوحي والتصديق به، وفهمه الفهم الصحيح الذي لا تشوبه شائبة؛ "فلا وجود للإنسان كإنسان، ولا مجال للتلقي عن رسالة الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه والعلم، ولا مجال لمسؤولية الخلافة والإمارة، دون

---

[1]- سلامة القرآن من التحريف، علي موسى الكعبي، ص: 5-6.

[2]- وذلك بـــ: "حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن، فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له". ينظر: "معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي"، القسم الأول، ص: 27.

وجود العقل في معطياته في الإدراك والفهم والتمييز، وما تدل عليه وتدعو إليه من مقاصد الخير والعطاء"[1].

فالعقل يستمد قوته وتوازنه، وتوافقه لما جاء به الوحي من خلال التدبر والتفكر في أحكامه وأوامره ونواهيه؛ وبذلك يبني منهجه وتصوراته، ويرسم طريقة عمله واشتغاله أثناء إدارة شؤونه الدنيوية والأخروية.

ويأتي دور العقل هنا للتصدي لكل تحريف، أو تأويل غير سليم، لآيات القرآن الكريم الذي من شأنه أن يزيغ عن مقاصد وغايات الوحي، ولما كان التحريف أفسد مصداقية الكتب السماوية كمصدر يقيني للمعرفة[2]؛ كان لزاما على العقل أن يقوم بمسؤوليته المتمثلة في الاستقراء، والاستنباط، والتدبر، والتفكر في آياته من أجل الوصول إلى حقيقتها، وإلى إدراك معانيها ومقاصدها، وإن عظم وشرف مقام القرآن الكريم ليس بالتلاوة والحفظ، وإنما بالتدبر وإعمال العقل فيه ليحصل النفع به دينا ودنيا[3].

4- علاقة العقل بالافتراء:

اقترن العقل بالافتراء من خلال قوله تعالى: ﴿ **مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ** ﴾[4].

---

[1] – أزمة العقل المسلم لعبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص: 131.

[2] – أزمة العقل المسلم لعبد الحميد أحمد أبو سليمان، ص: 131.

[3] – "إنما عظم شأن القرآن لا لأنه يتلى ويحفظ، فرب صبي لم يبلغ حد كمال العقل يسابق الكبار من العقلاء في حفظه، وإنما عظم ذلك من حيث إذا تدبره المرء وتمسك بأدائه عظم نفعه دينا ودنيا". ينظر: "تنزيه القرآن من المطاعن، القاضي عبد الجبار المعتزلي"، ص: 80

[4] – سورة المائدة، الآية: 105.

أ – مفهوم الافتراء في المعاجم اللغوية والاصطلاحية:

- **في المعنى اللغوي:**

افتراء من فري ، يفري، مفتر.

وافتريت الفرو: لبسته ، والفروة جلدة الرأس.

وفري فلان كذبا، إذا خلقه، وافتراه: اختلقه[1].

والفري : الأمر العظيم[2].

والفري : العجب، قال الأعلم الهذلي:

وَفَرِيــتُ مِــنْ جَــزَعٍ فَــلاَ أَرْمِــي، ولاَ وَدَّعْــتُ صَــاحِبْ [3]

وفريت الجلد فريا: قطعته على وجه الإصلاح، وأفريت الأوداج بالألف قطعتها، وأفريت الشيء قطعته[4].

يتضح من خلال المعاجم اللغوية أن الافتراء ارتبط في أغلب الأحيان بالكذب واختلاق شيء لا أصل له في الواقع، ونسبتها إلى الله تعالى، أو إلى الناس، كذبا وبهتانا.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

الافتراء: فري، أفرى مع تهيئة أو تهيئ، كفري الجلد مع تهيئته ليكون مَزادة[5].

---

[1] – الصحاح، للجوهري، مادة (فري).

[2] – لسان العرب، لابن منظور، مادة (فري).

[3] – البت من مجزوء الكامل، ورد في لسان العرب، لابن منظور، مادة (فري).

[4] – المصباح المنير للفيومي، مادة (فري) .

[5] ــ المعجم الاشتقاقي المؤصل، حسن جبل، مادة(فري).

والفري الكذب وافتراه: اختلقه، استخرجه من عند نفسه وهيأه[1]، والفري الشيء العظيم[2]، كما في قوله في الآية: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ﴾[3].

والافتراء: افتعال، ويدل على اختيار الفعل وقصده سواء كان في صلاح أو فساد، وفي كذب أو صدق[4].

إذا، فالمعنى الاصطلاحي هنا مرتبط بالمعنى اللغوي، من حيث دلالة مصطلح الافتراء الدال على افتعال واختلاق الأشياء، ويطلق أيضا على الشيء العظيم، وعلى إصلاح الجلد بعد قطعه.

ب – مفهوم الافتراء في القرآن الكريم :

ورد لفظ الافتراء في القرآن الكريم في ستين(60) موضعا[5].

يعتبر الافتراء من الأشياء المذمومة في القرآن الكريم، وخاصة الافتراء على الناس؛ فهو أشد من الظلم، وهو أعظم معصية. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾[6]

أشارت الآية الكريمة إلى عظم الافتراء على الله، والتكذيب بآيات القرآن الكريم، والتنكر لما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، خدمة لأغراض الكفار الدنيئة، وهو ظلم صارخ جزاؤه جهنم.

---

[1] ــ المرجع نفسه.

[2] ــ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، لحسن المصطفوي، مادة(فري).

[3]– سورة مريم، الآية: 27.

[4] ــ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، لحسن المصطفوي، مادة (فري).

[5] ــ المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم، لعبد الكريم بليل، ص: 98.

[6]– سورة العنكبوت، الآية: 68 .

ويبقى الافتراء، شأنه شأن التحريف، من أعظم المعاصي وأخطرها، لأنها تقود إلى الشرك بالله، فيخرج صاحبها عن طاعة الله ورحمته، ولهذا جاءت العديد من الآيات لتحذر من التقول على الله تعالى؛ لأن مآله هو العذاب الأليم، ولأن صاحبه يقع في الكفر والبدع.

ومن الافتراءات؛ التي تضمنتها آيات القرآن الكريم:

الافتراء بالكذب على الله: وردت هذه الصيغة في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿ قُلْ آرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلَٰلاً قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾[1]

الآية تذم المشركين الذين يشركون في ما أنزل الله حسب ما تقتضيه مصلحتهم فيحرمون ما شاءوا ويبيحوا من غير الله، فهؤلاء يفترون على الله الكذب، فيحلون ويحرمون من تلقاء أنفسهم، أيحسبون أن الله يصفح عنهم ويغفر لهم يوم القيامة بل سيصليهم سعيرا"[(2)].

وقوله : ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوۤاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَارَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَد ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[3].

نزلت هذه الآية على المفترين الذين يؤدون البنات مخافة الفقر، فشرعوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله من بحيرة وسائبة[(4)] وسيلقون الهلاك والخسارة على فعلهم

---

[1]– سورة يونس، الآيتان: 59 ــ 60.

[2] ــ صفوة التفاسير،علي الصابوني، ج1، ص: 589.

[3]– سورة الأنعام، الآية: 140.

[4] ــ تفسير القران العظيم، ابن كثير،ج:3، ص: 347.

الشنيع، ولعل من أعظم الافتراءات على القرآن هو الكذب على الله والتشريع في أمور الدين بغير أي مستند أو دليل إلهي.

ومن الافتراءات التي ذكرت في القرآن الكريم، الافتراء على آيات الله في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾[1]. أي الذين يفترون على آيات الذكر الحكيم والحق المبين ويكذبون بها، هم في حقيقة الأمر ملحدون ومرتدون عن الدين، لأنهم لم يؤمنوا بما أنزله سبحانه وتعالى عليهم، ولم يطمئنوا له لأنهم في غفلة وجهل.

وقوله: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين،[2] ، يبين الله تعالى إعجاز القرآن الكريم واستحالة الإنسان تأليف مثله، لأنه منزل من رب العالمين بشكل محكم وبديع لا يستطيع أحد مضاهاته فيه.

ومن الافتراءات التي تضمنتها كذلك آيات القرآن كذلك؛ افتراء السحر، في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.[3]

فالآية تبين اتهام المشركين موسى لما جاءهم بآيات الله الحكيمة الافتراء والسحر وافتعال هذه الآيات فواجهوه بالصد والمعارضة لأن أسلافهم لم يعهدوها.

والافتراءات الأخرى المذكورة في القرآن هي:

ـ افتراء الإفك في قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ

---

[1]– سورة النحل، الآية: 105.

[2]– سورة هود، الآية: 13.

[3]– سورة القصص، الآية: 36.

﴿وَقَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾،[1] بمعنى إذا عرضت عليهم آيات الله المبين على الكفار صدوها وكذبوها، وافتروا عليها، لأنها تبعدهم عن عبادة الأصنام والإفك هنا: "الكذب، ووصفه بالمفترى إما أن يتوجه إلى نسبته إلى الله تعالى أو أريد أنه في ذاته إفك وزادوا فجعلوه مخترعا من النبي صلى الله عليه وسلم ليس مسبوقا به"[2].

كما اقترن الافتراء في مواضع من القرآن الكريم بالبهتان في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُومِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَاتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3].

وقوله : ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِيْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾.[4]

ج – نــوع العلاقــة

يلاحظ من خلال تتبع مصطلح الافتراء في آيات القرآن الحكيم؛ أن الافتراء ارتبط بكل ما هو مذموم ومسيء (السحر، الكذب، الإفك، البهتان...) وهذا يدل على دناءته، خاصة الافتراء على الله؛ فهو فعل شنيع وذنب عظيم، بل هو من أكبر مستويات الكذب، وأعظم المحرمات، إذ يخالف ما جاء به القرآن، ويخالف حقيقته، ويستكبر على الحق، ومن تجلياته التقول على الله بغير علم، وإحلال الحرام وتحريم

---

[1]– سورة سبأ، الآية: 43.

[2] ــ التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج: 25، ص:240.

[3]– سورة الممتحنة، الآية: 12.

[4]– سورة مريم، الآية: 26.

الحلال... ولأجل هذا كان وعيد الله شديدا على المفترين لما فيه من تضليل للعباد وتحريف للحقيقة وانقياد وراء الردة والكفر.

وما دام الافتراء هو قمة الكذب والبهتان هدفه طمس حقائق الوحي، وتضليل الناس، فهو يتعارض مع الشرع؛ لأن الشرع يمثل الحقيقة، ويمثل الحق والعلم، أما الافتراء هو عكس ذلك، وبالتالي يتعارض مع العقل الذي هو قوة مدركة في الإنسان، ومميزة بين الحسن والقبيح. الحق والباطل ، والحقيقة والكذب، والعقل الراشد السليم الخالي من البدع والشهوات، لا يمكن أن يوافق الافتراء، أو يسلك متاهات الكفر والردة والتضليل، وبذلك تكون علاقة الافتراء بالعقل، علاقة تضاد وتقابل؛ فالعقل يحتكم للوحي في حكمه على الأشياء وعلى تصوراته المنبثقة عن رؤيته الكلية لكتاب الله، وبما أن الافتراء منبوذ في القرآن الكريم ومحرم، فمن الطبيعي أن يرفضه ويعارضه العقل الحكيم؛ الذي يستمد شرعية الحكم والتمييز من الكتاب.

وصفوة الكلام، حاولت استقراء الآيات المحصاة الوارد فيها لفظ العقل، من أجل تحديد العلاقات وفق ما تستلزمه مسلمات الدراسة المصطلحية لبيان الألفاظ التي تتداخل خيوط معانيها وتتشابك مع مصطلح العقل، إلا أن ورود العقل بصيغة الفعل جعل من هذه المهمة في أغلب الأحيان صعبة نوعا ما، في تحديد العلاقات بدقة وبرؤية واضحة داخل السياق القرآني الواردة فيه. ونظرا لكون مصطلح العقل لم يرد بلفظه الصريح بشكل كثيف، ولكون الألفاظ المنتمية إلى السياق غير مرتبطة به ارتباطا مباشرا لعدم وجود خصائص مشتركة واضحة، يبقى التجاور في السياق هو المحدد أحيانا.

المبحث الثاني: المصطلحات التى تشترك مع مصطلح العقل في نفس النسق المفهومي.

المطلب الأول: أسمـــــاء العـــــقــل

تعددت أسماء العقل في السياق القرآني وفي لغة العرب، وارتبطت معانيها بالعقل، وفي ما يلي ذِكرٌ لها:

1 – اللـــــــــب :

- **في المعنى اللغوي :**

" لبب": لب شيء ولبابه، خالصه وخياره، وقد غلب اللب على يؤكل داخله ويرمي خارجه من الثمر.

لب النخلة قلبها، وخالص كل شيء: لبه.

ولب كل شيء نفسه وحقيقته:

إليكم ، بَنِي آل النَّبِي ، تَطَلَّعَتْ نَوَازِعٌ من قَلْبِي ، ظَمَاءٌ ، وأَلْبَبُ [1].

ولب الرجل: ما جعل في قلبه من العقل، وشيء لباب خالص.

واللُّبة: باطن العنق، وقال قوم بل ما اكتنف الثغرة"[2].

يظهر من خلال هذه التعاريف أن اللب هو جوهر الأشياء، ووسطها وباطنها، ويعبر أيضا عن خالص الشيء وقلبه، ولب الرجل عقله الذي يدرك به ويميز به الأشياء وهو خاصة الإنسان الذي يرتقي به، من خلال المنع عن المحظور، والتنبيه والاحتراس من الوقوع في الشوائب.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

جاء في مفردات غريب القرآن: "اللب العقل الخالص من الشوائب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معاينة... وقيل ما زكى من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لب، ولهذا علق تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب"[3].

---

[1] – البيت من البحر الطويل ورد في ديوان الكميت بن زيد الأسدي.

[2] – جمهرة اللغة للدريدي، مادة (لبب).

[3] – مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، مادة (لب).

وجاء في التعريفات: "اللب هو العقل المنور بنور القدس الصافي عن قشور الأوهام والتخيلات"[1].

فاللب، إذن، هو العقل الوازع السليم المدرك لحقائق الأشياء وبواطنها، وسمي العقل باللب لأنه صفوة وخيرة ما يتميز به الإنسان عن باقي المخلوقات، واللب يكون أكثر مرتبة من العقل حيث يكون صاحبه أكثر حكمة، ورجاحة ونضجا وقدرة، من خلال تراكم الخبرات والتجارب والمعارف.

- **في القرآن الكريم :**

جاء اللب في القرآن الكريم على صيغة الجمع، للتنويه بأولي الألباب وبمكانتهم

في كثير من الآيات، يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَاوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥٓ إِلاَّ ٱللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ ﴾ [2]. ﴿ ٱلذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ هَدِيٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ ﴾[3]، والمقصود بأولي الألباب الذين يدمنون النظر، ويعمقون البصر في آيات الله تعالى لاستبانة حقائقه الغزيرة ومعانيه المفعمة، للوصول إلى حسن الفهم وإلى التفكير الناضج والراقي. واللبيب في القرآن الكريم هو الذي يعبد الله حق عبادته، ويذكره قياما وقعودا، ويتفكر في عظمة خلقه، إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ ٱلْيْلِ وَالنَّهَارِ ءَلاَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلاَلْبَٰبِ

[1] – التعريفات للرجرجاني، مادة (لب) .

[2] – سورة آل عمران، الآية: 7.

[3] – سورة الزمر، الآية: 18.

﴿ ٱلذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1]، فذِكر الله لا يقتصر على حال أو على وقت أو مكان، وإنما هو شيء مطلوب في جميع الأحوال، كما أن التفكر والنظر في ملكوت السماوات والأرض، وتجليات خلقه أمر واجب لتنزيهه تعالى عن العبث وعن ما لا يليق به، فالآية تحث على ضرورة الجمع بين العبادة باللسان والمتمثلة في الذكر والعبادة، والعبادة بالعقل والقلب المتمثلة في التفكر والتبصر، وإمعان النظر لترسيخ الإيمان بالله عز وجل.

ومن المعاني التي اتخذت في القرآن الكريم للبيب: الراسخ في العلم[2]، "وهو المتحقق به الذي لا تعرضه شبهة"،[3] أو "الراسخون في العلم هم الذين دخل العلم بالوحي في ألبابهم حتى ثبت واستقر"[4]، قوله تعالى: ﴿وَالرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ ﴾[5]. أي يعرفون الله من خلال آياته وخلقه، ويدركون عمق الأشياء ومعانيها، وبالتالي يثبت إيمانهم، وتقوى لديهم العزيمة على طاعة الله، واجتناب نواهيه؛ لهذا ختمت الآية بالثناء على أولي الألباب: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ ﴾، "أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة، والفهوم المستقيمة"[6].

---

[1] – سورة آل عمران، الآيتان: 190 – 191.

[2] – مفهوم العلم في القرآن الكريم، الدكتور مصطفى فوضيل، ص: 229.

[3] – المرجع نفسه.

[4] – مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، مادة (رسخ).

[5] – سورة آل عمران، الآية: 7.

[6] – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج: 2، ص: 13.

إن اللب في القرآن الكريم أعلى مرتبة من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لبا، ويطلق اللب على العقل الراجح الحكيم المستقيم، السريع البديهة، الذي يستنير ويهتدي بالوحي.

ولابد من الإشارة هنا أيضا إلى أن اللب في القرآن الكريم لا علاقة له بما يعرف بالذكاء، بل المقصود به التفكر في ملكوت السماوات والأرض ليخلص المتفكر إلى عظمته، وقدرته ووحدانيته، فصاحب اللب لا تشوب عقله شائبة.

2 - **الحِجـــــــــر:**

- **في المعنى اللغوي :**

الحجر بكسر الحاء: "العقل واللب لإمساكه ومنعه وإحالته بالتمييز" وقيل:

فَأَخْفَيْتُ مَا بِهِ من صَدِقِي وَإِنَّهُ لَذُو نَسَبٍ دَانٍ إِلَيَّ وَذُو حِجْرْ[1]

والحجر مقصود به هنا العقل، وأورد الأزهري في معجمه بأن العقل هو اللب والعقل[2]، وقد سمي الحجر حجرا لأنه يمنع ويحجر صاحبه مما يليق، ويحبُسُ التصرف قولا أو فعلا في الأشياء المحظورة، والتعريف اللغوي للحجر يجمع بين العقل الذي هو المنع والحبس والتمييز للأشياء، واللب الذي هو العقل السليم الزكي المتفكر المتوازن بين الأشياء. فالحجر، إذن، يجمع بين العقل المانع الحابس عن ارتكاب المنهيات وتعدي حدود الله، والتمادي في الباطل، وبين العقل المتفكر المتدبر في بواطن الأشياء وحقائقها.

- **في المعنـــى الاصطلاحي :**

[1] – ورد البيت في لسان العرب، لابن منظور، مادة (حجر).

[2] – تهذيب اللغة، للأزهري، مادة (حجر).

لقد أوردت المعاجم الاصطلاحية المعنى اللغوي نفسه للحجر الذي حُصر في المنع والحبس، حيث جاء في مفردات غريب القرآن "من الحجر معنى المنع لما يحصل فيه، فقيل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه"[1]، وجاء في المعجم الاشتقاقي المؤصل: "الحجر بمعنى: العقل لأنه يحفظ ويمنع ..."[2].

- **في القرآن الكريـــم:**

ورد الحجر بكسر الحاء في القرآن الكريم في مواضع ناسب معناها المضمون الذي جاءت فيه، فجاء الحجر بمعنى العقل في قوله تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[3]. وإنما سمي به العقل لأنه يحبس الإنسان عن تعاطي ما لا يليق من الأفعال والأقوال"[4]. وإنما العقل المُعنى به في الآية هو: العقل المثابر المتأمل في دلائله عز وجل، وقدرته العظيمة في الخلق.

وورد الحجر بمعنى الحرام في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَت ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لاَّ يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ** ﴾[5]، **فالحجر في الآية فسر بالحرام**[6]، والمقصود بها الأنعام المحجورة والمحبوسة لأنها أنواع الحام والوصيلة والبحيرة.

وجاءت كلمة حجر أيضا في القرآن الكريم بمعنى ديار قوم ثمود من خلال الآية: ﴿**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾[7].

---

[1] – مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (حجر).

[2] – المعجم الاشتقاقي المؤصل، حسن جبل، مادة (حجر)

[3] – سورة الفجـــر، الآية: 5.

[4] – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج: 8، ص: 394.

[5] – سورة الأنعام، الآية: 138.

[6] – تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج:3، ص: 345.

[7] – سورة الحجر، الآية: : 80.

وعلى العموم يمكن القول أن الحجر بمعناه العام يرادف العقل حيث يناط به المنع والحظر عن الفعل أو التصرف الغير المقبول أو الغير الصحيح.

3 - **النهـــــــى :**

- **في المعنى اللغــوي:**

جاء في لسان العرب أن العقل؛ "يكون واحدا وجمعا، والنهية: العقل بالضم، سميت بذلك لأنها تنهى عن القبيح، وأنشد ابن بري للخنساء:

فَتَى كان ذَا حِلْمٍ أصيل ونُهْيَةٍ إذا مَا أَلْحَيَا من طائِفِ الْجَهْلِ حُلَّتِ"[1].

" والنهي: هي العقول والألباب " [2].

ورجل منهاة: عاقل حسن الرأي، وفلان ذو نهية، أي ذو عقل ينهي به عن القبائح ويدخل إلى المحاسن، وسمي العقل نهية لأنه ينتهي إلى ما أمر به ولا يتعدى أمره"[3].

وفي معجم تهذيب اللغة "النهية: العقل، وكذلك النهى: جمع نهية، ونهية كل شيء:غايته، نَهْيٌ من قوم نهين وأنهياء، كذلك من العقل، وسمي العقل نهية لأنه ينتهي إلى ما أمر ربه "[4].

- **في المعنى الاصطلاحي :**

النهى هو العقل وسمي بالنهي: لانتهاء الذكاء والمعرفة والنظر إليه، وهو نهاية ما يمنح العبد من الخير المؤدي إلى صلاح الدنيا والآخرة [1].

---

[1] – ورد البيت في لسان العرب، لابن منظور، مادة (نهى).

[2] – جمهرة اللغة، لابن دريد، مادة (نهى) .

[3] – تهذيب اللغة للأزهري، مادة (نهى) .

[4] – تهذيب اللغة للأزهري، مادة (نهى) .

والنهى: من النهي وهو الزجر عن الشيء، والنهية: العقل الناهي عن القبائح، ج. نهى[2].

- **في القرآن الكريـــم :**

ورد لفظ النهى في القرآن الكريم في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾[3]. والمقصود بأولي النهي هنا: العقول [4].

وفي قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾ [5]، وبنفس المعنى جاءت " أولى النهى" أي ذوي العقول السليمة [6].

فالآيتان تخاطبان أولي النهى وأصحاب العقول السليمة التي تقر بالنعم التي سخرها الخالق عز وجل في خدمة الإنسان، وتشيران إلى ضرورة إعمال العقل للعظة والاعتبار من الأمم السابقة. وقد سمي العقل نهى لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب المعاصي والقبائح.

4 - الحـــجـــا :

- **في المعنـــى اللغـــوي:**

الحجا: وهو من الألفاظ المرادفة للعقل والفطنة، وقيل في هذا الشأن: بيت الليث الأعشى:

---

[1] – الكليات الكفوي، مادة (نهى).

[2] – مفردات غريب القرآن للأصفهاني، مادة (نهى).

[3] – سورة طه، الآية: 127.

[4] – صفوة التفاسير، علي الصابوني، م 2، ص: 251.

[5] – سورة طه، الآية: 53.

[6] – صفوة التفاسير، علي الصابوني، م: 2، ص: 237.

إِذَا هِـــيَ مِثْــلُ الغُصْــنِ مِثَالُهُ تَرُوقُ عَيْنِي ذي الحِجَا الزَّائِرِ [1].

وبيت لمحيي الدين بن العربي:

لِيَعْجَزَ عَنْ إِدْرَاكِهِ كُلُّ ذي حِجىً وَيَقْبَلُــهُ مِنْــهُ حَيَّــا وحَيَائِضِ [2]

الحجــا : العقل[3] والفطنة والمقدار[4].

ويراد به أيضا حسن الظن في قولهم حجا به خيرا [5].

وسمي العقل بالحجا لإصابته الحجة به والاستظهار على جميع المعاني[6].

5 - **الحــلـــــــم :**

- **في المعنى اللغـــوي :**

ورد الحلم بالكسر في معجم لسان العرب: الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم[7].

والحِلم بالكسر الأناة وقد حَلُمَ بالضم حِلْماً، وتَحَلَّمَ تَكَلَّفَ الْحِلْمَ وتَحَالَمَ، أرى من نفسه ذلك وليس به "[8].

---

[1] –البيت أنشده الليت للأعشى، ورد في لسان العرب لابن منظور، مادة (حجا).

[2] – للشاعر محيي الدين ابن العربي : (فايدة: إذا طلع البدر المنير عشاء) .

[3] – تهذيب اللغة للأزهري، مادة (حجا).

[4] – القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (حجا) .

[5] – المرجع نفســه.

[6] – الكليات، الكفوي، مادة (حجا).

[7] – لسان العرب، لابن منظور، مادة (حلم)

[8] – مختار الصحاح، لعبد القادر الرازي، مادة (حلم)

والحلـــم: العقـــل[1].

وحلم: حلما، تأنى وسكت عند الغضب أو مكروه مع قدرة، وقوة وعقل[2].

والحلم هو مجاهدة النفس لكظم الغيظ، والتريث والتأني قبل صدور أي رد فعل.

- **في المعنى الاصطلاحـــــي:**

ورد في مفردات غريب القرآن: "الحلم ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"[3].

وأورد في التعريفات: "الحلم هو الطمأنينة عند سورة الغضب، وقيل تأخير مكافأة الظالم" [4].

يتضح من التعريفين أن الحلم هو الصبر وضبط النفس عند الغضب، وعدم التسرع في الإنتقام من المعتدي أو الظالم.

- **في القرآن الكريم .**

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن صفة الحليم، التي وصف بها عز وجل نفسه أكثر من مرة: ﴿ **وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [5]، ﴿**وَلَقَدْ عَفَا عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[6]. وسمى الله نفسه بهذه الصفة لتأنيه

---

[1] – القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، مادة (حلم).
[2] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (حلم).
[3] – مفردات غريب القرآن للأصفهاني، مادة (حلم).
[4] – التعريفات، للجرجاني، مادة (حلم).
[5] – سورة البقرة، الآية: 235.
[6] – سورة آل عمران، الآية: 155.

وإمهال عبده العقوبة، ليس عجزا منه ولكن لعظمته وقدرته على الصفح والصبر والعفو والمغفرة.

كما وصف عز وجل أنبياءه بصفة الحلم، في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ** ﴾ [1]، والحليم هنا هو الذي يصفح عن الذنب، ويصبر على الأذى[2]. وقد أوصى إبراهيم بالحلم والتأوه من فرط رحمته، ورقة قلبه، وصبره ما يعترضه من الأذى[3]، واستغفاره لأبيه دليل على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ **فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ** ﴾[4]، والغلام المبشر به في الآية إسماعيل الذي أتاه الله الصبر والحلم بامتثاله لأمره تعالى واستسلامه للذبح.

صفوة ما نتوصل إليه؛ هو أن الحليم هو الذي يحكم عقله أمام زلات وعثرات الآخر، وقد وصف الخالق عز وجل بهذه الصفة لتجاوزه سيئات عبده وعصيانه له، فيؤجل بحلمه عقابه، إلى أجل غير محدد، لعلهم يستغفرون عن ذنبهم، ويتوبون إلى الله.

المطلب الثاني: الألفاظ المتقاربة مع مصطلح العقل

كثيرة هي الآيات التي وردت في القرآن الكريم تدعو إلى إعمال العقل، مستعينة بذلك على ألفاظ متقاربة مع لفظ العقل وهذا أمر بديهي بعد أن كانت العرب قبل الإسلام غارقة في بحر من الظلمات والجهل والفساد، والتقليد، والاعتقاد الخاطئ، أن يأتي القرآن الكريم، كمنقذ وكبديل لما كانت العرب تتخبط فيه من فسق وفجور، فكان من الطبيعي أن يلفت الخالق عز وجل الانتباه إلى ضرورة إعمال العقل في مواطن

---

[1] – سورة التوبة، الآية: 114.
[2] – صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، م:1، ص: 564.
[3] – نفسه، ص: 566.
[4] – سورة الصافات، الآية: 101.

عديدة نظرا لقيمته وأهميته في التغير والتنمية في المجتمع، وباعتباره الملكة التي انفرد بها الإنسان دون غيره من المخلوقات وخصه بها.

والحقيقة التي لا شك فيها هي أن إلحاح القرآن الكريم على التفكير والتعقل والتأمل والنظر بشدة في كثير من الآيات، كونها المفتاح للوصول إلى العلم بالله والمعرفة وحقائق الكون، والوجود، وإدراك صفات الجلال والجمال والكمال لله عز وجل، كما من شأن هذه القدرات الرفيعة العالية القدر أن تقوي إيمان الخلق، وترسخ يقينه بالله عز وجل، وبالتالي تسود القيم والأخلاق النبيلة، وترقى المجتمعات وتسمو البشرية، وأعظم ما في هذه النعمة هو أن الخالق عز وجل جعل وفقها مجموعة من القدرات والاستعدادات للفهم والإدراك والتميز، المتمثلة في التدبر والتفكر والتأمل والنظر... وهي مفاهيم متقاربة مع مفهوم العقل والفروق بينهما بسيطة جدا، وسنحاول في هذا المبحث عرض هذه الألفاظ وتحديد معانيها اللغوية والاصطلاحية، ومعانيها التي وردت بها في القرآن الكريم.

1 – التفكـــر:

- **في المعنى اللغوي :**

الفكـــر: اسم التفكر، فكر في أمره وتفكر، ورجل فكير: كثيـــر التفكـــــــر، والفكرة والفكر واحد[1] والفكـــر: تردد القلب فـــي الشيء، يقـــال ردد قلبـــــه معتبرا.[2]

والتفكر: التأمل[3]، والفِكر والفَكر: إعمال الخاطر في الشيء[1] والفكر بالكسر: تردد بالنظر، والتدبر لطلب المعاني، ولي طلب في الأمر: أي نظر ورؤية، والفكر

---

[1] – كتاب العين، للخليل أحمد الفراهيدي، مادة فكر .

[2] – مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (فكر).

[3] – تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، مادة (فكر).

بالفتح مصدر فَكَرْتُ، والفكرة اسم من الافتكار ويقال الفكرة: ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علما أو ظنا،[2] والفكر إعمال النظر في الشيء. جمع أفكار، وفي استعمال العامة افتكر، والمعنى: تأمل، وفكر في الأمر: أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، والتفكير: إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول[3].

يمكن أن نستشف من خلال هذه التعاريف أن مادة فكر تدور حول مجموعة من المعاني يمكن أن نجمل أهمها في التالي: التفكر هو تردد القلب في الشيء وإعمال العقل للوصول إلى حقيقة مجهولة ويدل أيضا على التدبر والتأمل، ومن الجدير بالذكر هنا أن أصل فكر هو تردد القلب في الشيء بمنظور ابن فارس .

- **في المعنى الاصطلاحي :**

من التعريفات الاصطلاحية التي خصصت للتفكر تعريف الجرجاني: "التفكر هو تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، وهو سراج القلب يراد به خيره وشره، ومنافعه ومضاره"[4]، وجاء في معجم المصطفوي: "تصرف القلب وتأمل منه بالنظر إلى مقدمات ودلائل ليهتدي بها إلى مجهول مطلوب"[5]، وعلى هذا الأساس يكون التفكر عمل يقوم به القلب للوصول إلى عمق الأشياء أو الدلائل من خلال النظر والتأمل للاهتداء إلى الحقائق والمعلومات.

---

[1] – لسان العرب، لابن منظور، مادة (فكر).

[2] – المصباح المنير في غريب الشرح للكبير، الرافعي، مادة(فكر).

[3] – المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (فكر).

[4] – التعريفات، للجرجاني، (التفكر).

[5] – التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مادة (فكر).

- **في القرآن الكريم :**

وقد ورد مصطلح التفكر ثماني عشرة (18) مرة في القرآن الكريم، إذ جاء بصيغة "يتفكرون" إحدى عشرة(11) مرة، وعلى صيغة "تتفكرون" ثلاث (3) مرات، وجاء على صيغة " يتفكروا" مرتين وبصيغة "تتفكرون" مرة واحدة ، وعلى صيغة " فكر" مرة واحدة.

إن معظم هذه الآيات الوارد فيها مصطلح "التفكر" تروم بيان فضائله ونعمه تعالى على خلقه الذي جاد بها للإنسان وسخرها له، يقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [1].

تحث هذه الآيات على التفكر في خلق السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار للوقوف على عظمة الخالق، وبراعة الصنع والإتقان. وهذا لن يتأتى إلا لذوي العقول الذين يعملون العقل ويتفكرون في هذا الخلق لمعرفة قدرة الله سبحانه وتعالى، وبالتالي ترسيخ إيمانهم بالله عز وجل، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن كل أمر أو نهي أو تحليل أو تحريم إلا وله حكمة وغاية ومنفعة للناس، وللوصول إلى هذه الحقيقة؛ لابد من التفكر والتدبر وإعمال العقل في آيات الكتاب المبين؛ لأنها مفتاح كنوز العلم والمعرفة، وسبيل لأسس وقواعد الهداية، والموصلة إلى العبادة المرجوة من العباد؛ ففضل الله على خلقه كبير ونعمه كثيرة، فقد خلق الله هذا الكون الواسع المليء

[1] – سورة يونس، الآية: 24.

بالأسرار والخبايا بشكل منظم ومحكم، وجعله مسخرا له وفي خدمته، وحث على التدبر والنظر بإمعان فيه للوصول إلى حقيقته، والوقوف على كنهه وما يحتويه من حقائق ومعارف، من شأنها أن تسمو بالبشرية، وتزيد المحبة لله عز وجل، وهذا لن يتحقق إلا بالتفكر؛ هذه هي العبادة العالية الشأن، الرفيعة القدر؛ التي أودعها الله للإنسان ليتدبر خلق الله، ويفهم ما أنزله تعالى على رسوله الكريم الفهم الصحيح.

إن الكون مجال واسع وفضفاض للتفكر فيه، من أجل معرفة أسراره وخباياه؛ وبالتالي معرفته عز وجل وعظمته، ومدى هيمنته وإحاطته بكل شيء، فلو أمعنا النظر إلى خلق السماء وحجمها وسعتها وكواكبها ونجومها ورونقها، ولو دأب الناس إلى التفكر فيه؛ لوقفوا منبهرين أمام هذا التناسق والانسجام العظيمين المنقطعي النظير في خلق السماوات والأرض.

2 – مفهوم التـــدبـــــر :

- **في المعنى اللغوي:**

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس: الدال والياء، والراء، أصل هذا الباب أن جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء وخلقه.[1]

ودبر كل شيء خلاف قبله ما خلا قولهم: جعل فلان قولي دَبْر أذنه أي خلف: أذنه ودَبْرَ أذنه. [2]

ويقال للقوم في الحرب: ولوهم الدَّبُر والإدبار التولية نفسها، وأدبار السجود: أواخر الصلوات. [3]

---

[1]– مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (دبر).

[2] – كتاب العين الخليل الفراهيدي، مادة (دبر) .

[3] – صحاح العربية للجوهري، مادة (دبر).

والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته.

والتدبير: التفكر فيه.

ويقال دَبَر الشيء: ذهب به، ودَبَرَ الرجل: ولَّى [1].

يتبين مما سبق أن مادة فكر تدور حول نهاية الشيء وآخره، وهذا المعنى متفق عليه في جميع معاجم اللغة، كما يحيل على معنى النظر في عواقب الأمور، قبل القيام بها أو الخوض فيها.

والمعنى الثالث : التولي والذهاب والرجوع عن الشيء.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

جاء في التعريفات: "التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر، تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر ما تصرفه بالنظر في العواقب"[2].

وجاء في الكليات التدبر"تصرف القلب بالنظر في الدلائل "[3].

وورد في معجم التحقيق في كلمات القرآن الكريم: التدبر هو تفعل لمطاوعة التفعيل وتحققه، واختيار ذلك المفهوم ، فيقال دَبَّر الأمر فَتَدَبَّرَ الأمر، أي صار ذا عاقبة، ومن هذا المعنى يؤخذ مفهوم التعدية، تدبر القرآن ــ [4].

---

[1] – القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مادة (دبر) .

[2] – التعريفات، للجرجاني، مادة (دبر) .

[3] – الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مادة (دبر).

[4] –التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مادة (دبر).

يستفاد من خلال هذه التعاريف أن التدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، وهو التفكر في مرامي الأشياء البعيدة، واعتمادا على هذا التعريف يمكن أن نقول أن التدبر هو: التفكر والنظر في آيات القرآن الكريم للوصول إلى معانيها وجوهرها وتصرف القلب في دلائلها بامتثال أوامره وتوحيده وتعظيمه.

- **في القرآن الكريم :**

ورد لفظ التدبر في القرآن الكريم بصيغتين: " يتدبرون" و" يدبروا " كقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَاتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلاَوَّلِينَ**﴾[1]، **وقوله تعالى:** ﴿ **كِتَٰب أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ**﴾[2]، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ**﴾[3]، ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاً كَثِيراً**﴾[4]، ومعظم الآيات هي دعوة إلى تدبر القرآن وآياته، كما ورد لفظ التدبر في أغلب الأحيان في القرآن الكريم بمعنى التفكر، يقول الطبري في تفسيره: **(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ)**، " أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعضهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه السلام، ويتفكرون في حججه"[5]، ولعل المقصود بتلاوة القرآن هو التفكر في آياته للوصول إلى مغزاها، وإلى ما أريد بها، والوقوف على المواعظ والحكم التي تختزلها.

---

[1] – سورة المؤمنون، الآية: 69.

[2] – سورة ص، الآية: 29.

[3] – سورة محمد، الآية: 25.

[4] – سورة النساء، الآية: 82.

[5] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، م: 2، ص: 513.

ومن معاني التدبر: "إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء"[1].

والتدبر بهذا المعنى هو النظر إلى ما يؤول إليه الأمر بالتأمل في عاقبته ومنتهاه، وبذلك يتحقق الهدف المتوخى من التلاوة حتى تتجلي المعاني ومراميها، وتتبين الحجج والدلائل التي تُرهِب النفس وترغب القلب.

يفهم مما سبق أن التدبر هو النظر في آيات القرآن الكريم لإدراك معانيها الجليلة، بالنظر إلى أبعادها لتبين حقائقها الدقيقة، وأسراها المختلفة، وبذلك ينساق العقل إلى العمل بما تحث عليه. ولعل هذا الهدف الأسمى من قراءة القرآن التي تقتضي استحضار العقل والقلب لفهم الآيات فهما صحيحا، والخضوع لها هيبة ورهبة، واستشعار عظمة الله عز وجل وقدرته التي لا تضاهيها قوة في الخلق والصنع.

3 - التـــــأمـــــل :

- **في المعنى اللغوي :**

أمـــل: "الهاء والميم واللام أصلان: الأول التثبت والانتظار، والثاني: الجبل من الرمل".[2] ونفس المعنى أوردهما الخليل في معجمه العين بأن الأمـــل: هو الرجاء، فتقول: أَمَّلْيَتُهُ، أُومِلُه، تَأْمِيلا، وأمَّلْتُه ، أَمَلاً وإِمْلَةً على بناء جلسه، والتأمل عنده التثبت في النظر، وقيل في هذا المعنى:

---

[1] – التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ج: 9، ص: 385.

[2] – مقاييس اللغة ، لابن فارس، مادة (أمل) .

تَأَمَّلْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ تَحْمِلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ حَزِيمِ [1]

المعنى الثاني حسب الخليل: " جبل من الرمل، معتزل معظم الرمل وتأمل الرجل: تثبت في الأمر والنظر[2].

وتأملت الشيء، إذا حذقت فيه[3].

وبالتالي، فإن أغلب ما أجمعت عليه المعاجم اللغوية حول معنى التأمل، هو

التثبت، وإمعان النظر والتريث من أجل التبين والوصول إلى عمق الأشياء، فالمرور العابر، والنظرة الخاطفة تبقى إمكانية الحصول بها على المطلوب محدودة، وهذه الوسيلة اتخذها الأدباء والشعراء لتأليف الروايات والقصص، ونظم الشعر، من خلال التأمل في الطبيعة والأحداث.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

جاء في الكليات: التأمل هو استعمال الفكر[4].

وجاء في المعجم الاشتقاقي المؤصل: تأملت الشيء: نظرت إليه مستثبتا وتأمل: تثبت في الأمر[5].

---

[1]– البيت لزهير ابن أبي سلمى.

[2] – لسان العرب، لابن منظور، مادة (أمل) .

[3] – مجمل اللغة، أحمد بن فارس، مادة (أمل).

[4] – الكليات، لأبي البقاء الكفوي، مادة (أهل) .

[5] – المعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد حسن حبل، مادة (أهل).

وجاء في معجم التحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي: التأمل: التظاهر بالأمل حتى يحصل الرجاء، وهو غير التدبر والتفكر والتحقيق. [1]

والحاصل أن التأمل في المعنى الاصطلاحي هو تدقيق النظر حتى الوصول إلى المأمول أو الشيء المرتجى حصوله، وإطالة التحديق في فكرة أو صورة، أو أي شيء للوصول إلى ماهيته وإلى ما يخفيه، أو هو بمعنى عام سفر من العالم الخارجي إلى العالم الداخلي (الروح، الذات) لاكتشاف الوجود وتغيراته وحركاته.

- **في القرآن الكريم :**

لم ترد لفظة "التأمل" في القرآن الكريم وإنما وردت لفظة "آمل" ﴿ذَرْهُمْ يَاكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[2]. والأمل هنا في : تحصيل الدنيا، هو الذي يلهيهم ويشغلهم عن الإيمان بالله ورسوله [3].

﴿ الْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ اَمَلًا﴾،[4] أي أن الباقيات الصالحات أفضل ما يمكن أن تتأملوه وترجون حصوله لأنها الأنفع والأبقى، لأن صاحبها يأمل بها في الدنيا ثواب الله، ونصيبه في الآخرة" [5].

وكثيرا ما اهتم القرآن بالتأمل ودعا إليه في مواضع عديدة، بأساليب مختلفة، ليحصل له اليقين بأن الله الأحد، المتفرد بعظمته وقدرته في الخلق، فالناظر في الكون المتأمل فيه وما يحتويه من مخلوقات عجيبة من سماوات وأرض وجبال وبحار،

---

[1] – التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مادة (أمل) .
[2] – سورة الحجرات، الآية: 3.
[3] – المعجم الاشتقاقي المؤصل، حسن جبل، مادة (أمل).
[4] – سورة الكهف، الآية: 45.
[5] – تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج: 5، ص: 162.

وكواكب ونجوم، مما لا يعد ولا يحصى، تستلزم الوقوف بانبهار أمام هذا الإبداع والصنع المنقطع النظير.

كما أن التأمل في خلق الكون من شأنه أن يحدث معان عظيمة في قلب الإنسان، كالإيمان به وتعظيمه وتوحيده وتحفيزه على طرق أبواب العلم والمعرفة، للتوسع في معرفة الله وتجليات خلقه وتدبيره لأمور الدنيا والآخرة.

والتأمل هو عملية داخلية يقوم بها العقل والقلب بارتحال مع صور الموجودات والكائنات لاستشعار واكتشاف عوالمها وأسرارها، وغالبا ما تستدعي هذه العملية الوحدة مع النفس، بعيدا عن صخب الواقع وضوضائه، حتى يتسنى إطلاق سراح العقل بالتأمل في آيات الله في الكون والخلق، والاتعاظ والاعتبار بالجمال والكمال والدقة في الصنع، والعظمة في الإبداع، وبالتالي حصول التوحيد والخشوع والخضوع.

4 -**النظـــــــر** :

- **في المعنى اللغوي :**

نظر: "النون والظاء والراء، أصل صحيح وهو تأمل الشيء ومعاينته"،[1] ونظرت فلان، وانتظرته، أي وقفت وتمهلت [2].

النظر: الفكر في الشيء، تقدره وتقيسه منه، والنظر كذلك حس العين [3].

---

[1] – مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (نظر) .

[2] –كتاب العين، للخليل أحمد الفراهيدي، مادة (نظر) .

[3] – لسان العرب، لابن منظور مادة (نظر).

ونظر إليه: تأمله بعينه[1].

يأتي النظر في اللغة إذا؛ بمعنى مادي: أي تأمل الأشياء بواسطة العين، ويقترن بمفهوم الإبصار والمشاهدة، ومعنى معنوي: متجل في استخدام الفكر، فيقال نظرت الشيء أي تفكرت فيه ووقفت عليه، هذا النوع من النظر يكون من أجل التأمل والفحص والقياس.

- **في المعنى الاصطلاحي:**

جاء في مفردات غريب القرآن أن النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء، ورؤيته. وقد يراد به: التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية[2].

وأورد حسن جبل في معجمه: أن "النظر، مواجهـــة العين بترقب وتهيـــؤ

للألفاظ[3]، وهذين التعريفين يتوافقا مع المعنى اللغوي للنظر، فهو توجيه العين نحو الشيء من أجل استبصاره ورؤيته، وهذا من الاستعمالات العامة للنظر، كما يراد به كذلك تحديق النظر وإمعانه من أجل تحصيل المعرفة أو إدراك عمق صورة ما، أو فكرة ما، أو موضوع ما، للتوصل إلى علم أو معرفة تختزلها هذه الأشياء.

- **في القرآن الكريم :**

ورد لفظ النظر في القرآن في مواضع كثيرة بصيغ ودلالات متعددة، وأكثر ما ورد في دلالة النظر، والرؤية، والإبصار، والمشاهدة والشاهد، يقول تعالى: ﴿ **فَنَظَرَ**

---

[1] – القاموس المحيط، للفيروز آبادي ، مادة (نظر) .

[2] مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني مادة (أمل) .

[3] – المعجم الاشتقافي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، حسن جبل، مادة (أمل) .

نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾[1]، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2]، فالنظر هنا بمعنى: الرؤية بواسطة العين التي تعد انعكاسا مرئيا مقابل للعين دون شرط التأمل والتدبر. ويأتي النظر في مواضع بمعنى التأمل والتفكر كما في قوله تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ أَثَرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [3]، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4]، فالنظر هنا يمتد ليشمل معاني أبعد من الرؤية بالعين إلى التدبر في الأشياء، بواسطة العقل للوصول إلى الحقائق والعبر .

واستخدم النظر أيضا في القرآن الكريم للتعبير عن الانتظار والتريث والترقب وذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[5]، أي ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم"[6]، إلا نفخة في الصور.

والجدير بالذكر في هذه المسألة أن معرفة الله، وإفراده، أو التصديق بما أنزله على أنبيائه، يستلزم النظر بالعين المجردة في تجليات قدرته وعظمته في الخلق والتدبر فيها للوصول إلى المعرفة بالله، وإلى معرفة دلائل التوحيد والنبوة وإقرارها.

5 – **البصـــيرة :**

---

[1] – سورة الصافات، الآية: 88.

[2] – سورة القيامة، الآية: 23.

[3] – سورة الروم، الآية: 50.

[4] – سورة آل عمران، الآية: 137.

[5] سورة يس، الآية: 49.

[6] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، م:6، ص: 281.

- **في المعنى اللغوي :**

بصـــــر: "الباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء، والبصيـــــرة: البرهان، وأصل ذلك كله وضوح الشيء، ويقال رأيته لمحا بإصراري أي بتحديق شديد، وثانيهما: فبُصْرُ الشيء غِلْظُهُ"[1] (الجانب أو الحرف).

وجاء في معجم العين بَصُر، وأبصرت الشيء وتبصرت، وتبصرته: شبه رمقته، واستبصر وديته إذا كان ذا بصيرة، والبصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين، وحقيق الأمر[2].

ويقال للبصيرة: الثبات في الدين[3]. والتبصر: التأمل والتعرف واستبصر: استبان، وبصره تبصيرا : عرفه وأوضحه[4].

الملاحظ مما سبق أن البصر استعمل في المعنى اللغوي، للدلالة عن العلم بالشيء وإدراكه بواسطة العين أو القلب، وارتبط الإبصار بما يشاهده الإنسان بحاسة البصر التي تمكنه من التفاعل مع المحيط بشكل أسهل، والتعايش في الحياة بشكل أيسر والتميز بين أشكال وأجسام الأشياء وألوانها.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

جاء في مفردات غريب القرآن: البصيرة تطلق للقوة القلب الجارحة المدركة[5]، وجاء في التعريفات: "البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس، يرى بها

---

[1] – مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (بصر).

[2] – معجم العين للخليل الفراهيدي، مادة (بصر) .

[3] – لسان العرب لابن منظور، مادة (بصر).

[4] – القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (بصر).

[5] – مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، مادة (بصر) .

حقائق الأشياء، وبواطنها بمثابة البصر للنفس، يرى به صور الأشياء وظواهرها وهي التي يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة المقدسة[1].

يعبر لفظ البصيرة، إذن، عن تلك القدرة عن إدراك حقائق الأشياء وبواطنها بواسطة الجارحة، وهي قوة يتمتع البعض وتمكنه من رؤية ما وراء الحجب من خفايا الأمور وكنهها وهي نور يهتدي به القلب إلى المسلك الصحيح، وإلى طريق الصواب حيث يتبصر قدرته عز وجل، ويتبصر آياته وحكمته في الخلق والتشريع.

- **في القرآن الكريم:**

وردت البصيرة في القرآن الكريم، بمعنى الرؤية النافذة إلى جوهر الأشياء، وإلى الحقائق، وإلى كنه المعارف، والإنسان البصير يصل إلى اليقين، يقول تعالى: ﴿**قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**﴾[2]، والبصيرة هنا اليقين. [3]

إن الإنسان المؤمن البصير هو الذي ينظر لأمور دينه ودنياه ليتوصل إلى حقيقتها، ويكون منهاج حياته يتوافق مع الواقع فيرى الحق حقا، والباطل باطلا، والصحيح صحيحا يقول تعالى: ﴿**هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[4].

وهذه القوة النورانية يتمتع بها الإنسان بتوفيق من الله عز وجل، وبالاهتداء إليه حيث تمكنه من شق طريقه نحو السعادة والكمال ورضوان الله تعالى.

---

[1] – التعريفات للجرجاني، مادة(بصر) .

[2] – سورة يوسف ، الآية: 108.

[3] – جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، م: 4، ص: 394.

[4] – سورة الجاثية الآية: : 19.

والبصيرة بينة قلبية تأتي نتيجة التفكر والتدبر والتعقل، والأخذ بحكم ومواعظ القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، وصدق الإيمان بالله، التي تمكنه من الثبات على الحق، والثبات على القيم والأخلاق التي جاء بها القرآن، ودرء الشبهات، وفتن الشهوات.

6 - الحكمـــــة :

- **في المعنى اللغــوي :**

جاء في معجم مقاييس اللغة، "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع وأول ذلك الحكم هو المنع من الظلم وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها"[1].

وجاء في القاموس المحيط: الحكمة بالكسر، العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل، وأحكمه، أتقنه، فاستحكم، ومنعه من الفساد [2].

وجاء في معجم تاج العروس: الحكمة، العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها.

إذا؛ أن الحكمة تقوم في أصلها على المنع شأنها شأن أصل العقل، وسميت بهذا لأنها تمنع الظلم والفساد والجهل. والحكمة العلم بالأشياء وحقائقها، والإحاطة بها، والحكيم هو المتقن للأمور المصيب في القول والفعل، وكثيرا ما وصف القرآن والسنة والنبوة بالحكمة؛ لاشتمالهما عليها.

- **في المعنى الاصطلاحي :**

---

[1] – معجم العين للخليل الفراهيدي، مادة (حكم) .

[2] – القاموس المحيط للفيروزآبادي، مادة (حكم).

الحكمة في المعنى الاصطلاحي هي: "علم يُبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه"، [1] وتعرف أيضا ب "إتقان الفعل والقول وإحكامهما"،[2] و"الحكمة إصابة الحق والعقل، فالحكمة من الله عز وجل معرفة الأشياء وإيجابها على عناية الأحكام".[3]

فالحكمة بهذه المعاني هي العلم بالأشياء ودقائقها، ومعرفة الله عز وجـــل

وأحكامه والعمل بها، وهذه المعرفة تكون خالصة خالية من الشوائب، وتكون مصحوبة بإتقان الصنع وتهذيب النفس، وإصابة الحق.

- **في القرآن الكريم :**

وردت كلمة حكمة في القرآن الكريم عشرات المرات، كما وردت مقترنة بالكتاب والقرآن والآيات بكثرة، وهذا راجع إلى قوة ارتباطهما، وعلى اشتمالهما على المواعظ والحكم، كما جاءت الحكمة مقترنة بالعمل الذي يعتبر أهم قواعدها، وركنا من أركانها. واقترنت أيضا بالموعظة الحسنة التي حث الإسلام عليها في الدعوة إلى دين الله، وإقناع الناس بتلطف وحكمة، إضافة إلى ورودها مقترنة بالملك لكون مالك الملك متصفا بها في اتخاذ القرارات، وإصدار الأحكام، وجاءت أيضا مقترنة كذلك بفصـــل الخطاب، باعتبار الكلام البليغ من شيم الحكماء.

كما جاءت صفة الله عز وجل في آيات عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾[4]، والحكيم هنا لحكمته وإحكامه للأمور.

---

[1] التعريفات للجرجاني، مادة (الحكمة) .

[2] – كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي مادة (الحكمة) .

[3] – مفردات غريب القرآن، للأصفهاني مادة (الحكمة).

[4] – سورة البقرة، الآية: 126.

ووردت الحكمة صفة للقرآن في قوله تعالى: ﴿يَسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1]، وقد أوصى القرآن الكريم بالحكمة لتضمنه الحكمة، فكل ما جاء به القرآن الكريم من قصص وأحكام ومواعظ هي منتهى الحكمة، وقد أقسم الله في هذه الآية بالقرآن تشريفا لقدره وتعظيما له، ووصفه بالحكمة لاشتماله عليها، وصفة الحكيم بمعنى: "المحكم المتقن، ويجوز أن يكون صاحب الحكمة"[2]، كما جاءت الحكمة واصفة للكتاب والذكر والأمر.

ووردت بمعان كثيرة حسب موقعها في السياق فتارة يراد بها القرآن وتارة يراد بها السنة، وتارة يراد بها العلم أو النبوة....

وعموما، إن الحكمة تقتضي المعرفة الشاملة للأشياء، وحسن استعمال العقل، وسلامة التفكير؛ مع حسن التصرف والسلوك والعمل، فهي تجمع بين القوتين العقلية والعملية؛ أي بين الفهم الصحيح للأشياء مع الفعل الصحيح، وبين التطبيق العملي الرزين. ويمكن أن تستمد الحكمة من الذكر الحكيم، لاشتمال كل ما جاء فيه؛ من نهي أو أمر أو قصة أو موعظة على الحكمة، كما تستمد الحكمة أيضا من أهل العلم وخاصته، ومن المواقف والخبرات والتجارب التي يمكن أــن تزيد الإنسان حكمة وحلما و تجعله أكثر علما ودراية بالأشياء.

ولعل الغاية السامية التي يتوخاها القرآن من خلال الاهتمام بالعقل هي الوصول إلى حقيقة الكون، من خلال آليات وإمكانيات أودعها الله في الإنسان؛ المتمثلة في التفكر والتدبر والنظر والتبصر..، وتكرار التنويه بهذه الآليات في القرآن الكريم بشكل لافت للنظر غايته بيان كنه الدين، وجوهر الإنسان، وحقيقة الكون التي تفضي إلى نتيجة مفادها توحيد الله عز وجل.

وهنا، لابد من الإشارة إلى بعض الفروقات الدقيقة بين التفكر والتدبر والتأمل والنظر، التي تبينت من خلال مقاربة معاني الألفاظ ذات الصلة مع لفظ العقل؛ فرغم

---

[1] – سورة يس، الآية: 1.

[2] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، م:11، ج: 12، ص: 245.

تقاربها دلاليا، إلا أن كل واحدة تنفرد بخاصية تختلف عن الأخرى، فالتفكر مثلا؛ هو تصرف القلب في معنى الشيء دون النظر في عواقب الأمور، ويروم في القرآن الكريم بيان قدرته وعظمته في الخلق من خلال التفكر في آياته وفي الكون والأنفس والآفاق. أما التدبر فهو النظر في عواقب الأمور، وقد ورد لفظ التدبر في آيات القرآن الكريم؛ للتحذير مما آلت إليه أحوال الأمم السابقة، والاستفادة من القصص والمواعظ تجنبا للوقوع في الموبقات والمعاصي. فكل من التفكر والتدبر يكون بالقلب، أما التأمل فيكون بإدامة النظر والتحديق لمعاينة الشيء، ويكون إما بالعين المجردة أو بالفكر. أما النظر فيكون قصد الفحص والتأمل بواسطة العين المجردة من أجل إدراك معنى الصورة أو الموضوع.

وعموما؛ يمكن القول إن تعدد ورود الألفاظ ذات الصلة بالعقل ومرادفاته في النص القرآني يرجع إلى إصرار القرآن الكريم على إعلاء شرف العقل وقيمته، ولهذا جاءت الآيات، وخاصة الآيات الكونية، لتحث على إعمال العقل تارة، ولتوبخ على إهماله تارة، ولتثني على الذين يستخدمونه تارة أخرى، موظفة الألفاظ التي تنتمي إلى نفس النسق المفهومي للعقل.

الفصل الثالث:
القضايا المتعلقة بمصطلح العقل .

المبحث الأول: تكريم الإنسان بالعقل وأهميته في الإسلام ووظائفه.

المطلب الأول: تكريم الإنسان بنعمة العقل وتشريفه بها.

أفاض الله عز وجل على الإنسان ما لا يعد ولا يحصى من النعم، وقد أشار إلى ذلك في العديد من الآيات، وعمد إلى بيان مظاهر تكريمه له، وخصوصيته وتشريفه

عن باقي الكائنات. ومن لطائف هذه النعم أنه أحسن خلقه وتقويمه، ونفخ فيه الروح، وأسجد له الملائكة، وحمله الأمانة، وجعله خليفة في الأرض، وسخر له كل ما في هذا الكون لخدمة مصالحه وتيسير قضاء حوائجه، كما جعله صاحب إرادة وقرار.

ويأتي هذا التكريم لرد الاعتبار للإنسان والارتقاء بمكانته، وفك أسر العبودية، والذل والهوان، حيث جعل العبودية لله وحده، وما حرم كل ما من شأنه أن يمس كرامة الإنسان أو يشكل تهديدا لحياته وسلامته، فحرم قتل النفس، والاعتداء، والسرقة ... الخ ضمانا لأمنه وطمأنينته.

ومن مظاهر التكريم الإلهي العظيم للإنسان، أنه وهبه ملكة العقل الذي يميزه عن باقي الكائنات، يقول تعالى في صدد الحديث عن هذا التكريم الله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [1]، هذه القوة العظيمة التي تمكنه من الفهم والإدراك، والتواصل والتخاطب، والتمييز بين الأشياء، والتي بواسطتها يتحمل مسؤولية فعله وقوله؛ إذ إن فقدانها أو إصابتها باضطراب أو خلل، يعفى صاحبها من التكاليف الشرعية، فالتكليف لا يترتب إلا عن ذوي العقول السليمة. قال صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل" [2].

وللتوضح هنا؛ يمكن القول إن بالعقل يعرف الإنسان خالقه ويعبده حق عبادته، من خلال النظر إلى بديع صنعه، وعظيم خلقه، مما يرسخ لديه الإيمان اليقيني بعظمته

---

[1] – سورة الإسراء، الآية: 70.

[2] – ــ سنن الترميذي، كتاب الحدود ، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد.

وبوحدانيته، ويكون مجبرا على تحمل مسؤولية كل ما يصدر عنه،لأنه يملك العقل الذي هو مناط التكليف.

إن الله أنعم على عباده بالعقل، ومكنه من عمليات عقلية؛ متمثلة في التدبر والتفكر والنظر، التي وردت بشكل بارز في آيات القرآن، للوصول إلى حقيقة الوجود وما أودعه فيه من أسرار وحقائق، تستوجب الوقوف برهبة وهيبة أمام عظمة وقدرة الله عز وجل.

ويبقى دور الإنسان في هذه الحياة تسخير عقله لعبادة الله وتوحيده، واتباع كل ما يصلح له وينتفع به من مصادر الشريعة الإسلامية، ويجتنب كل ما يمكن أن يضره أو يؤذيه، لأن هذه الشريعة أُسست وشُرعت لمصالح الناس وخدمتهم. يقول ابن قيم الجوزية: " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها"[1]، وحتى يحقق لنفسه السلام والاستقرار، والفوز بسعادة الدارين، عليه الامتثال لأحكام القرآن؛ والتفكر والتقصي لفهم الظواهر، وتحليلها واستخلاص العبر والمواعظ والقوانين الإلهية التي سُنت لخلق التوازن في هذا الكون.

المطلب الثاني: فوائد إعمال العقل وأهميته في الإسلام

نزل القرآن الكريم في واقع مجتمع يسود فيه الجهل والسفه والتبعية للأسلاف؛ واقع يعيش على ظروف ونظام مبني على قانون الغاب؛ حيث الغلبة للقوي، إضافة إلى عبادة الأصنام؛ وتفشي ظاهرة وأد البنات، واتباع معتقدات الأجداد التي لا تمت إلى

[1] – إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ج 3، ص: 3.

المنطق والعقل بصلة، يقول تعالى: ﴿ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [1].

وعلى الرغم من براعة العرب في الجاهلية وجدارتهم في الفصاحة والبلاغة والخطابة، إلا أن حياتهم كانت مبنية على عادات وتقاليد وتصورات تحد من استقلاليتهم الفكرية ، وتكبل عقولهم المقيدة، بمعتقدات وممارسات الأسلاف والأجداد القائمة على العبثية والتخلف.

ومع مجيء الإسلام، الذي كان له موقف حازم ضد هذه القوانين والأعراف التقليدية، حيث دعا إلى تحرير العقل من الترسبات الهجينة، والخروج من النظرة السطحية للحياة والكون.

وبرجوعنا إلى الآيات القرآنية، نجد أن العقل خصصت له مساحة كبيرة في القرآن الكريم، حيث ذكر غير مرة سواء بلفظه الصريح أو الضمني، تعظيما لهذه الملكة، وتنبيها على وجوب تفعيلها. يقول العقاد في هذا الصدد: "القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم، والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي، التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه"[2]. من هنا؛ تتضح منزلة العقل وأهميته في القرآن الكريم، الذي يوجه خطابه إلى ذوي العقول والألباب، وينعى المقلدين المضللين.

---

[1] – سورة الأعراف، الآية: 27.

[2] – التفكير فريضة إسلامية، محمود العقاد، ص: 3.

ولقد تبوأ العقل هذه المكانة الرفيعة في القرآن الكريم؛ لما له من فوائد تعود على الفرد والمجتمع بالنفع والخير، نذكر منها:

1 – فهم الدين: يعتبر العقل وسيلة لفهم الأشياء، وهو الآلية التي يتحصل بها أي علم، ويدرك بها الدين. والإدراك خاصية أساسية للإنسان؛ إذ بها يتم "إدراك وجوده، وإدراك العالم المحيط به، وإن هذا الإدراك هو ما جعل الإنسان محتارا في تصرفاته فيما يتخذه من قرارات، وقد قاده هذا الإدراك إلى اكتشاف أنه لا يعلم من العالم الذي يعيشه إلا القليل، والذي يعرفه لا يفسر له سر الحياة والكون، وأن الكلمة الأخيرة في مصيره ليست في متناوله، ولكنها ملك قوة قاهرة عليه أن يتعرف عليها، وأن يعيش متوافقا معها متصلا بها ومعنى هذا أن التدين خيرا من الطبيعة البشرية وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش دون دين"[1]، فالدين عبارة عن خزائن ضخمة من الأفكار والعلوم والحقائق والمفاهيم والقيم، يقتضي النفاذ إليها إعمال العقل بآلياته؛ المتمثلة في التقصي والفحص والتدقيق للوصول إلى حقيقة الدين، والفهم الشامل لأحكامه وأصوله بما يضمن حسن تطبيق التعاليم الإلهية، والسير عليها كمنهج حياتي للفرد، وكنظام للمجتمع؛ جامع بين العبادة والشريعة والأخلاق.

2 – تصديق الوحي: إن تصديق ما أنزل الله عز وجل على نبيه، يحتاج أولا إلى الإقرار به بالعقل، وإن إصرار القرآن الكريم على الدعوة إلى إعمال العقل لم يأت عرضا، وإنما لوظيفته الأساسية في الإقرار بمصداقية الوحي، ووحدانية الله، من خلال العمليات التي يقوم بها، كالاستقراء والتدبر أثناء الغوص في آياته العظيمة، خصوصا آيات الآفاق والأنفس التي تبين تجليات عظمته وانفراده في الخلق.

[1] – معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص: 99.

3 – البناء الأخلاقي: مما لا شك فيه أن القرآن الكريم منبع فياض بالأخلاق الحميدة، والقيم النبيلة، فكثيرا ما دعا الخالق عز وجل إلى الإحسان والرأفة والرحمة والعدل والبر، يقول تعالى:﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِے ٱلْقُرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[1].

ويقول يضا: ﴿ **وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلذِے بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[2].

وقوله: ﴿**وَلَاتَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِے حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[3]، إذن، فالعقل المدبر لهذه الآيات يدرك الغايات الخلقية التي ينبغي أن يتحلى بكل ما هو محمود، ويجتنب المذموم؛ لأن العقل –كما يؤكد محمود عباس العقاد– "في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر"[4]، والوازع الأخلاقي هنا هو كل ما يحول بين الفرد ونفسه على أساس أخلاقي.

والكلام المصيب هنا هو أن العقل الوازع، باستطاعته أن يبني مجتمعات، وينشئ الفكر الصحيح الذي يعمد على تصحيح المعاملة، وتهذيب النفوس، وتطبيق

---

[1] – سورة النحل، الآية: 90.

[2] – سورة البقرة، الآية: 135.

[3] – سورة الأنعام، الآية: 152.

[4] – التفسير فريضة إسلامية. محمود العقاد، ص: 4.

العدل والمساواة، ويحارب الأساطير التي تتخبط فيها العقول المهزومة بخرافات السلف، ويقاوم الظلم والفساد والعبثية.

4 – البناء الحضاري : لقد خلق الله الإنسان، وجعله خليفته في الأرض ليقوم بتنفيذ مراد الله تعالى في تعمير الأرض، والتزام بأوامره ونواهيه، وانطلاقا من مسألة الخلافة في الأرض، شيدت الحضارة الإسلامية بتوجيه إلهي للعقل، يشمل جميع العلاقات الإنسانية التي تربطه مع غيره، وكل تصرفاته، "سواء كانت تصرفات إزاء نفسه أو مجتمعه أو بيئته أو خالقه لتكون كل كسوبه الحضارية ناشئة بالعامل الديني، سواء تعلق الأمر بعلومه ومعارفه، أو أنظمته وعاداته أو بتخطيط، ورسم مساكنه، أو بتشييد معماره والسعي في الأرض بالاستثمار"[1]. فقد استطاع العقل المسلم أن يستقي مجموعة من القوانين والتصورات انطلاقا من العقيدة في تأسيس حضارته، وتطويرها بإيمانه الراسخ بالله تعالى، والعمل وفق ضوابط وتعاليم الوحي، فكلما كانت أواصر الارتباط به قوية خطى الإنسان بخطواته نحو البناء السليم يقول عز وجل: ﴿ **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ** ﴾[2]، وهذه الغايات والمنطلقات الدينية، المتمثلة في فهم المقصد من الاستخلاف، والفهم الشمولي الصحيح للوحي؛ الذي يجعل العقل يحقق مردودية أعلى في النهوض الحضاري، والتي ترسم للعقل معالم الطريق وتوضح له حقيقة وجوده في هذه الأرض وهدفه ورسالته، ليبني حضارة مبنية على دعائم الحق والعدل، "والوظيفة التي يحملها القرآن للإنسان في الحقيقة، إنما هي عمارة

---

[1] – معالم المنهج الحضاري في الإسلام،عبد المجيد النجار، ص: 151.

[2] – سورة العصر، الآيات: 1، 2، 3.

الأرض، بمعناها الشامل العام، وهي تشمل إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارية إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهرا لعدالة وحكمة في الأرض"[1].

ويمكن القول إن البناء الحضاري يتأسس بتفاعل ثلاثي بين القرآن وعقل الإنسان والكون؛ حيث خلق الله الكون وجعله بما فيه مسخرا لمصلحة الإنسان ومنفعته، وأودع في هذا الأخير قوة العقل ليلهمه الشعور بالعزة والكرامة، وأهميته الجليلة في هذا الكون، وتبقى مهمته العمل والإنجاز وفق ضوابط وقوانين حددها له القرآن الكريم.

5 – الاجتهاد: الاجتهاد هو محاولة استنباط الأحكام ، إذا ما استجدت مسألة لم يسبق الحكم عليها في القرآن والسنة، وتكمن أهمية الاجتهاد في كونه وسيلة للتوصل إلى الأحكام الشرعية في الأمور وقضايا الحياة المستجدة، التي تفرضها التطورات والتغيرات التي تعرفها الحياة، دون المس في أي حد من حدود الله، وخلود الشريعة وتوافقها لكل الأمكنة والأزمنة وكل مناحي حياة الإنسان، مسألة تحتاج إلى الاجتهاد القائم على إعمال العقل في فهم وإدراك نصوص هذه الشريعة وأحكامها، ويشترط في هذه العملية العقلية (الاجتهاد)؛ التفقه الواسع والشامل للدين، والاستنباط الدقيق لأحكام الشريعة، وهذا ما يؤكد النص، "وليس الاجتهاد عملية ذهنية أو فكرية أو نظرية تجريدية هدفها المران العقلي في التفهم الاستنباط، بل آلة ووسيلة لإحداث تلك الحالة النوعية الشديدة التعقيد والتركيب، فتجعل الفهم أعمق والاستنباط أدق والفقه أشمل وما يتبعه ذلك من تحليل وتفسير وتعميم وتقويم"[2]. وبمعنى أدق أن سلامة الاجتهاد يستلزم أولا: فهم دقيق للنصوص الشرعية وثانيا: الوعي الشامل لظروف وملابسات ومكونات المسألة أو الأمر المعروض للاجتهاد، كما تستلزم معرفة بما يمكن أن يسفر عنه هذا الاجتهاد.

---

[1] – منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،محمد سعيد رمضان، ص: 26.

[2] – مدخل القيم، سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، ج:2 ، ص: 39.

المطلب الثالث: وظائف العقل ومهاهه :

يقوم العقل البشري بإدارة وظائف الجسم الأساسية بواسطة خلايا عصبية معقدة، تنظم عمل العقل والتي تكون مسؤولة عن العمليات العقلية، فهي التي تتحكم في المشاعر والعواطف، والتمييز والإدراك وتخزين المعلومات وتحليلها، وسنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على وظائف العقل ومهامه على صعيد ثلاثة مستويات: مستوى مادي ظني واقعي رائده الدماغ، ومستوى إيماني وجداني رائده القلب، ومستوى يقيني روحي رائده العقل المسدد.

1 – الوظيفة الفيزيائية للعقل: وهذه الوظيفة يختص بها الدماغ في علاقته بالحواس، حيث يمده بالإشارات والعلامات الضرورية لقيامه بمهمته، وتتدخل في هذه العملية الخلايا العصبية، التي تحتوي على عدة آلاف من الأغصان، التي تنقل الرسائل أو المعلومات على شكل إشارات كهربائية من خلية عصبية إلى أخرى، وهذه الرسائل تترجم إلى حركة أو سمع أو بصر أو تفكير ... إلخ.

وطبعا العقل الذي هو جزء من الدماغ، يمارس حركته أولا: بواسطة المبدأ الغريزي، الذي به يرعى الدماغ جميع الوظائف اللاإرادية؛ كدقات القلب، التنفس، ودوران الدم ...وثانيا: المبدأ الاختياري، ولكن ضمن حيز ضيق جدا من حرية الاختيار؛ كالأكل والشرب والنوم والاستيقاظ[1].

وهذه الوظيفة تنظر إلى العقل من الجانب المادي الوجودي في حياة الإنسان فقط، ويرفض أنصار هذا الطرح أي تجليات وأشكال أخرى للعقل، حيث ماثلوا بين العقل والدماغ، وأقروا بأن العقل موطنه هو الدماغ.

[1] – الإسلام كما هو، عبد الكريم غريب، ص: 90.

لكن سرعان ما باءت هذه النظرية المادية بالدحض، لأنها "عجزت تمام العجز عن متابعة مراحل تطور الفكر الإنساني بعد أن تأكد، لدى روادها ومناصريها، أن الدماغ أعجز من أن يحتضن كل أشكال النمو والتطور اللذين شهدهما ذلك الفكر، واللذين أفصحا عن وجود عناصر وعوامل أخرى تتخطى دائرة سلطة الدماغ والحواس؛ كالوحي عند الأنبياء والرسل، ولدى عدد هائل من الكائنات الموحى إليها وحيا فطريا أساسيا"[1].

ولتوضيح الأمر؛ نقول إن هذه الوظيفة المادية للعقل لا تجسد إلا جزءا بسيطا من القدرات العقلية، لافتقارها إلى المعارف؛ ولهذا يتم تحصيلها عن طريق التجارب الشخصية، أو عن طريق الدراسة أو التربية وغيرها، كما أن ارتهانها بالحواس فقط يعجزها عن الوصول إلى بواطن الأشياء؛ لأنه لا يمكنها أن تمد الإنسان بالمعلومات والمعطيات الكافية، أو متابعة تطور الفكر والعناصر أو الأشياء التي تخرج عن نطاق سلطة الدماغ والحواس.

2 – الوظيفة الفكرية المجردة: وترتبط هذه الوظيفة بالمشاعر والأحاسيس التي تكمن في القلب، حيث يكون العقل متواجدا في القلب حسب هؤلاء، وقد أشارت بعض الآيات الكريمات إلى وجود العقل في القلب، وتم الحديث عن هذا الجانب سالفا في المبحث المتعلق بالعلاقات (علاقة العقل بالقلب)، حيث أكدنا أن سلوك الإنسان هو تلاقح بين ما هو عقلي وبين ما هو وجداني. ويحسن التوضيح هنا أن هذا الجانب من العقل الكامن في القلب لا ينفصل عن الجانب الفيزيائي، أو الوظيفة المادية، وإنما هناك علاقة تأثير وتأثر بين الجانبين.

---

[1] – الإسلام كما هو، عبد الكريم غريب، ص: 91.

إن سلوك الإنسان، سواء كان قولا أو فعلا أو فكرا، رهين بتصارعٍ وتجاذب بين قوتي الغريزة والإرادة. فكلما كان الاستحواذ والغلبة لعقل الدماغ؛ انصهر في جانب الماديات والدنيويات، وكذلك عقل القلب، كلما كان منزويا أكثر لرغباته وميولاته، سقط في العصيان؛ ليأتي العقل الوازع؛ ليتوسط بين القوتين عقل الدماغ وعقل القلب لخلق التوازن.

وبصيغة أخرى، إن الإنسان يكون متموقعا في ثلاثة جوانب من النفس الإنسانية، مَثَّلَهَا القرآن الكريم في النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة.

- النفس الأمارة بالسوء: وهي النفس التي تميل إلى النزوات والغفلة واللامبالاة يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة، والسبب أنها قد ألفت المحسوسات، وتلذذت بها"؛[2] فيكون صاحبها ميالا إلى فعل الشر وتدبير الدسائس، والمؤامرات، وهتك حرمات الناس.

- النفس اللوامة: هي التي توبخ وتعاقب صاحبها على أي تقصير في طاعة الله، أو على قول أو فعل مشين أو مذموم، يقول تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[3]. ويقصد باللوم هنا شدة التعنيف والمؤاخذة، سواء أكان المحاسبة على اقتراف الذنوب والمعاصي أو التقصير في الطاعات وعمل الخير.

---

[1] – سورة يوسف، الآية: 53.

[2] – التفسير الكبير، الرازي، ج: 13، ص: 109.

[3] – سورة القيامة، الآية: 1.

- النفس المطمئنة: وهي التي ترجع إلى الله بالطاعة والتقوى، يقول عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾[1]، وهي تستمد اطمئنانها من رضا الله تعالى عنها، ومن وعده سبحانه وتعالى لها، وبالثواب من خلال توحيده، وإفراده بالعبادة والطاعة[2].

وتأتي النفس اللوامة هنا مقام العقل الوازع دينيا وأخلاقيا؛ حيث يكون كمراقب ومحاسب عند الإخلال بالمبادئ والتكاليف الشرعية، وارتكاب الذنوب، ويحاول أن يرجع صاحبه إلى ما يرتضيه الدين والعادات والمجتمع، ليثيبها ويرتقي بها إلى مرحلة الاطمئنان (النفس المطمئنة)، وإذا تعذر هذا الأمر عليه، فينحط إلى مرتبة النفس الخبيثة أو الأمارة بالسوء.

وهذا ما عبر عنه في تصور علم النفس الحديث لأقسام النفس حسب النظرية الفرويدية (الأنا الأعلى والهو والأنا)؛ حيث الهو هو منبع الغرائز واللذات، ويمثل إلى حد ما النفس الأمارة بالسوء.

الهو: مركز الغرائز والدوافع الذي يعمد إلى تحقيق الرغبات الدفينة، في إطار غير منظم وغير مضبوط، ودون مراعاة للمنطق، ويمثل إلى حد ما النفس الأمارة بالسوء.

الأنا: هو ذلك الجانب من النفس الذي يحاول السيطرة على زمام هذه الدوافع والرغبات المنبعثة من الهو، ومحاولة تحكيمها، فيشبع ما يمكن إشباعه، وبحسب ما تقتضيه الحدود التي تقر بها القوانين والعادات والدين ... إلخ، ويكبح ما لا تسمح به،

---

[1] – سورة الفجر، الآية: 30.

[2] – النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث، محمد أبو شنب، ص:37.

ليحقق بذلك التوازن والتوافق الذي يوصل الفرد إلى الاطمئنان والثبات (النفس المطمئنة).

الأنا الأعلى: ويمثل كل ما يكتسب من التربية والتعليم من قيم ومبادئ، وثقافات، حيث تكون أكثر تحفظا وعقلانية ومثالية، ويحاول أن يوازن بين الهو والأنا، لتستقيم الشخصية وهو بمثابة المحاسب والمنقذ، ويمثل ما عبر عنه في التصور القرآني بالنفس اللوامة.

وبتحصيل الحاصل، يكون الإنسان في مقام النفس اللوامة، أو الأنا الأعلى، اللذين يقومان بزجر الذات المذنبة، باللوم تارة وبالنصح تارة أخرى، من أجل تعديل السلوك وتقويمه سواء كان قولا أو فعلا.

ويبقى العقل الوازع يتوسط عقل الدماغ المادي الوجودي، وعقل القلب مركز المشاعر والأحاسيس لتحقيق التوازن في شخصية الإنسان أمام تصاعد القوتين التي تختلف بحسب النسق الفكري والعقدي والأخلاقي الذي يكون عليه المرء.

3 – الوظيفة الباطنية النورانية: تتجسد هذه الوظيفة في علاقة العقل بالروح، ويسمى هذا الجزء من العقل بالعقل الفعال، أو الباطن أو المسدد. ويعتبر هذا الجانب من العقل من أرقى وأرفع التجليات العقلية؛ "لكونه الغاية التي سعت النبوءات والرسالات المنزلة إلى جعلها غالبة على أحوال المؤمنين ومواقفهم ومصائرهم. ويمكن تسمية هذا العقل، أو تسمية العقل في هذا المستوى، "عقلا مسددا"، لأنه يكون موضوع هداية دائمة ومستمرة في الزمان والمكان من لدن الحق عز وجل"[1]. ولعل هذا هو ما يصبو إليه الوحي بتوجيه العقل وهدايته إلى عبادته تعالى وتوحيده، وتزكية النفس،

[1] – الإسلام كما هو، عبد الكريم غريب، ص: 97.

وتهذيب السلوك، وهو الأساس الذي يقوم عليه الدين. يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد: "حاصل الكلام في العقل المسدد أنه يقوم على أركان ثلاثة أساسية: ركن الموافقة للشرع التي تجنبه مساوئ التوجيه، وركن اجتلاب المنفعة الذي ينبني على القيم المعنوية، ويتطلب بعد النظر ونزاهة النفس، وركن الاشتغال الذي يفيد في تجسيد العمل، وفي رفع قيمة العلم المقترن به، وفي توسيع المدارك، وفي تصحيح السلوك أصلا ومقصدا ووسيلة"[1].

ويمكن القول عن هذا النوع من العقل إنه يمثل منتهى الارتقاء الفكري والأخلاقي والسلوكي، ورفعة للمعرفة الإنسانية؛ لأنه يختزل كل الحقائق والمعارف التي سخرها الله تعالى للإنسان ليحقق بها مساعيه الدنيوية والأخروية. ولأنه يختزن في اللاشعور الإنساني كل الحقائق والمعلومات التي سخرها الله تعالى للإنسان ليتعلمها.

وينبغي هنا أن نسجل أن العقل المسدد، المرتبط بالروح، يمكن أن يتأثر بالجانبين السابقين (عقل القلب / عقل الدماغ)، أو يؤثر فيهما، حيث تتداخل وتتجاذب هذه المستويات، حتى تكون الهيمنة والاستحواذ والخضوع لأحد الجوانب الثلاثة، بحسب النسق الديني والفكري الذي يؤطر الإنسان.

والخلاصة أن وظائف العقل تتحدد على صعيد ثلاثة مستويات، مستوى مادي متعلق بعقل الدماغ الذي يرتبط بالحياة ومتاعها، وتخضع لسلطة الحواس، ويسمى أيضا بالظني الواقعي، ويقوم في التصور القرآني مقام النفس الأمارة بالسوء، وفي تصور علم النفس بالهو. ومستوى فكري روحاني له علاقة بالصدر، ويعتدل بين عاطفي ومادي بين الدارين الدنيا والآخرة، ويتذبذب هذا المستوى بين مقام النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة، بين الهو والأنا، ويطلق عليه بالعقل الإيماني. أما

[1] – العمل الديني وتجديد العقل،الدكتور طه عبد الرحمن، ص: 67.

المستوى الثالث وهو من أرفع وأسمى المستويات؛ إذ يرتبط بإدراك المجردات والحقائق التي توصله إلى الإيمان اليقيني، والتي يسعى إليها العلماء على امتداد الأزمنة، ويقوم هذا المستوى مقام النفس المطمئنة بتعبير القرآن، والأنا الأعلى بتعبير فرويد.

ويمثل الجدول التالي خلاصة ما تم التوصل إليه في هذا المبحث:

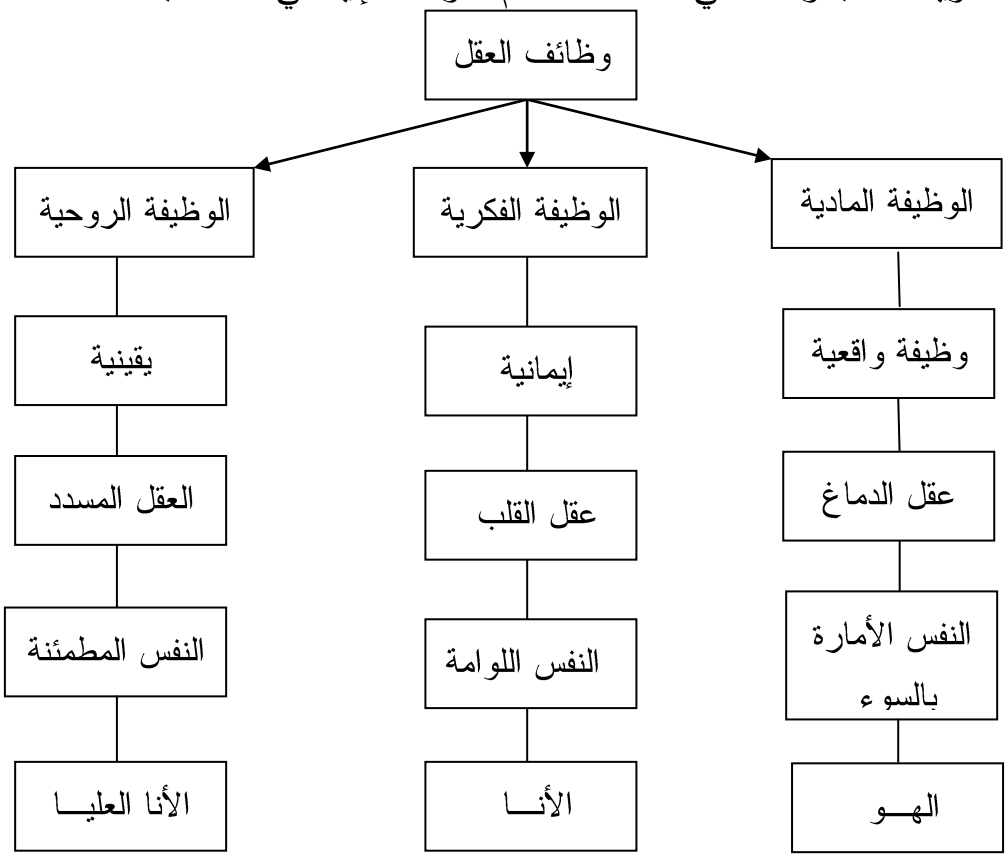

المبحث الثاني: علاقة العقل بالنقل والحواس.

المطلب الأول: تكامل العقل والنقل.

شكلت علاقة العقل بالوحي عبر التاريخ جدلا واسعا بين أرباب العلماء، فهناك من أشاد بالنقل وغيب العقل، وهناك من أشاد بالعقل ومنحه شأنا فوق شأنه، وهناك من اتخذ موقفا وسطا، واعتبر بتلازم وتكامل النقل (الوحي) والعقل، لكن الأمر الذي لا ريب فيه هو أن النقل يقوم على احترام العقل والإقرار به وتكريمه، إذ جعله مناط التكليف وبه يتحمل الإنسان مسؤولية سلوكه وتصرفه وجزاء معاصيه، كما أن العديد من آيات القرآن الكريم تدعو إلى إعمال العقل للوصول إلى معرفة الله تعالى وتوحيده والإيمان به، ولا وسيلة إلى الوصول إلى هذا كله في غياب العقل أو استبعاده.

ومن تجليات إشادة الوحي بالعقل، هو جعل الاجتهاد باب كل المسائل المستعصية، الذي يقوم على عمليات عقلية كالتفكر والنظر، والاستنباط ... إلخ، والتنويه المتكرر بالحق وأولي الألباب يقول القرطبي: "فأوجب الله التكليف لكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه والعاقل أقرب إلى ربه من جميع المهتدين بغير عقل"[1].

وقد جاء الوحي ليوجه العقل ويرشده بعد ما كان غارقا في بحر الظلمات والتبعية والتقليد، وليحدد له المنهج القويم في التفكير والعمل إذ أن العقل تبقى قدراته وطاقاته محدودة بمعزل عن الوحي، الذي يستنير ويوقظ العقل،" فالوحي أكبر وأعظم موقظ العقل في حياة الإنسان، والوحي منذ أول لحظة من نزوله وهو يستثير التفكير من كلمة (اقرأ)، من مزايا القرآن الكثيرة التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة أو التبعية أو التكليف"[2]، كما أن الوحي له دور في تزكية العقل نحو الخير والصلاح

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،ج: 10، ص: 261.

[2] – العلاقة بين العقل والوحي: وانعكاساتها الفكرية والتربوية،أحلام مطالقة وعماد الشريفين، ص : 250.

وإشباعه بمجموعة من القيم والمبادئ التي تجعل منه فاعلا مساهما في الإصلاح والتنمية والتغيير وخاصة وأن الوحي جاء بضوابط وقوانين وأحكام لتنمية العقل والنهوض به من خلال الدعوة إلى العلم، والنظر والتفكر والتنقيب والتحلي بالأخلاق والقيم الإسلامية التي كان الأساس التي قامت عليها الحضارات الحديثة.

ويأتي دور العقل في فهم النص، والتصديق بالله والإقرار بوحدانيته، وإثبات وجوده من خلال الفحص والتدبر في آيات القرآن الكريم وما تضمنته من أحكام وشرائع ومعاملات ومحاولة تنزيلها على أرض الواقع.

ويمكن الجزم أن تكامل العقل والنقل أمر لا يحتمل الجدال والظن، ولا تعارض بينها؛ إذ الوحي نزل ليقوي العقل ويخلصه من الطبوهات التي شابته قبل الإسلام، ويحكم سيره بقوانين وأحكام تضمن له الرقي والارتقاء في كل جوانب الحياة، لأن الوحي يتصف بالكمال ومنزه عن التقصير أو الزيادة أو النقصان "﴿ **أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلِاسْلَٰمَ دِيناً** ﴾[1]، ولأن نظرة الوحي إلى العقل تدفعه إلى تحفيز عملياته وآلياته في التفكير والتحليل والاستنباط والاجتهاد، من أجل الوصول إلى التصور السليم لمعاني النصوص، وتحديد دقيق لغاياتها المتجلية في الإقرار بربوبيته وتوحيده يقول العريفي: "إن العقل موصل كما هو حال النقل إلى أصول الاعتقاد الكبار، كالإقرار بوجود الله وربوبيته وإفراده بالعبادة وإنصافه بالكمال المطلق، وثبوت المعاد والجزاء ونحو ذلك، لكن إنما كان على سبيل الإجمال، أما التفصيل فخاصية النقل"[2]، وليس غاية النقل ليست وحدها الإقرار بوجود الخالق أو صفاته أو توحيد ربوبيته وإنما اتخاذه مصدرا

---

[1] – سورة المائدة، الآية: 3.

[2] – الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، لسعود العريفي، ص: 37.

للعلم والمعرفة، ومنهجا ودستورا ينظم كل جوانب حياة الإنسان صغيرة وكبيرة، وكوسيلة للاستدلال على الكون وعلى المخلوقات التي تفرد عز وجل في خلقها.

وقد ذهب الكثير إلى تمجيد العقل وجعله منبع العلم والمعرفة، والوحي تابع له، فيما ذهب البعض إلى استبعاد العقل، وذمه وهذا قدح للعقل والنقل معا، وقد عمد شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الرد عن قيمة العقل وشأنه، بالنسبة للآراء التي أقصت العقل أو حملته سلطة أكثر من النقل: "كلا الطرفين مذموم؛ بل العقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلا بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصلت به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال من عدمه أمور حيوانية .. والأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة"[1].

وعلى هذا الأساس، فإن النقل يتلازم ويتكامل مع العقل، وكل منهما له دور مهم للآخر، فالنقل يمد العقل بحقائق الغيب والمعارف التي لا يمكن أن يتوصل إليها بمفرده، كذلك العقل هو الوسيلة الوحيدة التي ميز الله بها الإنسان لفهم الأحكام والشرائع وتصديق الوحي والإيمان بالخالق عز وجل والعقل الراجع الصريح يقر به ويسانده ولا يتعارض معه كما زعم البعض ويقول ابن القيم: "ما علم بصريح العقل الذي لا يختلف فيه العقلاء_ لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة ولا يأتي بخلافه، ومن تأمل ذلك في ما ينازع العقلاء فيه من المسائل الكبار وجد ما خالفت النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للنقل، فتأمل

[1] – مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج:3، ص: 338–339.

ذلك في مسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد تجد ما يدل عليه صريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يخالفه إما أن يكون حديثا موضوعا، أو لا تكون دلالته مخالفة لما دل عليه العقل"[1]، ويعني ابن تيمية بالقول هنا إن ما أجمع عليه عقلاء الكون لم يعارضه الشرع بل يتفق معه جملة وتفصيلا، لأن العقل السليم لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعارض ما جاء به النقل الصحيح فالذي أنزل النقل خلق العقل ليتكاملا؛ فيفهم العقل النقل حق الفهم ويهتدي به حق الهداية، وإذا ما ثبت أي تعارض بينهما وجب تقديم النقل على العقل، ومسألة التعارض بين النقل والعقل غير صحيحة إلا إذا أخطأ العقل فهم النصوص، أو أن النقل لم يستطع أن يثبت صحتها كالأحاديث الضعيفة مثلا، وكل متوهم لهذا الخلاف بين العقل والنقل أو التعارض قدم النقل على العقل، لأن العقل تابع للنقل وليس حكما عليه، وبه يهتدي إلى الطريق السليم وإلى السلوك القويم وإلى الرأي السديد، " فكلما كان أقرب إلى التصديق بما جاءت به الرسل والعمل به كان أكمل عقلا وسمعا، وكل من كان أبعد عن التصديق حسب ما جاء به الرسل والعمل به كان أنقص عقلا وسمعا"[2]، ورغم ما وصل إليه العقل البشري من علم ومعرفة وإحاطة بالأشياء يبقى ناقصا أمام النقل المنزل من عند الخالق المتصف بالكمال والجلال والحكمة .

وتحصيل الحاصل هو أن العقل لا يقوم بمسؤولياته خير قيام، إلا تحت ظل النقل أو الوحي بشموليته وكونيته، وفي فهمه وتمثل أحكامه وشرائعه على النحو الصحيح، وتوسيع الأرضية المعرفية للعقل تقتضي العلم بالوحي والتفقه فيه لتحقيق شرط العبادة، وإلا زاغ وتخلى عن الأمانة المنوطة به، وعن الرسالة التي من أجلها خلق، وفي المقابل لا يمكن تصور نقل في غياب أو استبعاد العقل الذي يخدم مقاصده وغاياته

---

[1] – الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، ج 3، ص: 829.

[2] – درء التعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام، ابن تيمية، ج 8، ص : 83.

بالفهم والشرح والتفسير والبيان. فتكون العلاقة بينهما تكاملية، ويمكن أن نمثل لهذه العلاقة بالعلاقة بين الماء والحياة فلا يمكن أن تكون حياة (النقل /الوحي) بدون ماء (العقل)، فهذا الأخير سبب لبقاء ووجود الحياة، وبذلك يكون النقل علة لوجود العقل، ووسيلة لتقنين وتنظيم جميع مجالات الحياة وجوانبها، وكل المشاكل والمسائل والقضايا التي يمكن أن يتعرض لها العقل أو يخوض فيها .

المطلب الثاني : تكامل العقل و الحواس.

تعتبر الحواس من أهم وسائل الإدراك بالنسبة للإنسان، فهي النوافذ التي بواسطتها يتعرف الإنسان على الأشياء وماهيتها، ويتمكن من فهم واستيعاب كل ما يدور حوله في العالم الخارجي، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم والتنويه بها بشكل فياض، في العديد من الآيات للدور المهم الذي تقوم به في التعرف على المحيط والتحصيل المعرفي. وتعد من بين أعظم النعم التي من الله بها على الإنسان والحيوان، التي تمكنه من اتصاله بالواقع والوجود، إضافة إلى العقل الذي خصه عز وجل للإنسان فقط، وجعله مكلفا به، حتى صار الإنسان بفضل العقل والحواس سيدا على باقي المخلوقات، فهي بمثابة جنود ومعينات للإنسان، يقول الغزالي: "إن البدن كالمدينة، والعقل أي القوة المدركة لها، وقواه المدركة من الحواس الظاهرة، والمشاعر الباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كراهة"[1].

وتعد الحواس صلة بين الذات والعالم، حيث ترسل إشارات ومنبهات إلى الدماغ لتحليلها وترجمتها، كما يؤكد توفيق عز الدين: " الحواس هي صلة الوصل بين الذات والعالم ولذلك يقوم الدماغ بعد كل إفاقة بإعداد أقسامه المختصة لتلقي مكالمات الحواس التي تصل إليها دون انقطاع طيلة فترة اليقظة رغم الاختلافات الكيفية الكبيرة التي

[1] – معارج القدس في معرفة مدارج النفس، أبو حامد الغزالي، ص: 104.

توجد بين إحساسات الحواس إلا أن العقل يكون من مجموعها صورة المحيط الذي يعيش فيه"،[1] بمعنى أن الحواس، تنقل الأحاسيس إلى الدماغ ليتم تأويلها بواسطة العقل، إلا أننا لا يمكن أن نجزم أن الحواس هي الوسيلة الوحيدة للإدراك والمعرفة، فهذا من باب الغلو والمبالغة إذ كثيرا ما توقع الحواس صاحبها في الخطأ، كما أنها لا تستطيع تفسير أو تحليل الأحداث والظواهر في غياب العقل فهذا من المستحيل.

والقرآن الكريم لم يتناول موضوع الحواس من ناحية الدلالات السوسيولوجية أو طريقة تكوينها، وإنما أثار دلالتها المجردة المتمثلة في دورها في الإدراك والتمييز والمعرفة، خاصة حاستي السمع والبصر اللتان ذكرتا باستفاضة في مواضع القرآن الكريم، حيث ذكر السمع بلفظه ومشتقاته في القرآن الكريم في مائة وتسعة وثلاثين موضوعا، كما ذكر حاسة البصر وآلتها وما يتعلق بها في مائتين وأربعة وستين موضعا،[2] وقد احتلت حاسة السمع والبصر الصدارة في القرآن الكريم لأهميتها وفاعليتها في المعرفة عن باقي الحواس، حيث يجد الإنسان الفاقد لهاتين الحاستين صعوبة في الإدراك والمعرفة، والتواصل، "والتنبيه القرآني على الجمع بينهما كان دقيقا، إذ بوجودهما توجد المعرفة وبعدمهما تنعدم"[3].

وهذا واضح في العديد من الآيات كقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا** ﴾[4]، وقوله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُۚ مَا كَانُواْ**

---

[1] – دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، محمد عز الدين توفيق ، ص: 267.

[2] – نظرية المعرفية بين القرآن والفلسفة، عبد الحميد الكروي، ص: 549.

[3] – المرجع نفسه، ص : 552.

[4] ــ سورة الإسراء، الآية: 36

يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴾ [1] وقوله: ﴿ قُل مَن يَّرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَالاَرْضِ أَمَّنْ يَّمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَـٰرَ وَمَن يُّخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَنْ يُّدَبِّرُ ٱلاَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلَ اَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[2]، وقد جاء السمع مقدما على البصر، لأنه أكثر أهمية في توصيل المعلومات، وأشد تأثيرا في التحصيل المعرفي، وأبلغ وأعم نفعا في المعرفة بالدين أكثر من البصر، وهو سبب لاستكمال العقل بالمعارف، إذ التعلم والتحصيل يتوقف باضطراب حاسة السمع ولا يتوقف بفقدان البصر، كما يمكن إدراك الأشياء بالسمع في الظلمة والنور، على عكس حاسة البصر التي تستدعي النور والضوء للإدراك.

والحق أن الله تبارك وتعالى في العديد من الآيات الواردة فيها حاستي السمع والبصر، يثني على الذين يسخرونها لعبادته تعالى، وامتثال أوامره، واجتناب معاصيه، ويذم الذين يعملونها فيما لا يرضيه عز وجل "ولذا فإن القرآن حينها يريد أن يهزأ بالكفار الذين لم ينتفعوا بالدلائل والآيات المشاهدة والمحسوسة، فلا تنشئ عندهم موقفا إيمانيا يجردهم الله سبحانه وتعالى مستهزئا بهم من نعمة القوة اللازمة للحواس، لأنهم اكتفوا بأن يكون لهم حواس فيها من القوة مجرد الاتصال بالمحسوسات التي تعمل عملا غريزيا، فقط كسائر الحيوانات "[3].

وهذا جلي في آياته تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[4]، ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ

---

[1] – سورة هود، الآية: 20.

[2] – سورة يونس، الآية: 31.

[3] – نظرية المعرفة بين القران والفلسفة، عبد الحميد الكروي، ص: 545.

[4] – سورة الملك، الآية: 11.

﴿ٱلْجِنِّ وَالِانسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَالاَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُون﴾[1]، ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلاَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً تَاكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾[2].

ومن خلال هذه الآيات وغيرها من الآيات التي تم استقراؤها، يتضح أن القرآن الكريم لم يعر الاهتمام للوظيفة الفيزيولوجية للحواس، وإنما ركز على وظيفتها الداخلية المتمثلة في تحفيز العقل على الفهم والإدراك والتفكر والتدبر وغيرها، من العمليات التي يقوم بها .

وقد ذهب يوسف القرضاوي إلى اعتبار الحواس (السمع والبصر) والعقل نوافذ للمعرفة، انطلاقا من مقاربة الآية: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]، التي تستعرض وسائل المعرفة والعلم، المتمثلة في السمع والبصر والأفئدة[4]، يقول القرضاوي في هذا الشأن:

" – المعرفة السمعية، ويتدخل فيها المعرفة النقلية ومنها علوم الدين، وإن نقلت عن طريق القلم والكتاب.

– المعرفة البصرية، وتدخل فيها العلوم التجريبية، لأنها تقوم على الملاحظة والتجربة والقياس، وأساسها البصر والمشاهدة.

---

[1] – سورة الأعراف، الآية: 179.

[2] – سورة السجدة، الآية: 17.

[3] – سورة النحل، الآية: 78.

[4] – يقصد بها تلك اللطيفة الربانية المدركة العاقلة المفكرة.

– المعرفة الفؤادية أو القلبية، وتدخل فيها المعرفة العقلية الخالصة عن طريق عمليات العقل العليا من تأمل ونظر وتفكير واعتبار ... إلخ "[1].

وهذه القوى أي السمع المسؤول عن إدراك الأصوات، والبصر المسؤول عن إدراك المرئيات والعقل المدرك والمميز للأشياء، هي حسب النظر القرآني مصادر المعرفة، وقد رتبت بهذا الترتيب حسب فاعليتها وأهميتها في العملية المعرفية، إذ جعل السمع والبصر مقدما على العقل المعبر عنه في الآية بالأفئدة، لأن الحواس شرط لعمل العقل وتحصيله على المعرفة، فهي تزوده بإشارات ومعلومات ومعطيات تمكنه من تفسير وتحليل وتأويل الأشياء أو الوقائع والأحداث، وبدون هذه المعطيات يظل العقل عاجزا عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة، أــو المعرفة العليا.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول إن العقل والحواس يتكاملان في عملية التحصيل والإدراك، فلا يمكن أن يشتغل العقل خارج إمدادات الحواس ومعطياتها، كما أن الحواس لا يمكن أن تصل إلى نتائج مرضية في غياب العقل الذي يعمد إلى تحليل المعطيات والمعلومات، وهذا ما يؤكده أرسطو ومن تبعه من الفلاسفة المسلمين، الذين يقرون بأن "العلاقة بين العقل والحواس تقوم على التأثير المتبادل، فالحواس تقدم للعقل صورا عن الأشياء من خلال الحواس الظاهرة والباطنة ويقوم العقل بتجريد وانتزاع الصور العقلية من معطيات الحواس بإشراق العقل الفعال عند ابن سينا والفارابي، وبإيصال العقل الفعال بالعقل الهيولاني عند ابن رشد، والفكرة قائمة على نظرية اتحاد النفس بالبدن، فالعقل والحواس متحدان كذلك، ومن ثم فإننا لا نستطيع التفكير دون صورة حسية، كما أن الإحساسات تبقى متفرقة دونما عقل يجمعها ويجرد منها الصورة العقلية "[2].

---

[1] – موقف الإسلام من الإلهام، يوسف القرضاوي، ص: 26.

[2] – نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، عبد الحميد الكروي، ص: 610.

ولعل الاهتمام البالغ الذي أولاه القرآن الكريم للحواس والعقل راجع إلى دورهما الأساسي في التصديق بالوحي، والوصول إلى الإيمان اليقيني الصادق بوحدانية الله عز وجل وعظمته وقدرته، من خلال توجيه الحواس والعقل للنظر في الكون وفي خلق السماوات والأرض، والنجوم والبحار والجبال ... وغيرها، والوقوف على آيات القرآن الكريم بالتمعن والتدبر، للوصول إلى الحقيقة المتوخاة من خلق الحواس والعقل وهي الإقرار بوحدانية الله ومعرفة مقاصد العبادة.

وبالرغم من الأهمية التي يوليها القرآن الكريم للعقل والحواس، باعتبارهما مصدرين للمعرفة، ووسيلتين للاستدلال على ما أنزل على نبيه، إلا أن نسبة وصولها إلى المعرفة اليقينية لا تخلو من شك، فإمكانية الخطأ أو الوهم بهما تبقى محتملة، ومن هنا لا يمكن اعتبار الحواس والعقل وحدهما مصدرين للمعرفة، وإجمال طرق الوصول إلى الحقائق والعلوم فيهما فقط، وإنما لابد لهما من إطار وموجه وهو الوحي الذي يضمن التوازن، ويحقق الإلمام والشمول في العلم والمعرفة.

المبحث الثالث : محدودية العقل ونسبيته

لا شك في أن العقل هو مصدر العلم والمعرفة الذي يتميز بها الإنسان ويتشرف بها، والتي تمهد الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وإلى ما أنزله على الرسل، وبواسطته استطاع الإنسان عبر التاريخ أن يحقق العديد من الإنجازات والاكتشافات في جميع المجالات والأصعدة، التي مكنته من إحداث التطور والتغيير في نمط حياته بشكل أفضل، وما كان سيعرف هذه التغييرات والطفرات لولا العقل.

إن ما قدمه العقل للإنسان من اكتشافات وحقائق ومعلومات واختراعات سهل عليه أمور حياته، وذلل له الكثير من الصعوبات والمشاكل، وجعل حياته أكثر سهولة ومرونة من ذي قبل. لكن تظل القدرات المعرفية والاستيعابية للعقل محدودة وعاجزة

عن الوصول إلى كثير من القضايا والعلوم وحدها، فلا بد له من طريق آخر يسلكه، أو علم يسترشد به أو يوجهه. يقول ابن تيمية: "العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال الأعمال وصلاحها، وبه يكمل العلم والعمل، غير أنه ليس مستقلا بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين، إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإذا انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن عزل بالكلية، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمور حيوانية' قد يكون عنها محبة ووجد وذوق، كما يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة بالعقل باطلة."[1]

إن العقل يحتاج إلى وحي يستنير به، ويهتدي به إلى الطريق الصحيح، واشتغاله خارج نطاق الوحي وضوابطه وأحكامه، تبقى نسبة وصوله إلى نتائج مطلقة مسألة مستبعدة، وخاصة ما يتعلق بالأمور الغيبية التي تفوق قدراته على فهمها أو تفسيرها أو تصورها؛ لأن "عالم الغيب، وما يتضمنه من المبادئ التي لا قدرة لها للعقل والحواس وحدها على الاستقلال بإدراكها، ليست خارج نطاق موضوعات سبل الوعي والمعرفة في المنهج الإسلامي، ذلك لأن سبيلها هو الوحي، لخروجها عن عالم الشهادة الذي يمكن إدراكه بالحواس"[2] وقد أشار عز وجل في بعض آياته إلى قصور العقل وعجزه عن إدراكه الشمولي للأشياء لأن لا طاقة له تمكنه من ذلك يقول تعالى: ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ وَلاَ يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ**)[3]. وقوله عز وجل:

---

[1] – مجموع فتاوى، ابن تيمية، ج: 3، ص: 338 – 339.

[2] – معالم المنهج الإسلامي، محمد عمارة، ص:35

[3] – سورة البقرة آية : 255.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.[1]

وعل هذا الأساس، يكون العقل باعه ضعيف في الإحاطة والإلمام الكلي بكل العلوم والحقائق، خاصة ما يتعلق بالأمور الإلهية والغيبية، وكل ما تمكن منه من علم وإدراك لبعض الأمور تبقى نسبية ومحدودة مقارنة مع العلم الشاسع الخفي: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2].

وأمام هذا القصور وهذه المحدودية لزم على العقل الاسترشاد والاستعانة بالوحي القطعي الثبوت، اليقيني المعرفة، "لأن هيمنة الوحي على كل من الحس والعقل، فضلا عن مصادر التبعية الأخرى، تجعل من طريق النبوة وحدها وحيا يمتلك القوة اليقينية' سواء في وروده، أم في بعض دلالته وبذلك تتحصن عقول الناشئة ومسالكهم، من أي إدعاءات تزعم أن لها صلة بالعلم العلوي عن طريق آخر... ويحل محلها التفكير العلمي المعتمد في مصدر النبوة وطريقها وحدها منهجا مشروعا "[3].

فوجب على العقل تصديق الوحي وقبوله باعتباره مصدرا معرفيا يقينيا يتميز بالشمولية والعلمية والواقعية، ودوره يقتصر على إدراك الآثار الربانية، ومعرفته الخالق عز وجل وصفاته وجلاله، وصدق وحيه، والخضوع له بالعبادة والإفراد وحدانيته.

ولعل أن نسبة العقل ومحدوديته في إدراك كل الأشياء والإحاطة بها هو من

---

[1] – سورة الإسراء آية : 84.

[2] – سور الإسراء أية : 85.

[3] – نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، أحمد محمد حسين الدغثي، ص: 210.

إنجاز الله الكتب السماوية على الرسل والأنبياء، ليمده بكل ما هو في حاجة إليه من علم وحكمة وتوجيه وإرشاد لأن العقل مهما بلغ من العلوم والمعارف يبقى ناقصا ومفتقرا إلى العديد من الأشياء، يقول تعالى: ﴿**فَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَآ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ**) [1]، (**وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ, لَهَمَّت طَّآيِفَةٌ مِّنْهُمْ, أَنْ يُّضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**﴾ [2].

ومن هنا؛ يتبين أن للعقل مجال وقدر محددين لا يمكن أن يتخطاه، فحدود معرفته تترقى عند العلوم النظرية والعلوم الضرورية. أما العلوم الغيبية فينفرد بمعرفتها الخالق عز وجل، ولا يمكن للعقل البشري مهما بلغت قدرته أو مستواه أن يغوص فيما اختص الله به نفسه في الصفات والأحوال والأحكام و إلا سيخرج بنتائج نسبية ويعود بأدراجه منهزما.

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 32.

[2] – سورة النساء، الآية: 113.

المبحث الرابع : حماية الله عز وجل للعقل.

يعتبر العقل من الضروريات الخمس التي أوجبت الشريعة الإسلامية صيانتها والحفاظ عليها لأهميتها في الحياة البشرية، وهي حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال، حيث أولى الخالق عز وجل عنايته بها لدورها في الحياة البشرية التي بدونها تضطرب الحياة ويخل توازن الكون، ويهدد أمن واستقرار الناس.

لقد جعل الشرع حفظ العقل من مقاصد الشريعة الإسلامية لما له من أهمية كبيرة في تحقيق المهمة، التي أنيطت للإنسان وهي الخلافة في الأرض من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [1]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [2].

ويقصد بالخلافة تنفيذ مراد الله في الأرض وإجراء أحكامه فيها، وهذا معناه أن يكون للإنسان سلطانا في الكون بعناية تطبيق المهمة التي كلف بها المستخلف – الله – ائتمارا بما أمر وانتهاء بما نهى. ومسألة الاستخلاف هي غاية وجود الإنسان التي تبقي على معرفة الخالق عز وجل وامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

ولعل هذه النفحة الربانية التي خلقها الله في الإنسان التي تجعل منه مخلوقا مكلفا مدركا مميزا، يتخذ طريق الحق لتعظيمه وإجلاله، والخضوع له، وتدبر صفاته وكماله، وسعة رحمته، للوصول إلى الإيمان اليقيني به وإفراده بالعبودية، وبذلك يكون قد حقق

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 30.

[2] – سورة الأنعام، الآية: 165.

مهمته الوجودية كما رسمتها الشريعة الإسلامية لمنهج الخلافة في الأرض، التي تستلزم تنزيل الوحي من صورته المجردة أي التحقيق الواقعي النافذ، ولما كان الدور المنوط بعهدة العقل عظيم أحاطه الله بسياجات تصونه وتحفظه من كل ضرر أو أذى قد يؤدي إلى فقده، أو تغييبه أو اضطرابه، حيث حرم كل ما يمكن أن يكون سببا في ذلك:

4-1- تحريم المسكرات والمخدرات: حرم الإسلام الخمر والمخدرات من خلال مجموعة من الآيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [1]،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [2].

وجاء هذا التحريم لخطورة الخمر والميسر على العقل فهي تعمل على إتلافه وتعطيل بعض وظائفه حيث يفقد شاربه القدرة على الإدراك والتركيز والتحكم في حركاته وسلوكاته، كما قد يعمد المخمور خاصة وإن أفرط فيه إلى ارتكاب المحرمات أو الجرائم، لأن الخمر والمخدرات تفقد متناوليها القدرة على التميز والتركيز وضبط النفس والسلوك. لهذا نهى عز وجل عن الصلاة في حالة سكر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ

[1] – سورة البقرة، الآية: 219.

[2] – سورة المائدة، الآية: 90.

﴿وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾، [1] مما قد يترتب عن عدم الوعي وعدم الخشوع...

إن ذهاب العقل أو تغييبه بالسكر غالبا ما يجعل الإنسان ينسلخ من إنسانيته فيهرع إلى ارتكاب المعاصي والمفاسد، والتي تصل أحيانا إلى القتل والسب والشتم وانتهاك حرمات الناس، والمس بأمنها وسلامتها، ولهذا كان حكم الشرع عليها بالتحريم، نتيجة الاختلال والاضطراب بالوظائف الذهنية والعقلية للإنسان وما تسببه من أضرار للنفس والفرد والمجتمع.

4-2 النهي عن التقليد الأعمى للأسلاف: فتقليد الأسلاف أو الآباء من الأمور التي تعطل وظيفة العقل المتمثلة في التمييز بين الصحيح والخطأ والحق والباطل. ومن أدلة القرآن على ذم التقليد الأعمى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ وَمَثَلُ الذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ) [2] ، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [3].

فالإسلام جاء ليحارب التعظيم والولاء للأجداد والأحباب في عاداتهم وعوائدهم التي لا تمت للمنطق بصلة "والإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعا لما يسخره باسم الدين في غير ما

---

[1] – سورة النساء، الآية: 43.

[2] – سورة البقرة، الآيتان: 170-171.

[3] – سورة المائدة، الآية: 104.

يرضي العقل والدين ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء". [1].

وقد أدان القرآن الكريم الاستناد إلى عادات وتقاليد الأسلاف التي لا تنسجم مع المنطق والعقل خاصة فيما يتعلق بعبادة الأوثان وتصديق الخرافات والخزعبلات التي تجعل العقل يخوض في الجهل والضلال.

4-3- الغضب: وهو من ردود الفعل المذمومة التي لا يحمد عقباها في غالب الأحيان، لما تسببه من بغض وحقد وقطع للأواصر والأرحام، فكلما التهبت نار الغضب في الإنسان يفقد صوابه، ويزيغ عقله عن الطريق الصحيح، وقد تصدر عنه في هذه الحالة أقوال أو ردود فعل لا يقبلها لا العقل ولا الدين.

والغضب ظاهرة انفعالية، وعاطفية شعورية طبيعية لدى الإنسان، وهو صحي إذ تم توجيهه بالطريقة الصحيحة، ولم يحصل فيه خروج عن ضوابط الشرع والعقل، ولكن عند فقدان السيطرة والقدرة على التحكم، يصبح الغضب مدمرا ومؤديا إلى مشاكل جمة في العلاقات الإنسانية [2].

وقد وردت نصوص تذم الغضب وتحذر منه، كقوله تعالى: ﴿ **وَالذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلِاثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾،[3] وقوله تعالى: ﴿**ٱلذِينَ يُنفِقُونَ فِے ٱلسَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [4].

---

[1] – التفكير فريضة إسلامية، محمود العقاد، ص: 15.

[2] – الغضب في القرآن الكريم، عودة عبد الله، ص: 10.

[3] – سورة الشورى، الآية: 37.

[4] – سورة آل عمران، الآية: 134.

وروى البخاري: "عن أبي هريرة قال: إن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصيني: قال:"لا تغضب، فردد مرارا قال: لا تغضب" [1].

بالنظر إلى هذه النصوص يتبين أن الغضب جاء منهى عنه، لما يترتب عنه من آثار وخيمة على الصعيد الأسري، أو المجتمعي كالتجريح، والإساءة، والعدوان قد يصل في بعض الأحيان إلى القتل والدمار وغير ذلك، وهذا النوع من الغضب مذموم لأن صاحبه لا يحتكم إلى عقله في قوله أو فعله وإنما يستسلم لانفعالاته اللاشعورية التي تقوده إلى التسرع في اتخاذ القرار وإصدار الأفعال غير المحسوبة. وللإشارة هنا ليس كل غضب مذموم فهذا نوع محمود في الشريعة الإسلامية الذي لا يتجاوز حدوده ويكون من أجل الله تعالى.

4-4- **تحريم أعمال السحر والشعوذة:** يعتبر السحر والشعوذة من أقدم المعتقدات التي عرفها الإنسان ومارسها عبر مختلف الأعصار والأمصار. وقد جاء تحريمها في العديد من الآيات كقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلآخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾، [2] وقوله تعالى: ﴿**أَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا**

[1] – صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب.

[2] – سورة البقرة، الآية: 102.

صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾[1].

وقد أدانت الآيات الكريمة السحر لما يصيبه من آفات اجتماعية وأمراض صحية ونفسية وعقلية، شديدة الخطورة، فقد يصيب العقل بالجنون، والجسد بالوباء، والحياة المستقرة بالدمار والخراب .

إن ظاهرة السحر والشعوذة اعتبرت في الإسلام من أعظم المعاصي التي توصل صاحبها إلى الشرك والكفر بالله، واتباع الشياطين في أذية الناس وإلحاق البلاء بهم وبجسدهم وعقلهم وحياتهم، والخوض في الأمور الغيبية التي تدخل في مجال علمه تعالى.

- **النهي عن الخوف:** وهي حالة فزع ورعب تصيب الإنسان وتفقد الشعور بالأمن والسلام والطمأنينة، وقد ورد الخوف في مواضيع عديدة من القرآن الكريم بصوره المختلفة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [2]، ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾[3]، ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [4].

---

[1] – سورة طه، الآية: 69.

[2] – سورة آل عمران، الآية: 175.

[3] – سورة النساء، الآية: 9.

[4] – سورة الأحزاب، الآية: 19.

وقد جاء الخوف في بعض الآيات مفهوما لما يصاحبه من شعور بعدم الاستقرار والإحساس بالذل والهوان والتردد، و"الإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعا لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضى العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء"[1].

كما أن الخوف من غير الله تعالى يؤثر على العقل حيث يفقد صاحبه القدرة على التفكير الموضوعي المنطقي، والقدرة على السيطرة في المواقف والتحكم في السلوك بطريقة إيجابية مع الآخر.

- **تحريم الاعتداء على العقل:** حيث اعتبر إلحاق الضرر جناية توجب العقوبة وإقامة الحد، ولقد صان الله عز وجل حرمة النفس والعرض والمال، حيث اعتبر أي اعتداء أو عدوان على أحد هذه الدعائم جريمة تستدعي إقامة الحد أو فرض الدية أو القصاص، وقد أحاط النفس برعايته، ودعا إلى الحفاظ عليه وعدم المس بحرمتها ويظهر ذلك من خلال النصوص التالية، يقول تعالى: ﴿وَلَكُم فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِي ٱلأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [2]،﴿وَمَنْ يَّقْتُلْ مُومِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِداً فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [3]،﴿وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ اَنْ يَّقْتُلَ مُومِناً اِلاَّ خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُومِناً خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلاَّ أَنْ يَّصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُومِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ اِلَىٰٓ

---

[1] – التفكير فريضة إسلامية، محمود العقاد، ص: 15.

[2] – سورة البقرة، الآية: 179.

[3] – سورة النساء، الآية: 79.

أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّومِنَةٍۖ ۞ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[1]، ويتبين من خلال هذه الآيات أن صيانة النفس والحفاظ على السلامة البدنية مسألة متأصلة في الدين الإسلامي، ولما كان العقل جزء من النفس أحاطه الله بتشريعات تحفظه، وتحرم كل ما من شأنه أن يعطله أو يذهبه. كما جعل الدية لكل من جنى على شخص ما، سواء بالضرب أو الترويع أو اللطم... فسبب له إتلافا فكريا أو حسيا، وجبت عليه الدية كاملة في إذهاب العقل[2]، لأنه يدخل تحت حالات وجوب الدية كاملة في الجناية على ما دون النفس، والعقل من أعظم ما أعظم ما يختص به الآدمي وينتفع به بنفسه في الدنيا والآخرة وبه يمتاز من البهائم."[3]

وحاصل القول: إن الشريعة الإسلامية أحاطت بسياجات حفظ وصون من الناحية الحسية أو الفكرية، فجعلت الدية لكل من اعتدى على العقل سواء كان بالضرب أو التهديد

أو التخويف، وحرم كل ما من له سلطان على إتلافه أو تغييبه أو التأثير بشكل سلبي في وظائفه أو شل العلميات الفكرية والذهنية التي يقوم بها، كالمسكرات، والغضب، والخوف، وإتباع الأسلاف ونشر الأفكار الهدامة.

---

[1] – سورة النساء، الآية: 92.

[2] – الأشباه والنظائر في قواعد فقه الشافعية، السيوطي، ص: 486.

[3] – الحدود والقصاص بين الشريعة والقانون، محمد عارف مصطفى فهمي، ص: 294.

المبحث الخامس : وسائل التنمية العقلية في القرآن الكريم.

1-العلم والمعرفة:

أوجد الخالق عز وجل الإنسان في هذا الكون وهو لا يعلم أي شيء على الإطلاق، ومكنه من وسائل وأدوات تمكنه من اكتساب المعرفة والعلم، والاستفادة منها والعمل بها في أمور حياته الدنيوية والأخروية، يقول عز وجل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْـٔاً وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَالاَبْصَٰرَ وَالاَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1]، ويقول أيضا: ﴿ أَلَم نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2]، ويقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلاَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوَ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلاَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [3].

ويعد العقل والحواس (وقد سبقت الإشارة سابقا إلى هذا) من مصادر العلم والمعرفة، وأدوات الفهم وإدراك الأشياء وحقائقها، وقد دعا القرآن الكريم إلى استخدامها غير مرة وفق ما يرتضيه، ونهى عن تعطيلها وتسخيرها لغير ما خلقت لأجله، ولعل دعوة القرآن إلى تسخير هذه الملكات الإدراكية، للوصول إلى مقاصد الشريعة الإسلامية، واستنباط نواميس الكون الكبرى، وأسراره العظمى التي تدل على وحدانيته في الخلق.

وقد حث القرآن الكريم على العلم والتعلم لتحرير الإنسان من ظلمات الجهل والضلال، التي كانت يتخبط فيها في الجاهلية، فنزلت أول سورة تدعو إلى العلم

---

[1] – سورة النحل، الآية: 78.

[2] – سورة البلد، الآية: 8 – 10.

[3] – سورة الحج، الآية: 46.

والقراءة، قال تعالى :﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلِانسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلاَكْرَمُ ٱلذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلِانسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

يتبين من خلال هذه الآية التي استُهلت بالدعوة إلى القراءة، أن أساس الوحي من البداية قوامه العلم والتعلم. وهي بمثابة توجيه رباني إلى اكتساح أبواب العلم والمعرفة لأنهما عماد البناء العقلي والنفسي والحضاري.

وهي دعوة لتنمية قدرات العقل وتغذيته بالعلم الذي هو"المدخل الطبيعي إلى الحقائق سواء كانت حقائق شرعية أم كانت حقائق كونية، لذلك كان أول شيء وُهب للإنسان هو العلم ليكون مدخلا إلى الخلافة. وزود بالوسائل الضرورية للوصول إلى حقائق الأمور وتوارثها عبر الأجيال ليتحقق بالتراكم المعرفي مزيد من الكشوف والعلوم. وبقدر ما أخذ الإنسان لتلك الوسائل واستثمارها يكون وصوله إلى الحقائق".[2]

كما أشاد الخالق عز وجل بقيمة العلماء ورفعة شأنهم في قوله: ﴿أَمَنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلْيْلِ سَاجِداً وَقَآئِماً يَحْذَرُ ٱلاَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَـٰبِ﴾.[3]

جعل أولي العلم في أعلى الدرجات والمرتبات مقارنة مع باقي الناس، لأنهم هم من يعرفون الله حق المعرفة، ويعبدونه حق العبادة، ويخضعون لأوامره ونواهيه، لأنهم أصحاب حق وحكمة ومشورة، فيتخذون الرأي السديد، والموقف الصائب، والقول

---

[1] – سورة العلق، الآيتان: 1–5.

[2] – مفهوم العلم في القرآن الكريم، الدكتور مصطفى فوضيل، ص: 423.

[3] – سورة الزمر، الآية: 39.

الحكيم في حل المشكلات والأزمات التي قد تصيب الأمة استنادا لما شرعه الله من أحكام وضوابط في القرآن الكريم الذي يعد مصدرا للعلم يقول الله تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ وَّاقٍ﴾[1]، ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً﴾[2].

وقد جاء القرآن موصوفا بالعلم لاشتماله عليه ولاستيعابه لحقائق ومعارف وحقول علمية عديدة ومختلفة، يقصدها كل شغوف بالعلم والمعرفة وكل متطلع إلى الهداية وإلى طريق الحق والرشاد.

ولعل التنويه المتكرر بالعلم في القرآن راجع لدوره في تنمية قدرات العقل وتحسين مداركه، وتزويده بالمعارف الأولية لكل العلوم، وتوسيع آفاقهم بمعرفته الأمور على حقيقتها، وتصورها تصورا صحيحا.

ومن شأن الإبحار في آيات القرآن الكريم، والتعمق في معانيه أن ينمي القدرات العقلية المتمثلة، كما أشار إليها القرآن الكريم في "قدرات العقل، قدرة التأويل، قدرة التدبر، قدرة الفقه، قدرة التفكر، قدرة التذكر، قدرة النظر، قدرة الشهود، قدرة الإبصار وقدرة الحكمة[3].

– **قدرة العقل:** يراد بها القدرة على خزن المعلومات واسترجاعها وتوظيفها عند الحاجة إليها، وهي شاملة لجميع القدرات.

---

[1] – سورة الرعد، الآية: 37.

[2] – سورة مريم، الآية: 43.

[3] – أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلاني، ص:75.

– **قدرة التأويل:** اقترنت في القرآن بالقدرة على إدراك التطبيقات العملية التي تقابل التقريرات النظرية أو على العكس، ومن أمثلتها قدرة يوسف عليه السلام على تقديم التفسيرات والمقترحات التي تقابل الأفكار والرؤى التي عرضت عليه.

– **قدرة التدبر:** لقد اقترنت الإشارة إليها بالقدرة على الربط بين المقدمات والنتائج واكتشاف الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج.

– **قدرة التفكر:** قدرة تشير إلى استعمال المهارات العقلية كلها للوصول إلى الحقيقة.

– **قدرة التذكر:** قدرة عقلية تشير إلى القدرة على استرجاع الخبرة ورؤية جانب الصواب فيها.

– **قدرة النظر:** فهي قدرة عقلية تشترك فيها قدرات السمع والبصر للكشف عن المجهول.

– **قدرة الشهود:** هي قدرة حسية تشترك معها القوى الحسية كذلك، ولكنها تختلف عن قدرة النظر في أن ثمراتها صائبة صحيحة.

– **قدرة الإبصار:** هي قدرة عقلية نافذة تساعد على دقة الفهم والتعمق في تحليل الظاهرة وكوامنها.

– **قدرة الحكمة:** هي قدرة عقلية على فهم العلاقات النظرية ومهارة عقلية حسية قادرة على تحويل العلاقات المذكورة إلى تطبيقات عملية وتصويبها ورعايتها.[1] وهذه القدرات تولد مع الإنسان، ثم تتطور وتنمى بالتحصيل العلمي والمعرفي، والتجارب

[1] – أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد، ماجد عرسان الكيلاني ص: 76–78.

والخبرات، وتختلف القدرات العقلية من شخص لآخر، وقد يكون للشخص بعض القدرات متطورة وقوية وتكون الأخرى ضعيفة وبسيطة، فهي تختلف حسب درجات النمو السليم والتطور الإيجابي، والعقل الرزين بالتحصيل والتجربة والممارسة، وما سلوكات الإنسان وردود أفعاله، وطرق تعاطيه مع الظواهر والمعضلات، إلا انعكاس وترجمة لدرجات قدراته العقلية ومفاهيمه وتصوراته.

لقد كان القرآن الكريم مجالا خصبا للفت الانتباه إلى أهمية العلم وضرورته للفرد والمجتمع، من خلال آيات عديدة حفلت بالدعوة إلى طلب العلم والتعلم بأساليب وصيغ مختلفة كما تبين الآيات:

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلأَلْبَٰبِ﴾.[1]

يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.[2]

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.[3]

يقول تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلآَ ءَابَآؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ

[1] – سورة الرعد، الآية: 19.

[2] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[3] – سورة النحل الآية: 16.

﴿ٱلظَّنَّ وَإِنَ آنتُمۡ إِلاَّ تَخۡرُصُونَ﴾ [1].

وهذا الإصرار على طلب العلم راجع إلى دوره السامي في تشكيل العقل المسلم وتنميته، وتأسيس منهج تفكير علمي متكامل، واهتداء العقول واستنارتها لما فيه خير للأمة جمعاء انطلاقا من الوحي باعتباره مصدرا للعلم والمعرفة والحقيقة، ولاستنباط الأحكام والتوجيهات والضوابط والتنظيمات كحلول للمعضلات والأزمات والمشاكل التي تواجه العقل، والاستفادة أيضا من الخبرات والدراسات العلمية في مختلف الحقول والمجالات التي "تمثل مصادر أساسية لإمداد الأمة وقيادتها ومؤسساتها بالمعرفة والفكر والخبرة والدراسات والأبحاث، التي تستفيد بها في فهمها للحياة ومجرياتها، وتستفيد بها في بناء خططها وتصريف شؤونها وتوفير حاجاتها"[2].

إن العلم هو الركيزة الأساسية لتنمية العقل وللبناء الحضاري، ونهضة الأمم، وتطور المجتمعات ومواكبة مستجدات الحياة وتقدمها، ولعل اقتران العقل بالعلم في الآية الكريمة: ﴿**وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلاَّ ٱلۡعَٰلِمُونَ**﴾، لكون العلم هو قوة العقل التي تجعله يحذو حذوه نحو الارتقاء والاستقامة والصلاح.

2-اعتماد القرآن على القصص: من الوسائل الفريدة التي عمد القرآن الكريم إلى اعتمادها لتبليغ الرسالة النبيلة المنزلة على نبيه، وإثبات صدقها، أسلوب السرد والقصص بهدف التربية والاتعاظ والاعتبار.

والقصة هي مجموعة من الأحداث أو الوقائع حدثت في الماضي لأمم سابقة، والقصة في اصطلاح القرآن الكريم: "أخبار عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة

---

[1] – سورة الأنعام، الآية: 148.

[2] – أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سلمان، ص: 137.

والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار على قوم و حكم عنهم صورة ناصقة لما كانوا عليه"[1].

ومن خصائص القصص القرآنية التزامها بالصدق وبالحق ولا مجال فيها للكذب أو البهتان أو الخرافات، لأنها منزلة من الله، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[2]، فكل القصص الواردة في القرآن الكريم هي بمثابة وحي أنزله عز وجل على نبيه لأخذ العضة والحكمة.

وهي من المواضيع القرآنية التي توجه العقل وترشده إلى طريق الحق، وقد "أوحى بها إلى الرسول الأكرم ليكون مأخذ عبرة، أو موضع قوة، أو مجلاة حكمة، وما كان كذلك لا يكون إلا حقا من صميم الواقع"[3]، والقصص القرآنية من شأنها أن تضيف أو تراكم للعقل المسلم شيئا أو أشياء وترتقي به عاليا، فتحرره من رسوبات الجاهلية وتثبت دينه، وتقوي إيمانه، اعتبارا واتعاظا بما وقع للأمم السالفة، وتجعل همه الوحيد عبادة الله عز وجل، كما من شأنها أن تقوي وتنمي قدراته العقلية فتحفز فيه ملكة التدبر والتفكر في أحداث وحيثيات القصة لاستخلاص الحكم والعبر، وإخلاص العبادة لله وحده، "والمتأمل في كل ما جاء في الذكر الحكيم من قصص قرآنية، يجد أن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته دون غيره من حجر أو بشر أو شجر، كان الهدف الأول في كل الرسالات، فلا شيء أسمى وأكرم من أن يتحرر الإنسان من عبودية المخلوقات والموجودات، وأن يتخلص من سطوتها وثقلها بأن يكون عبد لله

---

[1] – مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: 317.

[2] – سورة يوسف، الآيتان: 2–3.

[3] – الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، ج:1، ص: 182.

الواحد القهار، ومن بعد تحقيق الهدف الأول المتمثل بالتوحيد، تركز الدعوة في الرسالات كلها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق ونبذ الرذائل وذميم العادات"[1].

إن القصة القرآنية هي تعاليم قرآنية نسجت بأسلوب فني رائع، من حيث السياق والبلاغة والفصاحة، هدفها استنهاض العقل وتوجيهه نحو التفكير السليم، وتزكية النفوس وتثبيت الإيمان في القلوب، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [2]، وقد اعتمدها القرآن للتأثير والإقناع لما تحويه من دلائل لإثبات العقيدة، وأساليب الأنبياء في الدعوة إلى تصديق الوحي والإيمان بالله، كما تعمد إلى إثارة عاطفة الخشوع والخضوع والانقياد إلى طريق الله المستقيم، واستخلاص العبرة والحكمة، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [3]، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[4].

إن القصص القرآنية وما تحمله من قضايا وموضوعات وأحداث ترنو إلى "خلق العروض التاريخية في إثارة الفكر البشري، ودفعه للبحث عن الحق، وتقديم خلاصات للتجارب البشرية، والخروج بالعبر والعضات والسنن التي تحكم حركة الإنسان ومصيره وإزاحة ستار النسيان عنه، وإمداده بطاقات تضيء له الطريق، وتساعده على

---

[1] – القصة في القرآن الكريم، مريم عبد القادر، عبد الله السباعي، ج:1، ص:37.

[2] – سورة هود، الآية: 120.

[3] – سورة يوس، الآية: 111.

[4] – سورة القمر، الآيتان: 4-5.

مقاومة الإغراءات تجنبا للمصير السيئ، فتساعده على الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة"[1].

وعموما، إن القصص في القرآن الكريم من الوسائل الجليلة التي تعمل على لفت انتباه العقل وإثارة انفعالاته، المتمثلة في تأمل المعاني والدلالات والغايات التي ترسمها هذه القصص، والقضايا والأحداث التي تنوه في غالب الأحيان بعبرة، أو حكمة أو اتعاظ أو معالجة لمشكلات الواقع.

3-إدراج الأمثال في القرآن الكريم:

اتسع القرآن الكريم في استعمال أسلوب ضرب الأمثال في آيات عديدة للاستثارة والإقناع، ولتنمية القدرات العقلية من خلال تحفيزها وإدراك غاياتها ومقاصدها.

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (ضرب) مقترنا بلفظ (مثل) مفردا وجمعا، في كثير من المواضيع، حتى بلغ ثلاثين موضعا" [2] ومن هذه الآيات:

- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.[3]
- ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾. [4]
- ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [5].

---

[1] – البناء العقلي في ضوء القرآن الكريم، ميساء آمال قلجة، ص: 26.

[2] – الأمثال القرآنية، دراسة لغوية (رسالة) جمال الدين ماينغ جنغ، حسين أحمد ، ص: 23.

[3] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[4] – سورة يس، الآية: 13.

[5] – سورة إبراهيم، الآية: 25.

- ﴿لَوَ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

وتكمن أهمية الأمثال في تقريب المعاني إلى العقل، وإيجاز الكلام، والتأثير على النفوس لأنها تتميز بأسلوب فني رائع "ففيه من تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها من مثل من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته"[2]، وتأتي الأمثال في القرآن لتبيان الحق، وإقامة الحجة، ليبين الحق بجلاء ويدحض الباطل بوضوح ويكشف الخفي، وهي موجهة لذوي العقول التي تعقل المعاني البعيدة، والمدلولات العميقة للمثل، يقول عز وجل ﴿وَتِلْكَ ٱلأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[3]. كما أن هدفها هو نقل المعاني من الصورة الذهنية إلى الصورة المحسوسة للسامع ليعقل المثل، والمراد منه كما يؤكد ابن القيم: "وقد ضرب الله ورسوله للناس لتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس بأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير"[4].

وقد تشتمل الأمثال على القصص لتصوير الوقائع والأحداث والحالات... التي تكون في الغالب صورة فرضية مجردة فتنقل إلى صورة محسوسة. "والأمثال القصصية في القرآن لا تميل إلى التفصيلات المملة، وإنما تركز على موضوعها

---

[1] – سورة الحشر، الآية: 21.

[2] – إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، ج:1، ص:291.

[3] – سورة العنكبوت، الآية: 43.

[4] – الأمثال في القرآن، لابن قيم الجوزية، ص: 22.

الديني في التصوير الفني، والبناء القصصي... حتى يستوعب المثل المصور على الأزمنة والأمكنة والأشخاص في إطاره المرسوم، وإذا ذكر المكان أحيانا فإنه يذكر مبهما منكرا، لإفادة الشمول والعموم، باعتباره وعاء الحدث الجاري، ولكن هذه الأمثال القصصية بالصدق الواقعي والبعد عن التصوير الأسطوري أو الخرافي".[1]

وحاصل القول، إن أسلوب ضرب الأمثال المعتمد في القرآن الكريم، ورد لإثارة العقل وتحفيز الفكر في تجلي المقصد السامي الذي من وراءه استعمل، ولكشف المستور فيه للاتعاظ والاعتبار فكل واقعة أو حالة أو حدث تم تصويره في المثل يمكن أن يزيد من التراكم المعرفي لعقل الإنسان، أو يوجهه ويرشده إلى طريق الهداية معتبرا ومتعظا بما وقع مع الأمم السالفة، أو محتكما بالقضايا والحالات التي تضمنها المثل.

4- القيم: اشتمل القرآن الكريم على قيم ومبادئ عديدة صالحة في كل الأعصار والأمصار، التي من شأنها أن ترتقي بالعقل المسلم وتطور منهجه في الحياة، وتحقق التوازن في جميع المجالات على الصعيد الفردي و الاجتماعي.

والقيم في القرآن الكريم هي مجمل الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم ونوه بها، متمثلة في ضوابط يجب احترامها والتحلي بها في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، بغض النظر عن اللون والعرق واللسان.

وقد أولاها القرآن الكريم، عناية خاصة لآثارها العظيمة في سمو الفرد والأسرة والمجتمع، وتماسكهم وتحقيق الأمن والاستقرار، وانتشار الخصال الحميدة والأخلاق النبيلة بين الناس.

---

[1] – الأمثال القرآنية، دراسة لغوية، عبد جمال الدين، ص: 21.

ويمكن إجمال القيم الواردة في الأنواع التالية:

1- القيم الفردية: وهي مجموعة القيم التي يتسم بها الفرد، وتكون انعكاسا لسلوكه وردود أفعاله، من هذه القيم:

- **الصدق:** وهو مطابقة الكلام للواقع، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا".[2]

- **الصبر:** هو حبس النفس على فعل شيء، أو تركه ابتغاء وجه الله، يقول ابن قيم الجوزية: "إن حقيقة الصبر هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها".[3]

وتعظيما لمقام الصبر فقد كررت لفظة الصبر في القرآن الكريم، أكثر من مئة مرة، "فقد اشتمل على أخلاق الإسلام وقيمه فهو الذي يجمع شملها، ويلم شتاتها، فتبعث موات القلوب، فقد اختلفت أسماؤه باختلاف متعلقاته، فالصبر عند الشهوة يدعى العفة، وضبط النفس، والصبر في ساحات الوعي يدعى الشجاعة، والصبر على الغضب والانتقام يدعى الحلم، ويدعى سعة الصدر عند الضجر، وعند الكفاف والفقر يسمى القناعة والصبر على إخفاء أمر يدعى الكتمان، ويدعى بالزهد الصبر عن فضول العيش"[4]

---

[1] – سورة التوبة، الآية: 120.

[2] – صحيح البخاري، كتاب الأدب.

[3] – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، ص: 360.

[4] – الصبر في القرآن الكريم وأساليبه، جمانة فاضل الزين، ص: 35.

ومن الآيات الوارد فيها لفظ الصبر نذكر منها: ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلاَمْوَالِ وَالاَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [1].

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [2].

– **الإحسان:** هو ضد الإساءة، وهو تقييم المساعدة للآخرين أو فعل الخير لهم، ويطلق على الإحسان على إتقان العبادة وإحسانها، وقد جاء في حديث لما سئل النبي عليه السلام ما الإحسان فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"[3]، بمعنى أن الإحسان الاستشعار بأنه يراقبك ويحصي كل كبيرة وصغيرة دون انتظار الثناء أو الشكر من الناس وإنما ابتغاء مرضاة الله، وكثيرة هي الآيات التي دعت الإحسان وبجلت قيمته، ومنها: ﴿وَإِذ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [4]،﴿وَإِذَ آخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ ٱللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـٰناً وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾[5]، ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [6].

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 155.

[2] – سورة الطور، الآية: 48.

[3] – صحيح البخاري، كتاب الإيمان.

[4] – سورة البقرة، الآية: 58.

[5] – سورة البقرة، الآية: 82.

[6] – سورة البقرة، الآية: 155.

والقيم الفردية التي يتصف بها الفرد كثيرة في القرآن الكريم، وتتحدد في كثير من الصفات كالعفو والتواضع، والكرم والسخاء...

2- **القيم الأسرية:** هي الأخلاق والمعاملات التي يلتزم بها أفراد الأسرة لتحقيق السعادة، وتنشئة الأبناء على الاستقامة، ومن هذه القيم:

- **المعاشرة بالمعروف:** ويقصد بها المعاملة الحسنة بين الزوجين القائمة على مبدأ تبادل الحقوق، لما يحقق ذلك السعادة والاستقرار للأسرة، وقد كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة في حسن المعاملة "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" [1]، وفي القرآن الكريم ورد الأمر بحسن المعاشرة في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهاً وَلاَ تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَنۡ يَّاتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۞ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡراً كَثِيراً﴾،[2] ويقول تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنۡ يَّكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُومِنَّ بِاللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلاَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ ارَادُوٓاْ إِصۡلَـٰحاً وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلذِے عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [3]

- المودة والرحمة: وهو التعامل بالتعاطف والتراحم بين الزوجين لتحقيق حياة سعيدة هادئة، واستقرار عاطفي بينهما، يقول عز وجل:﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ

---

[1] – الجامع الصحيح، سنن الترمذي. كتاب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

[2] – سورة النساء، الآية: 19.

[3] – سورة البقرة، الآية: 228.

لَكُم مِّنَ آنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجاً لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَايَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[1]

3- **القيم الاجتماعية:** هي الخصائص المرغوب فيها في الجماعة التي توجه سلوكهم، وتنظم علاقاتهم بعضهم ببعض، ومنها:

- التعاون: ائتلاف الناس واجتماعهم على فعل الخيرات، وعلى البر والتقوى من أجل تحقيق التماسك والتغلب على الأعباء، والتصدي لكل المشاكل والعراقيل التي يمكن أن تواجه الفرد والمجتمع، وقد حث القرآن الكريم على هذه القيمة النبيلة في قوله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلاَ ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلاَ ٱلْهَدْىَ وَلاَ ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلآَ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. [2]

-﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴾.[3]

- **المسؤولية:** هو الإحساس بآداء الواجب اتجاه نفسه واتجاه مجتمعه ودينه... مع تحمل تبعات أعماله ونتائجها. يقول الله تعالى:

---

[1] - سورة الروم، الآية: 21.

[2] - سورة المائدة، الآية: 2.

[3] - سورة الكهف، الآية: 95.

- ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1]

- ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [2].

وما يمكن أن يقال عن علاقة القيم المبثوثة في القرآن الكريم بتنمية العقل، هو أن بناء المجتمعات الإسلامية المتخلفة، يبدأ بتشبع العقل المسلم بهذه القيم وإدراك قيمتها وغاياتها، وإخراجها إلى حيز التنفيذ والممارسة، والتحرر من التدجين الفكري، والتصورات والمفاهيم الخاطئة الموروثة عن الجاهلية، وتجاوز الالتباسات المعرفية، ولعل التقدم الذي شهدته بعض المجتمعات على المستوى الفكري والأخلاقي والاقتصادي والسياسي ... ناتج عن اعتمادها على منظومة القيم الإسلامية، ونورد في هذا المقام قول عبد الحميد في كتابة أزمة العقل، "إن الحضارة الغربية إنما بنيت على منطلقات رسالة الإسلام، وتراث الحضارة الإسلامية التي أعطت الكثير الأصيل الذي ساهم في إصلاح الكثير من منطلقات الحضارة الإنسانية قبلها، ونرى أثر ذلك واضحا في الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي والفكري والعلمي، الذي أخذته أوربا عن الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية، فقد جالس الغربيون أرض الإسلام وفكره وإنجازه، وفي الترجمات الإسلامية يشهد عليه فكر عصر النهضة الأوربية وتراثه وإصلاحاته الحضارية، بل كثيرا من معاناة الغرب وأمراضه الاجتماعية، خاصة في محيط الصحة النفسية للفرد والأسرة التي يعاني منها، إنما ترجع في رأينا إلى تحلي

[1] – سورة الإسراء، الآيات: 34-35-36.

[2] – سورة الإسراء، الآية: 18.

الغرب عن كثير من منطلقات ومفاهيم الإصلاحات الاجتماعية والأخلاقية التي استمدها من الحضارة الإسلامية".[1]

إن تنمية العقل تنطلق من ترسيخ منظومة القيم الإسلامية وتعزيزها، ومزاولتها، وتأسيس منهج تفكير صحيح قائم على الاستدلال والحجة وتحمل المسؤولية، وليقوم العقل بدوره الفكري والحضاري، يجب أن يدخل في سيرورة تكاملية مع الوحي وقيمه ومبادئه لإمداد الأمة بأساسيات، ومرتكزات التقدم والتطور والتغيير، وقيادة مؤسساتها بالمعرفة اليقينية والخبرات والتجارب، وتوجيه رؤيتها نحو تدبير مواردها، ومواجهة التحديات التي يمكن أن تعترضها.

5- اعتماد القرآن الكريم على الحوارات

يعد أسلوب الحوار من الرسائل التي نهجها القرآن الكريم، لإقناع عقول العباد بصدق النبوة، ووحدانية الخالق عز وجل، ولإرساء سبل التعايش السلمي، وأسس الحوار الحضاري المبني على احترام خصوصيات الآخر والاعتراف به.

والمتأمل في آيات الله الكريمة يجد أن الحوارات الواردة فيه تتسم بجمالية خاصة وأسلوب متفرد تجعله يبسط قلبه إليها، ويجول بعقله في مواضعها ومعانيها وعمقها ليزداد أولا إيمانا ويقينا بما أنزله الله، وثانيا ليكتسب أسس وضوابط وآداب الحوار، وهذا واضح في قوله تعالى الذي يؤسس لمنهج الحوار السليم البناء القائم على الحكمة وحسن المجادلة، وحرية الاختيار: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [2]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد

[1] – أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أحمد أبو سلمان، ص: 118 – 119.

[2] – سورة النحل، الآية: 125.

﴿تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُومِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ إِسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وتبين الآيتين بعض آداب الحوار التي يجب أن يتصف بها المحاور أثناء حواره مع الآخر، فيعتمد في كلامه على أسلوب لين حكيم بعيد عن التعصب والتشدد، والإكراه في الاعتناق حتى يكون الحوار مثمرا والتفاعل والتواصل إيجابيا مع الآخر، بغض النظر عن اللون والجنس والعقيدة واللغة.

ويعتمد القرآن الكريم في إستراتيجيته، لإقناع عقول العباد في جل الحوارات على الحجة والبرهان يقول تعالى: ﴿أَم إِتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِى وَذِكْرُ مَن قَبْلِى بَلَ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [2]، فالآية الكريمة توبخ اليهود لعظيم ذنبهم المتجلي في عبادة الأوثان،[3] ومجابهتهم بحجية وحدانية الله بالقرآن الكريم والكتب السماوية "هذا ذكر من معي ومن قبلي" وتدعوهم بالإتيان بالدليل والبرهان على صدق وحقيقة آلهتهم التي يزعمون وجودها. ويقول أيضا: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [4]، ففي هذه الآية أيضا مطالبة اليهود بالحجة والدليل على دعواهم.

ولعل الهدف من الحوار هو إقامة الحجة والدليل لإقناع العقل بما ترنو إليه مواضيع الحوار، بالاستدلال والاستشهاد المنطقيين للوصول إلى الرأي السديد والحق

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 256.

[2] – سورة الأنبياء، الآية: 24.

[3] – صفوة التفاسير، علي الصابوني، م: 2، ص: 258.

[4] – سورة البقرة، الآية: 111.

المبين، وهذا واضح في حوار موسى عليه السلام مع قومه إذ دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده بالعبادة والطاعة، في قوله تعالى: ﴿لَقَدَ آرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ﴿وَلَقَدَ آرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ آن لاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ آلِيمٍ﴾[2]، ويقول أيضا: ﴿فَقُلْت ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰراً﴾[3].

اعتمد سيدنا نوح في الآية الكريمة لإقناع قومه بالرسالة المكلف بها على عدة أساليب، "من أسلوب الترغيب إلى أسلوب التحبيب، إلى أسلوب الترهيب، إلى أسلوب البرهان، إلى الدعوة في النهار" [4].

وهذا التعدد في الصيغ والأساليب اتخذه القرآن في جل آياته من أجل توصيل الرسالة إلى الناس وإقناعهم بوحدانية الخالق، وإفراده بالعبادة، وترسيخ الإيمان في القلوب. ومهارة الحوار من الأساليب الناجحة لتحقيق أهداف وغايات الوحي، والتعبير عن الأحداث والوقائع قصيرة كانت أم طويلة، والواقع أن القرآن رسم منهاج الحوار الهادف البناء، فهيأ أجواء الحوار المتكامل الذي يساهم في التفاعل مع الأفكار والآراء وقبول الآخر، ودرء الخلاف، فمعظم التشرذم والتأزم الذي أصاب العلاقات بكل أنواعها الاجتماعية والأسرية والسياسية، كان نتيجة لغياب الحوار وآدابه، فوقع ما وقع

---

[1] – سورة الأعراف، الآية: 59.

[2] – سورة هود، الآيتان: 25 – 26.

[3] – سورة نوح، الآيتان: 10 – 12.

[4] – القصص القرآني – عرض وقائع وتحليل أحداث–، صلاح عبد الفتاح، ج:1، ص: 167.

من نزاعات وحروب وصراع الحضارات التي كلفت الإنسان والكون الشيء الكثير، بسبب إغلاق قنوات الحوار التي يمكن بواسطتها الاستفادة من معارف الآخر وثقافاته وتجاربه، وتبادل الأفكار معه، والوصول إلى حلول واتفاق بخصوص المشاكل والأزمات التي يمكن أن تواجه الإنسان في علاقته مع الآخر.

إن الحوار في القرآن الكريم لغة العقل والمنطق، يتأسس على الحجة والبرهان والدليل، ويشمل جميع مجالات حياة الإنسان، في التفكير والعمل والرد والإقناع والتواصل وغير ذلك، بمختلف القضايا الدينية والسياسية والفكرية، كما أن الحوار هو سبيل العقل إلى فتح المدارك لباب المعرفة والحقيقة والأفكار التي يستقيها من الآخرين خلال عملية الحوار، والإطلاع على مستجدات الوقائع والمواضيع والقضايا التي يمكن أن تزيد من مدارك قدرات العقل من خلال تبني أفكار وخبرات وتجارب وآراء الطرف الآخر المحاور.

المبحث السادس: مجالات تقتضي إعمال العقل

المطلب الأول: القضايا الكونية

إن الكون مجال واسع وفضفاض، وكل ما فيه يستلزم التفكر وإمعان النظر للوصول لعظمة الخالق، وبديع الصنع، وآيات القرآن الكريم كلها دعوة إلى إعمال العقل بقصد التدبر والتأمل في الكون، وما يحتويه من أدلة وحجج قوية على وحدانيته في الخلق، وقدرته في الخلق والإبداع.

1-خلق السماوات والأرض:

إن المتأمل في هذا الوجود يجد العديد من تجليات خلقه الدالة على إفراده في الخلق والتدبير وأعظم هذه المخلوقات السماوية والأرض التي صورها بأحسن درجة في الجمال، وأدقها في الإتقان، وقد أشير إلى ذلك في العديد من الآيات:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾[2].

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 164.

[2] – سورة الأنعام، الآية:1.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

خلق الله تعالى السماوات والأرض في ستة أيام من مادة واحدة ففصلتا إلى قسمين، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، "أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض، متلاصقا متراكما بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق الله تلك من هذه، فجعل السماوات سبعا، والأرض سبعا، وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء وأنبتت الأرض"[4]، والدليل على أن عدد السماوات والأرض سبعا من خلال قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن

---

[1] – سورت فصلت، الآية: 9-12.

[2] – سورة البقرة، الآية: 29.

[3] – سورة الأنبياء، الآية: 30.

[4] – تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، ج: 3، ص: 216.

تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[1].

﴿ٱللَّهُ ٱلذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[2].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[3]

إذن، فالله جعل السماوات سبعا طباقا، بعضهن فوق بعض على شكل كرة، واستدل ابن قيم الجوزية على كروية السماء بأن الكواكب جميعها تدور على ذلك الترتيب، فكأنها ثابتة في كرة تديرها جميعها دورا واحدا [4]، وكذلك جعل الأرض كروية الشكل واستدل العلماء على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢاۚ ٱلذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾[5].

إن المتأمل في السماء يقف منبهرا أمام هذا الإبداع المنقطع النظير، إذ رفع السماء بطريقة تفوق الخيال وأحاطها بعنايته، ويسيرها وفق إرادته ووفق قوانين محكمة، ولولا

---

[1] – سورة الملك، الآية: 3.

[2] – سورة الطلاق، الآية: 12.

[3] – سورة فصلت، الآية: 12.

[4] – مجموع فتاوي، ابن قيم الجوزية، ج:25 ص: 195.

[5] – سورة الطلاق، الآية: 12.

حفظه تعالى لاندثر الوجود في وقت قياسي، يقول عز وجل في هذا الصدد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَآ إِنَ اَمْسَكَهُمَا مِنَ اَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[1]، وخلق معها مخلوقات تحير العقول، من شدة روعتها وجمالها وعظمتها كالشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرة في مصلحة الإنسان وخدمته، يقول الله عز وجل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ءَلاَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [2].﴿ٱللَّهُ ٱلذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلاَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلاَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[3].

وإذا ما نظرنا إلى الأرض وطريقة تشكيلها، ونشأتها، ومظاهرها، المكونة من أنهار وبحار وجبال، يزيد دهشة وروعة من هذا الحبك في الخلق، والإتقان في الصنع، والإحكام في التنظيم، كلها تسير وفق حدود وقوانين رسمها لها بديع السماوات والأرض تعجز العقول عن الإحاطة بكل حقائقها وأسرارها، رغم كون هذه المخلوقات مسخرة للإنسان، إلا أن النفاذ إلى كنهها يبقى جد محدود، يقول عز وجل: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلاَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4]، ﴿ٱللَّهُ ٱلذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰناً وَجَعَلَ

---

[1] – سورة فاطر، الآية: 41.

[2] – سورة النحل، الآية: 12.

[3] – سورة الرعد، الآية: 2.

[4] – سورة النحل، الآية: 15.

[5] – سورة الجاثية، الآية: 12.

﴿لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [1].

وكل ما ذكر غيض من فيض، فالسماوات والأرض كلها مجال فياض بالغرائب والعجائب، تستوجب الوقوف وقفة إكبار وإجلال أمام هذه القدرة الإلهية العظيمة في خلق الكون بشساعته وضخامته وتناسقه، تفحم العقل وتخشع القلب، وتخضع النفس.

2- خلق الإنسان

تعد معجزة خلق الإنسان وتكوينه أعظم معجزة وأعقدها على الإطلاق، وقد استعرض في آياته تعالى أطوار خلق الإنسان، ابتداء من مرحلة الخلق من طين وانتهاء بمرحلة الموت بشكل عجيب.

يرى الناظر في آيات القرآن الكريم، أن الإنسان لم يكن له أي وجود في بداية خلق الكون: قال تعالى: ﴿هَلَ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [2].

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [3]، فقبل أن يخلق الله بني آدم خلق العرش من الماء، ثم القلم الأعلى واللوح المحفوظ، ثم بعد ذلك خلق السماوات والأرض ليخلق بعدها الإنسان من طين في أحسن صورة، والإنسان هو الآية العظمى في الكون تستدعي التفكر الطويل والتدبر المستديم للوقوف على عظمة القدرة الإلهية في الخلق والتصوير، حيث جعل الإنسان في أعدل وأحسن تقويم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [4]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا

---

[1] – سورة النحل، الآية: 81.

[2] – سورة العصر، الآية: 4.

[3] – سورة مريم، الآية: 68.

[4] – سورة التين، الآية: 4.

غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ٱلذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَّلَكَ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1]، ﴿ٱللَّهُ ٱلذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَٰرَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [2]

وتبين من خلال مجموعة من الآيات أن التكوين الأول للإنسان كان من الطين، يقول عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ انثىٰ وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦ إِلاَّ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [3] . ﴿ٱلذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [4].

وعدد العلماء عناصر التراب فكانت 19 عنصرا منها الصوديوم والبوتاسيوم والحديد والمنجنيز ...، وبأخذ عينة من رفات الإنسان وجد به نفس العناصر الترابية "[5].

ليأتي طور الطين اللازب وسمي بذلك لأن فيه يختلط الطين بالماء فيصبح لزجا، يقول عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [6]، ثم يليها طور الحمأ المسنون وفيها يصف الطين وبصيبه النتن والسواد، يقول عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [7]، ثم يصبح الطين يابسا بحيث يصدر

---

[1] – سورة الانفطار، الآية: 6 – 7 – 8.

[2] – سورة غافر، الآية: 64.

[3] – سورة فاطر، الآية: 12.

[4] – سورة السجدة، الآية: 8.

[5] – آيات الرحمان في خلق الإنسان، صلاح الآجاوي، ص: 20.

[6] – سورة الصافات، الآية: 11.

[7] – سورة الحجر، الآية: 28.

صوتا إذا نقر يسمى بصلصلة وفيه يقول عز وجل: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [1].

وتأتي المرحلة الأخيرة التي ينفخ الله الروح فيه، يقول تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾. [2]

تلكم كانت المراحل (المرحلة اللازبية – المرحلة الحمئية – المرحلة الصلصالية – مرحلة نفخ الروح)، خلق الإنسان في المادة الترابية التي أوردها عز وجل في نصوص القرآن الكريم، وهي بمثابة آيات باهرة يقف المتمعن فيها في دهشة وحيرة وانبهار ليصل إلى حقيقة ثابتة، مفادها أن لا بد من هذا الخلق العظيم من خالق عظيم، لذا نجد عز وجل يدعونا إلى التفكر والتدبر في خلق الإنسان بإلحاح يقول عز وجل: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [3]، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [4]، لإفراده في العبادة والطاعة.

لقد صور القرآن الكريم أطوار بدء خلق الإنسان تصويرا دقيقا في شريط متكامل متناسق، ليعبر إلى تصوير المرحلة الأخرى وهي مرحلة الإيجاد البشري والأشواط التي يقطعها تشكيل الإنسان، يقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[5]،

---

[1] – سورة الرحمان، الآية: 14.

[2] – سورة ص، الآيتان: 71 – 72.

[3] – سورة طارق، آية: 5 – 6 – 7.

[4] – سورة الذاريات، آية: 21.

[5] – سورة المؤمنون، آية: 14.

﴿هُوَٱلذِے يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُں فَيَكُونُ﴾ [1]، فالآيتين توضحا أطوار خلق الإنسان "من النطفة إلى العلقة العالقة بجدار الرحم إلى المضغة التي تتشكل وتتطور ... إلى العظام التي تبنى ثم إلى العضلات تنمو وتكسو العظام .. ثم تمر بأطوار أخرى يشق فيها السمع والبصر.. ويتكون الدماغ والنخاع والأعصاب ويتكون الكبد والرئة والفؤاد.. ويقام هيكل جسم الإنسان بالعظام المختلفة والمقادير والأحجام والأشكال.. مفصلة بمفاصليها.. مرتبطة بأوثارها .. مكسوة بلحمها (عضلاتها) التي تشدها وتحركها" [2]، فالآيتين تصوران خلق الإنسان في المرحلة الموالية طورا طوار، بدء بمرحلة النطفة وهي الحيوان المنوي للرجل وبويضة المرأة، ومرحلة المضغة وهي مرحلة تعلق المشيج، الذي أصبح ككرة صغيرة متعلقة بالرحم لينمو ويتقوت بها، ومرحلة المضغة، ثم مرحلة ظهور العظام، وتشكل العضلات، ليكتمل النمو في المرحلة الأخيرة، ليصير في صورة سوية ومتكاملة. فسبحان الله شملت قدرته كل شيء، وجرت مشيئته في خلقه وتدبيره للأمور يخلق ما يشاء، الذي جعل التناسل بين الذكر والأنثى وسيلة لبقاء النوع الإنساني، وجعل ثمرة هذا التناسل الجنين (الولد) لكي لا يندثر الإنسان ولكي يؤدي مهمة الاستخلاف في الأرض التي خلق من أجلها.

3- خلـــق الإبـــــل

وجه القرآن الكريم العقل إلى النظر والتفكر في خلق الإبل من خلال قوله تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى ٱلإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [3]، وهي دعوة إلى التفكر

---

[1] – سورة غافر، الآيتان: 67 – 68 .

[2] – خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدكتور محمد علي البار، ص: 15.

[3] – سورة الغاشية، الآيتان:17– 20.

في عجائب خلق الإبل التي لا يمكن القول أمامها بأن هذا التصوير المحكم ذو صنعة بشرية، بل من عند الخالق التي لا تضاهي قدرته قدرة أحد.

اختار الله عز وجل هذا الحيوان العجيب عن باقي الحيوانات، وقدم الحديث عنه قبل السماء والأرض والجبال لما يمتاز به الإبل، وما يختص به من صفات ومميزات عن باقي مخلوقات الدنيا، ولو تمعنا في قوله عز وجل: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾[1]. هي دعوة إلى الإبحار في أعماق هذا المخلوق، للوقوف على الأسرار والمعجزات التي يختزلها. وسنحاول أن نبين بعض المميزات التي ينفرد بها الجمل والتي جعلته يتبوأ هذه المكانة العظيمة في القرآن الكريم:

– تغلبه على العطش وارتفاع درجة الحرارة: فالإبل تتحمل ارتفاع درجة الحرارة المفرطة، حيث يمكن أن تفقد ثلث نسبة الماء الموجودة في الجسم، ومع ذلك تبقى حية على عكس باقي المخلوقات، إذ خص الله عز وجل للجمل تجاويف أنفية خاصة تعمل على تبريد الهواء الساخن الداخل إلى الأنف، فيتم تحويل الدم بعد تبريده في تجاويف الأنف إلى خلايا المخ لحمايتها من التأثير الضار للحرارة.[2] إضافة إلى هذا فجسم الجمل ينتج الماء من الشحوم الموجودة في السنام.

– تميز دم الإبل عن باقي الثدييات، إذ أن قدرة الكريات الحمراء الفائقة على البقاء في المحاليل المختلفة التركيز سليمة، إضافة إلى قدرتها على امتصاص الأكسجين، وكذلك قدرتها على امتصاص الماء والانتفاخ بمعدلات كبيرة للغاية[3].

– تميز حليب الإبل عن باقي الحيوانات حيث يمكن " للنوق الحلابة أن تمد الإنسان الذي يعيش في الصحراء بكمية كافية من الغذاء ذي الصفات المرغوبة تحت

---

[1] – سورة الغاشية، الآية: 17.

[2] – الإعجاز العلمي في تمييز الإبل في خلقها عن باقي الحيوانات، حامد عطية محمد، كلية الطب البيطري، ص: 19.

[3] – الخصائص الطبيعية والكيميائية لحليب الإبل، أحمد ممدوح مناع ، ص: 1.

هذه الظروف ... ولما كانت الإبل هي الحيوان الوحيد بجانب الإنسان الذي يعيش في المناطق الصحراوية، فهي تمده بغذائه وشرابه وملبسه في كل حين"[1]، كما يحتوي حليب الإبل على كميات كبيرة من البروتين والفيتامينات الدائبة في الماء، والأملاح المعدنية وغيرها.

– تميزها بعينين مكونتين من طبقتين من الأهذاب، التي تعمل على حفظها وحمايتها من الرمال أثناء هبوب الرياح، ومن غشاء ثالث يغطي العين ليحميها من أشعة الشمس المتوهجة.

– الفم: يتميز فم الجمل بشفتين عريضتين، السفلى منهما مشقوقة تمكنه من تناول الأعشاب والأشواك دون أن تؤديه.

هذه كانت بعض الخصائص التي يتصف بها الجمل ويتميز بها عن باقي المخلوقات وغيرها كثير، وقد نبه إليها الخالق في آيته الصريحة عز وجل للاستدلال على حقيقة ألوهيته، وحقيقة قدرته وعلمه وحكمته في هذا الكون.

4– ضرب المثل بالبعوضة

من عجائب القرآن الكريم أن الآيات تأتي في مقام ضرب المثل للاعتبار والاتعاظ، ولتأكيد كل ما توصل إليه العلم التجريبي، لأنه هو الخالق الذي أبدع وصور هذا الكون بعلمه وحكمته وهو أدرى بأسرار وأعماق خلقه من أي مخلوق.

ومن الإشارات الكونية الربانية التي تدهش المتأمل في آياته وتحير عقله هو ضرب المثل بالبعوضة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِۦٓ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيراً وَيَهْدِے بِهِۦ**

[1] – الخصائص الطبيعية والكيميائية لحليب الإبل، أحمد ممدوح مناع ، ص: 1.

كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلاَّ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [1]، حيث يبدو من الوهلة الأولى أن هذا المخلوق ليس إلا حشرة بسيطة لا تستحق عناء التفكر والتبصر في أمرها، لكن ما أن تكتشف حقائقه وأسرار مكونات جسمه الجد معقدة يصاب الإنسان بالدهشة والذهول من روعة التصوير الإلهي، فرغم صغر حجمه إلا أنه عظيم في خلقه، ومبهر للناظر إلى عجائب هذا المخلوق الصغير الذي ينتمي إلى صنف الحشرات.

إن المتأمل في تكوين البعوضة المحكم والمتقن والمعقد، يدرك مدى قدرته سبحانه وتعالى وعظمته وحكمته في الخلق، والسبب في ضربه المثل بها دون استحياء، هو لما تكتنزه من حقائق تذهل الألباب، فقد وضعت البعوضة تحت مجهر إلكتروني، يكبر الحجم أربع مئة ألف مرة، فإذا برأسها مئة عين، وزن البعوضة واحد على ألف غرام، في فمها ثمانية وأربعون سنا، في صدرها قلوب ثلاثة: قلب مركزي، وقلب لكل جناح وفي كل قلب أذنان وبطينان ودسمان، وتملك البعوضة جهازا لا تملكه الطائرات، تملك جهاز استقبال حراري، هي ترى الأشياء لا بألوانها ولا بأشكالها ولا بأحجامها، ولكن ترى الأشياء بحرارتها فقط، تملك جهاز التحليل تملك جهاز التخذير وجهاز تمييع. أما خرطومها فيه ست سكاكين، أربع سكاكين لإحداث جرح مربع، وسكينان تلتئمان على شكل أنبوب امتصاص الدم، وفي أرجل البعوضة مخالب إذا وقفت على سطح خشن، ومحاجم إذا وقفت على سطح أملس. ومع تطور العلم الحديث وكاميرات التصوير تمكن الباحثون من اكتشاف حشرات صغيرة جدا تعيش وتتغذى على ظهر البعوضة ولا ترى بالعين المجردة، وهذا ما أخبرتنا به الآية الكريمة :(**بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**) أي أن هذه الحشرات تعيش على ظهر الأنثى وليس الذكر لهذا جاءت هذه الحشرة بصيغة المؤنث.

---

[1] – سورة البقرة، الآية: 26.

وتحصيل الحاصل من خلال هذه الحقائق والمعلومات التي تتميز بها البعوضة، التي خلقت وهي مزودة بتقنيات وأدوات عالية الإتقان، يتبين أنها تستحق الذكر في القرآن الكريم، فخالقها عالم بأسرارها وعجائبها المذهلة التي تحتويها. وأمام هذا الخلق العجيب لزم الوقوف وقفة تفكر وتأمل، فهي حشرة رغم صغر حجمها وتفاهتها عند الناس، شديدة التعقيد، دقيقة الصنعة تشهد وتقر بعظمة الخالق عز وجل في الخلق والصنع والإبداع، فسبحان الله بديع السماوات والأرض الذي خلق فسوى وقدر فهدى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

المطلب الثاني: القضايا العليا(المعجزات)

القرآن الكريم هو معجزة الله العظمى، ودستور الأمة الشامل، قائم على ركائز الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، يحوي معجزات خارقة للقوانين الكونية المعتادة والنواميس الكونية الثابتة، أفحمت عقول الملحدين والمشركين، وأعجزتهم عن معارضته والتكذيب به.

والمعجزة هي البرهان والدليل الذي يمكن أن يثبت صدق رسالة الأنبياء، ويقنع العقل بتصديق دعواهم لأن "المعجزة في حقيقة أمرها رسالة إلى العقل الإنساني، لأنها عندما يقبلها العقل يقبل دلالتها على الفور على صدق الرسول، ومن ثم تثبت نبوة النبي أو رسالة الرسول بعد قبول العقل لها، واقتناعه بها"[1].

وارتبطت المعجزة بالتحدي وإقامة الحجة والدليل على المعارضين، وهي تفوق القدرات العقلية للإنسان لأنها "أمر خارق للسنة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الكون ولا تخضع للأسباب والمسببات، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها عن طريق الجهد الشخصي الذاتي، وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى يختار نوعها وزمانها ليبرهن

[1] – معجزات الأنبياء والمرسلين، إعداد: سيد مبارك، ص: 6.

بها على صدق رسول الله الذي أكرمه بالرسالة".[1]

وتبقى مهمة العقل في قضية المعجزات هو التفكر والنظر فيها ومحاولة فهمها وتحليلها للنفاذ إلى أعماقها وكنائزها "فالإسلام دين المعجزات التي يراها العقل حيثما نظر، وليس بدين المعجزات التي تكف العقل عن الرؤية وتضطره بالإفحام القاهر إلى التسليم"،[2] من أجل الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق عز وجل بتطوير قدرات العقل على التفكر والتفسير والتحليل في قضايا المعجزات، التي لا محالة ستسهم في بناء عقل مؤمن موقن بما أنزله الخالق عز وجل على نبيه، بعيدا عن الغرور والتعنت والجمود، الذي ينهك قوى العقل، ويهد طاقاته في أمور تزيد من تدني قيمته وسقوطه في المطبات والمبهمات، ولا يمكن أن توصله إلى صورة كاملة عن الحياة والواقع والكون وطبيعته.

إن القرآن الكريم طرح مسألة المعجزات لقوتها في توجيه العقل والتأثير عليه، بإخلاص العبادة لله عز وجل، وتحرير الفكر والعقل من ترسبات الجاهلية وإصلاحه إصلاحا يشمل كل جوانب علاقاته مع الله والذات والمجتمع.

والمعجزات لها شأن في الرقي بالعقل، وتثبيته على الحق، وحثه على التفكر لتطوير نظرته التفسيرية لهذه المعجزات، والقدرة على الربط بين الأسباب والمسببات، وهي وسيلة جد مؤثرة لإقامة الحجة على العقل وإقناعه بصدق رسالة الخالق عز وجل.

وما تتميز به المعجزة وخاصة معجزات الأنبياء بأنها تتوافق مع طبيعة الناس وطريقة تفكيرهم، ومستوى إدراكاتهم واستيعابهم للأشياء، يقول مصطفى مسلم: "باستعراض معجزات الأنبياء السابقين، ومعجزات خاتمهم عليه السلام أجمعين نلاحظ

---

[1] – مباحث في إعجاز القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ص: 15.

[2] – التفكير فريضة إسلامية، محمود العقاد، ص: 74.

أن المعجزة تختار من بيئة القوم الذين يرسل الرسول إليهم، ومن نوع المشهور في عصرهم مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيهم الحضاري، لتكون الحجة أقوى".[1]

1- معجزة نوح عليه السلام

واقتضت الحكمة الإلهية في تبليغ الرسالة الرسل والمعجزات كآيات ودلائل للعقل، على مصداقية الوحي وإقامة الحجة عليه. وهذا يظهر جليا في معجزة نوح عليه السلام الذي دعا قومه إلى الإيمان بالله وتوحيده، إلا أنهم أصروا على كفرهم وضلالهم وطغيانهم يقول تعالى: ﴿فَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلاَّ فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوۤاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِيۤ ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَاراً ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّيۤ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰراً مَّالَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾[2]، فقد قضى سيدنا نوح عمرا طويلا وهو يدعو قومه إلى تصديق رسالته الإلهية، لكن عقولهم المتحجرة منعتهم من ذلك إلا قليل منهم من آمن وصدق نوحا عليه السلام. ولما أصابه اليأس من قومه، وأوحى الله تعالى له أنه لن يؤمن معه إلا قليل، دعا نوح ربه بهلاك وتدمير قومه، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلاَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوۤاْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾[3]. فاستجاب الله لدعائه، فأمره بصناعة سفينة لكي ينجو بها هو

---

[1] – مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 24.

[2] – سورة نوح، الآيتان: 5-14.

[3] – سورة نوح، الآية: 26-27.

ومن آمن به، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.[1]

"فتقدم إليه بأمره العظيم العالي أنه إذا جاء أمره وحل بيأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه الروح من المخلوقات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله أي أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم أي إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول اليأس الذي لا يرد وأمر أنه لا فيهم إلا حل بهم ما يعانيه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعال لما يريد"[2]، فلما جاء أمر الله تعالى فار التنور، الذي يكون عادة فرنا لخروج النار، لكن هذه المرة فار منه الماء، فأمطرت السماء بغزارة، وخرجت المياه من كل مكان، فأمر الله نوحا بركوب السفينة هو ومن آمن معه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَٰرَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [3]، ويقول أيضا: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾"[4].

إن معجزة نوح عليه السلام بمثابة توجيه للعقل وإرشاده لما فيه خير وصلاح له

---

[1] – سورة المؤمنون، الآيتان: 26–27.

[2] – معجزات الأنبياء والمرسلين، سيد مبارك، ص: 15.

[3] – سورة الشعراء، الآيتان: 28 –29.

[4] – سورة القمر، الآيتان: 10–13.

في الدين والدنيا، ودعوة إلى الإيمان بالله وطاعته وتصديق رسله، كما أنها حجة للعقل على قدرة الله عز وجل على صنع المعجزات، والأمور الخارقة لتأييد دعوى رسله، وعلى قدرته على إلحاق الهلاك والعقاب بكل من أعرض عن الإيمان به.

واشتملت المعجزة على خصال وقيم يمكن أن يهتدي بها العقل ويتحلى بها، كقيمة الصبر التي جسدها نوح عليه السلام بتحمله طغيان وتمرد واستهزاء قومه له لمدة طويلة قدرت بألف سنة، وقيمة الحكمة التي نهجها نوح عليه السلام في الدعوة إلى توحيد الله عز وجل بالترغيب أحيانا وبالترهيب أحيانا أخرى، وقيمة الدعاء إلى الله الذي لجأ إليه نوح عليه السلام عندما احتل اليأس قلبه من عدم تصديق قومه الوحي.

2-معجزة موسى عليه السلام

إضافة إلى معجزة نوح، هناك كوكبة من معجزات الأنبياء العظيمة تقتضي التفكر والتأمل لبيان عجائب قدرته سبحانه وتعالى التي استعرضها القرآن الكريم بالتفصيل ومنها معجزة سيدنا موسى عليه السلام، وهو من أعظم المرسلين وأولي العزم من الرسل، الذي خلد الله تعالى ذكره في أكثر من سبعين موضع في الكتاب، وقد أخذت هذه القصة مساحة شاسعة في القرآن الكريم لمعانيها العظيمة وعبرها الرفيعة. إذ تتميز بتنوع مشاهدها، وكثرة معجزاتها، فقد ولد موسى وسط قوم يملأ الرعب أجواءهم بسبب جبروت فرعون الذي يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، ويقهر رجالهم، حفاظا على سلطان ملكه، وتبدأ معجزة موسى بنجاته من قبضة فرعون وهو رضيع، يقول تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنَ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ [1] ، فقد كان اليم بأمر من الله الملجأ الآمن الذي احتضن موسى وهو

[1] – سورة القصص، الآية: 7.

رضيع لكي لا تصيبه أيادي فرعون، وتتوالى الأحداث حتى تلتقطه زوجة فرعون حيث قذف الله محبته في قلبها، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1]، وبقدرة قادر يربى على فراشه ومائدته، ورفض موسى جميع المرضعات اللواتي عرضن عليه، لتقترح أخت موسى مرضعة فجاءت بأمه، يقول تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ولما أصبح نبيا ودخل إلى فرعون أظهر له الآيات، وأقام عليه الحجج والأدلة لكن فرعون أبى واستكبر وتمادى في جبروته لتتوالى المعجزات على موسى عليه السلام لإقناع فرعون ومن أهمها معجزة العصا التي تتحول إلى أفعى، يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.[3]

وقد جاءت معجزة العصا كرد على السحر الذي كان منتشرا في قوم فرعون، حيث اِلتهمت حبائلهم التي يتباهون بها أمام موسى، فولوا منهزمين أمام هذا الأمر الخارق. ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4]، ومعجزة الطوفان الذي أرسله الله على فرعون لهلاكه بعد ما كفر وطغى رغم إثبات موسى صدق رسالته بالمعجزات، فسلط عليهم مياه النيل تغمرهم، وابتلاهم بالقمل والجراد

---

[1] – سورة القصص، الآية: 9.

[2] – سورة القصص، الآية: 13.

[3] – سورة الأعراف، الآية: 107–108.

[4] – سورة النمل، الآية: 12.

والضفادع جزاء لهم بما كفروا وتجبروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (1).

ومعجزة انشقاق البحر حين طارد فرعون موسى عليه السلام لقتله، فأمره الله عز وجل أن يضرب بعصاه البحر، فانشق البحر ليعبر موسى وينجو من طغيان فرعون، ثم تبعه فرعون ورجاله وإذا بالبحر يبتلعهم، يقول عز وجل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (2).

وعموما اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه المعجزات العظيمة قرينة لموسى تبرهن على صدق دعوته، وتخاطب العقل بطابعها المادي الحسي الملموس لترتقي به إلى أفق أرقى وتنيره وتهتدي به إلى الطريق المستقيم، كما ترشده إلى التفكر والتدبر في معجزات الأنبياء، وأمورهم الخارقة للنواميس الكونية، والسنن الطبيعية، والمخالفة للمنطق والعقل، التي جاءت لإقناع العقل بوحدانية الخالق عز وجل في الخلق وصدق رسالته، وللدعوة إلى الاتعاظ وأخذ العبرة من أحداث ووقائع، ومصائر الأمم السابقة الذين كفروا وتجبروا وصدوا الأنبياء وحاربوهم. ولعل معجزات موسى عليه السلام خير نموذج "إن ما يفسر فلق البحر لموسى عليه السلام بالمد والجزر، والطير الأبابيل بجراثيم الطاعون أو الأمراض المعدية الوبائية.... وغير ذلك من الخوارق، إن هؤلاء يسيئون إلى قضية الإيمان بالغيب، وبخالق الكون ويرسل الله المصطفين، وكذلك

[1] – سورة الأعراف، الآية: 133.

[2] – سورة الشعراء، الآية: 63.

يسيئون إلى تفكيرهم وإيمانهم وعقيدتهم، وإلا فما المانع عقلا من وقوع المعجزات على يد أناس لهم صلة بالله ذي القرة غير المحدودة؟ أناس اصطفاهم الله سبحانه وتعالى للقيام بدور السفارة بينه وبين خلقه، لتبليغهم أحكام دينه الحنيف وشرعه القويم، وقد أيدهم بكل ما يسهل عليهم مهمتهم من الحجج والبراهين ويظهرهم على خصومهم المعاندين." [1]

ويمكن القول إن المعجزات أقوى وسيلة جعلها الله لإقناع عقل الإنسان بصدق الوحي، ولهدايته إلى طريق القويم، كما أنها سلاح قوي لإقامة الحجة على المعرضين والمشككين عن ما نزل على الأنبياء، التي من شأنها أن ترجعهم إلى الله عز وجل، وتزيد الإيمان عند الناس في كل العصور والمصور، ومن عظمة المعجزات أنها تتوافق ومعطيات الواقع والأحداث، لتكون حجة أقوى وبرهانا أعظم، يمكن أن تصيب المعرضين بالدهشة والذهول والإسراع إلى الإعلان عن التوبة والرجوع إلى الله.

المطلب الثالث: القضايا الأسلوبية

تميز القرآن الكريم بأسلوبه الفريد، وفصاحته الباهرة، وبلاغته المعجزة ونظمه القوي وخصائصه التي انفرد بها عن باقي الكتب السماوية، بحكمة اقتضتها الإدارة الإلهية التي جعلت القرآن كاملا متكاملا في جميع الجوانب والأصعدة.

إن النص القرآني نسج بأسلوب أفحم فحول الشعراء والأدباء، وحير العقول والألباب، "فإذا استعرضنا آيات القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس على تعريف الفصاحة والبلاغة، وشروط الألفاظ الفصيحة والكلام البليغ، لوجدنا كل آية قد تحققت فيها الفصاحة والبلاغة في أبهى صورهما، ولوجدنا أن معاني

[1] – مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 19.

الكلمات تنساب إلى القلب قبل أن تبهرنا الألفاظ بجمالها الساحر، سواء في ذلك السور والآيات التي تلفت أنظارنا إلى الآفاق لنستدل على الصانع من لوحة إبداعه الرائعة، والآيات المتعلقة بمبدأ البعث والنشور والموقف والحساب أو ما يتعلق منها بتنظيم شؤون الحاكم مع رعيته، أو الأسرة وحقوق أفرادها، وغيرها من الأمور التي تولى القرآن الكريم الحديث عنها، كل تلك الآيات عليها الصبغة الزاهية من البيان الرائع والجمال اللفظي، في أبسط أسلوب وأوضحه وأقربه إلى الفهم والقلب"[1].

كما تميز القرآن الكريم بأسلوب خطاب يتوافق ومقتضيات الواقع والأحداث، حيث إن المجتمع في تحوله من حال إلى حال، قد مر بدرجات عديدة يحتاج كل منها إلى أسلوب خاص في مخاطبته، والقرآن الكريم يتابع هذه التحولات والتغيرات في المجتمع ويخاطب كل حالة بما يناسبها، فحين كان الكفر هو السائد بينهم مالت الآيات إلى قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، والواقع الحاد بما يصخ الآذان ويشتد قرعه على الأسماع، ويصعق القلوب ليوائم جو الردع والزجر والتقريع للمخاطبين...، وحين ساد الإيمان وأقبلت القلوب على القرآن الكريم، طالت المقاطع والآيات، واسترسلت في البيان المتأني والوقع الهادئ بما يريح الأذان ويجذب القلوب ليوائم جو المحبة والاتباع والانقياد.[2]

لهذا كان أسلوب القرآن الكريم يتغير حسب تغير القوم وتفكيره ودرجة وعيهم ومعرفتهم للأشياء وإدراكاتهم للمعاني.

وما يزيد النص القرآني سموا ذلك النظم المحكم، ويقصد به طريقة تأليف حروفه وكلماته وجمله، إذ يمكن أن تستشعر روعة نظمه من خلال جملة واحدة

---

[1] – مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 127–128.

[2] – خصائص القرآن الكريم، فهد بن سلمان الرومي، ص: 18–19.

"فالمتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئا خارجا عن المألوف المتداول في لغة العرب قديما وحديثا، ولكن عندما نتلو آيات الله نشعر أن العبارة القرآنية كيانا خاصا بنى عليه تراكيبه ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد "[1].

وهذا النظم البديع المبهر الذي أدهش العرب بحسن تماسك كلماته واتساق تراكيبه، راجع إلى عنايته عز وجل وإحاطته بكل ما يخص هذا الكتاب بالعلم، فالله أحاط بكل شيء علما. وحصول النظم القرآني على هذا الإتقان والإحكام إنما يعود إلى أن الله أحاط بالكلمات والمفردات والجمل علما، لهذا نجد النص القرآني تميز بالحدة والطراوة والإبداع والشمولية والدقة والانسجام، فقد انفرد دون غيره ببلاغة معانيه وفصاحة ألفاظه، كما تميز أسلوبه بالعذوبة، والجزالة والسهولة، وحسن السبك والنظم والتركيب، كل هذه المميزات جعلت القرآن العظيم نقطة انطلاق الدراسات صوتا وصرفا ونحوا وبلاغة، هذه الأخيرة كانت ميدان تسابق وتجاذب بين المفسرين والأصوليين والبلاغيين والنقاد والأدباء والشعراء، خصوصا وأن بلاغة القرآن الكريم، تتعدد وجوهها قراءة وفهما وتفسيرا وتذوقا واستنباطا للأحكام، مما أكسبها طابع الفرادة والتميز، وجعل الدارس منها مصدر إعجاز، فتضاربت الآراء والمذاهب في فهم هذا الإعجاز فتوالت المصنفات باحثة في دلائل الإعجاز.

[1] – مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: 141.

خاتمة:

من خلال دراسة مفهوم العقل أمكننا الخروج بجملة من النتائج نوردها كما يلي:

- ✓ تكمن أهمية العقل في كونه ملكة كرم الله الإنسان وميزه بها عن باقي المخلوقات، وجعلها مناط التكليف، وبها استحق أن يكون خليفة على هذه الأرض.
- ✓ العقل هو قوة موجودة في الكيان الإنساني، تمكنه من القيام بمجموعة من العمليات كالفهم والإدراك والتفكر والتدبر.
- ✓ ورود لفظ العقل بصيغة الفعل فقط (يعقلون، تعقلون، عقلها، يعقلها، عقلوه) في تسعة وأربعين موضعا، في حين وردت مرادفات العقل بالصيغ الاسمية مثل: الحجر والنهى والألباب والحلم.
- ✓ دعوة القرآن الكريم إلى استخدام العقل لإدراك وفهم ما جاء به الوحي والعمل بمقتضياته، وتنزيله إلى الواقع الملموس.
- ✓ بناء العقل المسلم أصبح ضرورة ملحة لتفادي الانحطاط الأخلاقي، والانحراف الفكري والسقوط الحضاري الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية.
- ✓ إعادة تشكيل العقل المسلم أصبح أمرا مطلوبا لأهميته في صنع الإنسان، وبناء الأمة، ولأثره ووقعه على تنمية كل جوانب الحياة الفكرية، والعلمية، والاقتصادية، والسياسية.
- ✓ تغيير وضعية المجتمعات الإسلامية رهين بإعمال العقل والنظر والتفكير في صيغ جديدة، لنهوض الأمة الإسلامية من الركود والجمود الذي رافقها لعصور عدة.
- ✓ الوحي موجه إلى العقل، لكونه يقوم على الحجج والأدلة والبراهين والتحدي.

- ✓ إيمان الإنسان رهين بمدى اقتناع عقله بما أنزل الله على رسوله من أحكام وشرائع وأوامر ونواهي وقصص ومواعظ وغير ذلك، واحتكامه إليها.
- ✓ تربية عقول الناشئة على التفكير السليم المسند إلى الدين الإسلامي، المنضبط لأحكامه والابتعاد عن كل ما يمكن أن يفسد عقله من تقاليد الأسلاف، واعتقادات الكهنة والمشعودين، والخمر والمخدرات، وتقويم اعوجاجاته، وتصويب سلوكه، لأن السلوك والفعل نابع من العقل ومتأثر به.
- ✓ تنمية القدرات العقلية بالعلم والنظر والتأمل في آيات الله ومعجزاته.
- ✓ إقرار القرآن الكريم بدور العقل في الاستدلال والاجتهاد والتجديد وتحصيل العلم.
- ✓ كون النص القرآني موجها أساسا إلى العقل من خلال إيراد الأمثال والقصص وأساليب الحوار، والمعجزات، والقضايا الكونية والأسلوبية لاستثارته وإقناعه، وتوصيل العبر والمواعظ إليه.
- ✓ العقل غير مكتف بذاته، إذ يظل تابعا للوحي في ممارسة مهامه وصلاحياته، وفقا للخريطة التي رسمها له الوحي والحدود التي ألزمه إياها.

لائحة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المعاجم:

1. أساس البلاغة، أحمد الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،- بيروت لبنان-، الطبعة الأولى،1419 ه-1998م.
2. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي الحنفي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.لبنان، 1994.
3. تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصر إسماعيل ابن حماد الجوهري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
4. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي-طهران،1393 هـ.
5. التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، الطبعة الثالثة، 1990م.
6. قائمة معجمية لألفاظ القران الكريم ودرجات تكرارها، محمد حسين أبو فتوح، مكتبة لبنان، الطبعة، 1990م.
7. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، السعدي أبو جيب، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1988م.
8. القاموس المحيط، فيروز آبادي، دار الرشاد الحديثة، دار الفكر بيروت، 1983م.
9. كتاب العين الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. (د. ط) (د. ت).

10. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.
11. الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت– الطبعة الأولى، 1992م.
12. لسان العرب، ابن منظور الإفريقي المصري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1990.
13. المخصص، ابن سيدة، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان. (د.ط)، (د. ت).
14. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، دار الفكر للطباعة والنشر. (د.ط)، (د. ت).
15. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم، حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م.
16. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، الاتحاد الأممي للمجامع العلمية، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، مطبعة بريل في مدينة لندن 1962م.
17. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة 2001م.
18. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة، 2008.
19. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. (د.ط)، (د. ت).
20. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكرياء، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، 1991.

الكتب :

21. آيات الرحمان في خلق الإنسان، صلاح الأجاوي، مؤسسة الرحمان الحديثة، بيروت لبنان، الطبعة الاولى2011م.

22. الإتقان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، تحقيق أحمد ابن علي، دار الحديث القاهرة، 2006م.

23. أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، عبد القدوس بن أسامة السمرائي، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، الإمارات العربية المتحدة، دبي. (د.ط)، (د. ت).

24. الأحكام الشرعية الصغرى الصحيحة، الحافظ محمد عبد الحق الإشبيلي، تحقيق بن أحمد الهليس، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، مكتبة العلم بجدة، 1993م.

25. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، 1419 هـ.

26. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية، الطبعة السادسة، 1304هـ.

27. أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أبو سليمان، (غير مفهرس).

28. أسباب النزول، جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1466هـ- 2002م.

29. أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثالثة 2007م.

30. الإسلام كما هو، عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، الطبعة الأولى 2009م.

31. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ.
32. الأصول الثلاثة، محمد ابن عبد الوهاب، للإمام محمد ابن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة 10، 1420 هـ.
33. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس. الطبعة 2 ، 1985 م .
34. أضواء البيان في إيضاح القرآن الكريم، محمد الشنقيطي، اشراف: بكر عبد الله أبو زيد، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد، (د.ط)، (د. ت).
35. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت. (د.ط)، (د. ت).
36. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عبد الله محمد ابن علي ابن عمر المزري، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنا، الطبعة الأولى، 1991م.
37. أمثال القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.
38. الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم الجوزية، تحقيق سعيد محمد، نصر الخطيب، دار المعرفة، للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ،1981م.
39. أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجينيا– الولايات المتحدة الأمريكية،"1401هـ–1981م.

40. أهمية القرآن في حياة المسلم، وصفي عاشور أبو زيد، شبكة الألوكة، (د.ط)، (د. ت).
41. البحر المحيط، أبي الحيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1972م.
42. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث. الطبعة الأولى ، 1957 م.
43. بصائر ذوي التمييز في الكتاب العزيز، فيروز آبادي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثالثة.1416هـ – 1996م.
44. تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 2008م.
45. التبيان في علوم القران، محمد علي الصابوني، طهران، دار الإحسان، الطبعة الثالثة، 2003م.
46. التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان. (د.ط)، (د. ت).
47. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد ابن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1983م.
48. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مؤسسة الخلود، مركز الكتاب العلمي القاهرة، دار بن الحزم، لبنان–بيروت، الطبعة الأولى، 1420ه–2000م.
49. التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، الطبعة السادسة، يناير 2007م.
50. التقوى تعريفها وفضلها ومحذوراتها، عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1433هـ –2012م.

51. التقوى في القرآن الكريم، دراسة في التفسير الموضوعي، محمد الدبيسي، دار الكتب المصرية، دار المحدثين–القاهرة، الطبعة الأولى، 1427ه–2008.

52. تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: خضربنها، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى 2008م.

53. التوشيح على الجامع الصحيح، الحافظ جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، تحقيق إبراهيم الأزهري، منشورات علي بضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 2000م.

54. تيسير الكريم الرحمان في تفسير المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تقديم: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، محمد صالح العثيمن، تحقيق: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكات، الرياض، الطبعة الأولى 1422هـ–2001م.

55. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد محسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1422ه–2001م.

56. الجامع الصحيح، سنن الترميذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية 1978م/ 1398ه.

57. جامع بيان العلم وفضله ، الحافظ ابن عبد البر، تحقيق أبو الأشبال الزاهيري، دار النشر ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

58. جامع القرآن الكريم حفظا وكتابة، علي ابن سلمان العبيد، جامعة محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض. (د.ط)، (د. ت).
59. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد محسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1427ه-2006م .
60. الحدود والقصاص بين الشريعة والقانون، محمد عارف مصطفى فهمي، مكتبة الأنجلو المصرية،-مصر- الطبعة الثانية، 1989م.
61. حقيقة القلوب في القرآن الكريم، عادل العلوي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، المؤسسة الإسلامية للإرشاد والتبليغ، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ -2003م.
62. خصائص القرآن الكريم، فهد ابن عبد الرحمان، كلية المعلمين الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة التاسعة 1417هـ-1997م.
63. خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، عبد الجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1987م.
64. خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدكتور محمد علي البار، جميع الحقوق محفوظة، ط 4، 1403ه-1983م
65. درء التعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام، الرياض، الطبعة الأولى 1400ه.
66. دراسات في علم المصطلح الحديث، الدكتور إدريس الخرشافي، الطبعة الأولى، (د.ت).
67. دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، توفيق محمد عز الدين، دار السلام، مصر الطبعة الثانية، 1418ه-1981م.

68. الدين الخالص، محمد صديق حسن البخاري، تصحيح وضبط وإخراج الآيات محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
69. ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، الطبعة الأولى، 1988م.
70. الذريعة الى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1981م.
71. روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت–لبنان. (د.ط)، (د. ت).
72. السنة النبوية رؤية تربوية، كلية التربية، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ– 2003م.
73. سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية، الدكتور عبد القادر فتحي علوش الحمداني، دار الكتب العلمية –بيروت لبنان–،(د.ط)، (د. ت).
74. شرح النووي، أبو زكرياء يحيى ابن شرف، تحقيق عصام الصبابطين دار الحديث، القاهرة، 1994م.
75. شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،1998م.
76. الصبر في القرآن الكريم وأساليبه، جمانة فاضل الزين، دار أبي الأرقم، بيروت لبنان.
77. صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري الجعفي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى، 1417هـ–1997م.

78. صحيح مسلم ، أبي الحسين مسلم الحجاج القشيري النسابوري، دار المغني للنشر والتوزيع، دار ابن الحزم، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، 1998م.
79. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، (د.ت).
80. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي الذخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى 1408ه.
81. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، –بيروت لبنان –دار ابن الكثير، مكتبة دار الثراث –مكة المكرمة– الطبعة الثالثة 1409ه– 1989م.
82. العقلمانية والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، إدريس الخرشاف، سلسلة شرفات العدد 88، مطبعة ازناسن سلا– المغرب ، ماي 2017.
83. عمدة القارئ، بدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998م.
84. العمل الديني وتجديد العقل، الدكتور طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1997م.
85. الغضب في القرآن الكريم، عودة عبد الله، موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن– كرسي القرآن الكريم وعلومه–، المملكة العربية السعودية. (د.ط)، (د. ت).
86. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمدا بن علي ابن حجر العسقلاني، دار ريان للتراث القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.

87. فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث العربي أحمد محمد عبد الرزاق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1416هـ - 1995م.

88. فوائد الذكر وثمراته، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار الفضيلة، سلسلة رسائل الفضيلة. (د.ط)، (د. ت).

89. في ظلال القرآن، السيد قطب، دار الشروق بيروت، الطبعة الأولى ، 1972 م.

90. القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو- برانت، الليدو- فاس 2002م.

91. القصة في القرآن الكريم، مريم عبد القادر، عبد الله السباعي، جامعة أم القرى، 1404 هـ.

92. القصص القرآني – عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح عبد الفتاح، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (141ه/ 1988م.

93. القلوب في القرآن الكريم صفاتها وعلاج أمراضها، إدريس علي الطيب، جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، الخرطوم، 2010م.

94. كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، دار الشروق، شارع سيبويه، الطبعة الثامنة، 2011م.

95. مباحث في إعجاز القرآن الكريم، مصطفى مسلم، دار المسلم الرياض- الطبعة الثانية، 1416 هـ / 1996 م.

96. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة،-القاهرة-. (د.ط)، (د. ت).

97. مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمان ابن قاسم، مجمع الملك فهد، الطباعة المصحف بالمدينة، 1416م.

98. مدخل القيم إطار لدراسة العلاقات الدولية في الإسلام، سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الزمالك القاهرة، 1999.
99. مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، عبد الرحمان بن زيد الزبيدي، تقديم عمر بن عبد الله بن عودة الخطيب، مكتبة الرشد، (د.ط)، (د. ت).
100. المصطلح، خيار لغوي وسمة حضارية، للدكتور سعيد بشار، كتاب الأمة، السنة العشرون، العدد 78، أكتوبر 2000م.
101. المصطلح النقدي، للدكتور عبد السلام المسدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع- تونس طبعة 1994م.
102. المصنف، عبد الله بن أبي شيبة، تحقيق حمدين عبد الله الجمعة، محمد ابن إبراهيم اللحيدان، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م.
103. معارج القدس في معرفة مدارج النفس، أبو حامد الغزالي، مطبعة الميناء العراقي، (د.ط)، (د. ت).
104. معالم المنهج الإسلامي، محمد عمارة، دار الشروق وهيرندن-فيرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411ه-1991م.
105. معترك الأقران في في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي، دار الفكر العربي، تحقيق علي محمد اليحاوي، (د.ط)، (د. ت).
106. معجزات الأنبياء والمرسلين، إعداد: سيد مبارك، الناشر: المكتبة المحمودية ، القاهرة، ميدان الأزهر، حقوق الطبع محفوظة للناشر، دار البيان للطباعة، 1738 – 2004.

107. معلمة الإسلام، أنور الجندي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1410هـ-1987م.
108. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1401هـ-1981م.
109. المفاهيم المفتاحية لنظريات المعرفة في القرآن الكريم، عبد الكريم بليل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، 2015م.
110. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، منشور ولاية العلم والإرادة، دار بن الحزم. (د.ط)، (د. ت).
111. المفهم لما أشكل في تلخيص صحيح مسلم، أبي العباس الأنصاري القرطبي، بخط الرحالة ابن بطوطة، المدرسة العزيزية، تقديم تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، الرباط -المغرب-، 1426هـ/ 2005م.
112. مفهوم الآية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، امحمّد الينبوعي، دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع والترجمة، مؤسسة بحوث والدراسات العلمية مبدع، فاس، الطبعة الأولى، 1435هـ-2014م.
113. مفهوم التأويل في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف للدكتورة فريدة زمرد، مطبعة أنفو برانت-الطبعة الأولى، فاس 2001م.
114. مفهوم التقوى في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، محمد البوزي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مؤسسة البحوث

والدراسات العلمية (مبدع) فاس، الطبعة الأولى 1432هـ - 2011م.

115. مفهوم الجهل والجاهلية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، دراسة مصطلحية موضوعية، للدكتور محمد الينبعي، إشراف: الدكتور الشاهد البوشيخي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الأولى ، 2013 م.

116. مفهوم الهدى في القرآن الكريم دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي، الحبيب مغراوي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى، 2011 م.

117. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.

118. موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى والتمائم والكهنة والرقى، يوسف القرضاوي، مكتبة وهيبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415ه-1993م.

119. نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو-برانت، الليدو- فاس 2002م.

120. نظرات في المصطلح والمنهج، الدكتور الشاهد البوشيخي، مطبعة أنفو-برانت، الليدو- فاس طبعة الثانية 2003م.

121. نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح عبد الحميد الكروي، مكتبة المؤيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض. (د.ط)، (د. ت).

122. نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، أحمد محمد حسين الدغثي، دار الفكر دمشق. الطبعة الثانية 1425 هـ - 2002 م.

123. النفس الإنسانية في سويتها وانحرافها بين القرآن الكريم وعلم النفس الحديث، محمد أبو شنب، دراسة تربوية مقارنة، جامعة القرى، معهد اللغة العربية. (د.ط)، (د. ت).
124. هذا القرآن، عبد الحي العمراني، صندوق إحياء التراث الإسلامي بين المملكة المغربية و الإمارات العربية المتحدة، 1983م.
125. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستور، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، 1998م.

الأطاريح الجامعية :

126. ألفاظ الهداية والضلال في القرآن الكريم في ضوء تفسيري للقرطبي والشعراوي، (دراسة نحوية، صرفية، دلالية)، سائد الفايز محمود جرار إشراف: أحمد حسن حامد، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، نوقشت سنة 1435هـ/ 2014 م.
127. الأمثال القرآنية، دراسة لغوية (رسالة) جمال الدين ماينغ جنغ، إشراف الدكتور حسين أحمد كتانة، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية، نوقشت سنة 2005 م.
128. التقوى في القرآن الكريم، نبيل محمد أحمد زهور، إشراف الدكتور محسن سميح الخالدي، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية نابلس – فلسطين، نوقشت سنة 2008م.
129. لفظ القرآن الكريم، دراسة موضوعية، إعداد: جملات عبد محمود أبو ناصر، إشراف الدكتور: رياض محمود جابر قاسم،كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، السنة الجامعية: 1432 هـ – 2011 م.

130. المختار من شعر ابن دانيال، صنعة: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق محمد نايف الدليمي، مكتبة سباح الموصل، 1979م.
131. المصطلح القرآني – التدبر أنموذجا–، إيمان بو غانم وفضيلة قراد، إشراف الأستاذ: الدكتور: صالح غريبي، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجمهورية الجزائرية الشعبية، السنة الجامعية: 2016–2017م.
132. مفهوم العلم في القرآن الكريم، الدكتور: مصطفى فوضيل – دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي–، إشراف الدكتور: الشاهد البوشيخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز – فاس، السنة الجامعية: 2001–2002م.
133. مفهوم القلب في القرآن الكريم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، نجيب ابن عبد الله المدغري، اشراف الدكتور: الشاهد البوشيخي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ظهر المهراز – فاس، السنة الجامعية: 2000م–2001م.

المقالات:

134. الإعجاز العلمي في تمييز الإبل في خلقها عن باقي الحيوانات، حامد عطية محمد، كلية الطب البيطري، جامعة الزقازيق، قسم طب الحيوان، المؤتمر العالمي الثاني للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
135. آيات العقل في القرآن الكريم دلالة اللفظ، وإعجاز التدبر والتفكر، إسراء إبراهيم كامل، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب العدد:106 ، (د.ت).

136. جدلية العلاقة بين العقل والوحي من منظور حنفي و أبو زيد، فاطمة محمد، عبد الرحمان محمود، محمد رازق الإدريسي، المجلة الدولية للفكر الإسلامي، م2017.
137. خصائص الطبيعية والكيميائية لحليب الإبل، أحمد ممدوح مناع، مجلة أسيوط للدراسات البيئية – العدد 34 يناير 2010.
138. العلاقة بين العقل والوحي: وانعكاساتها الفكرية والتربوية، أحلام مطالقة وعماد الشريفين، المنارة، المجلد 20، العدد2/أ، 2014م.
139. مجلة الأزهر، عنوان المقال: مفهوم الآية في القرآن الكريم، أحمد محمد عرفة، مجمع البحوث الإسلامية.
140. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز بفاس، عنوان المقال: النظرية العامة والنظرية الخاصة في علم المصطلح، بقلم الدكتور علي قاسمي، عدد:4، 1988 م.
141. معالم المنهج الحضاري في الإسلام، عبد المجيد النجار، ثقافتنا للدراسات والبحوث، العدد25، 1431 هـ– 2010 م.
142. ندوة بلاغة النص القرآني، تقديم أحمد العبادي، مركز الدراسات القرآنية للعلماء، وشعبة الدراسات الإسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 18/17 أبريل2012، الطبعة الأولى 1435هـ –2014م.

الفـــــهـــرس

مقدمـــة 2

الفصل الأول: دلالة مصطلح "العقل" في القرآن الكريم وموارده 10

المبحث الأول: أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني، موجباتها، وإشكالاتها 11

المطلب الأول: أهمية الدراسة المصطلحية للمصطلح القرآني 11

المطلب الثاني: موجبات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم ومقاصدها 18

المطلب الثالث: إشكالات الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم 20

المبحث الثاني: دلالة لفظ "العقل" 23

المطلب الأول: معنى "العقل" في اللغة 23

المطلب الثاني: معنى العقل في الاصطلاح 26

المطلب الثالث: مفهوم العقل في القرآن الكريم 29

المطلب الرابع: معنى العقل في اصطلاح المفسرين 34

المطلب الخامس: معنى العقل في الحديث النبوي 59

المبحث الثالث: موارد مصطلح العقل في القرآن الكريم دلالات مجال وروده 68

المطلب الأول: جدول يبين موارد مصطلح العقل في القرآن الكريم 68

المطلب الثاني: دلالات مجال الورود وصيغه 75

الفصل الثاني : علاقات لفظ العقل 78

المبحث الأول: تحديد علاقات العقل 79

المطلب الأول: العلاقات المتآلفة والمتداخلة 79

- علاقة العقل بالآية 79
- علاقة العقل بالقلب 91
- علاقة العقل بالتقوى 100

- علاقة العقل بالقرآن.....108
- علاقة العقل بالسمع.....120
- علاقة العقل بالعلم 126
- علاقة العقل بالهدى.....136
- علاقة العقل بالكتاب.....143
- علاقة العقل بالذكر.....150

المطلب الثاني:العلاقات المختلفة والمتضادة.....159

- علاقة العقل بالصم البكم والعمى 159
- علاقة العقل بالضلال.....167
- علاقة العقل بالتحريف.....172
- علاقة العقل بالافتراء.....179

المبحث الثاني: المصطلحات التى تشترك مع مصطلح العقل في نفس النسق المفهومي 185

المطلب الأول: أسماء العقل.....185

- اللب.....185
- الحجر.....188
- النهى.....190
- الحجا.....192
- الحلم.....193

المطلب الثاني: الألفاظ المتقاربة مع مصطلح العقل.....195

- التفكر.....196
- التدبر 199
- التأمل 202
- النظر 205

- البصيرة.....207
- الحكمة.....209

الفصل الثالث: القضايا المتعلقة بمصطلح العقل 213

المبحث الأول: تكريم الإنسان بالعقل وأهميته في الإسلام ووظائفه 214

المطلب الأول: تكريم الإنسان بنعمة العقل وتشريفه بها.....214

المطلب الثاني: فوائد إعمال العقل وأهميته في الإسلام.....216

- فهم الدين 217
- تصديق الوحي.....218
- البناء الأخلاقي.....218
- البناء الحضاري 219
- الاجتهاد.....220

المطلب الثالث: وظائف العقل ومهاهه 221

- الوظيفة الفيزيائية 221
- الوظيفة الفكرية المجردة.....222
- الوظيفة الباطنية النورانية.....225

المبحث الثاني:علاقة العقل بالنقل والحواس.....228

المطلب الأول : تكامل العقل والنقل.....228

المطلب الثاني : تكامل العقل و الحواس.....232

المبحث الثالث : محدودية العقل ونسبيته.....237

المبحث الرابع : حماية الله عز وجل للعقل.....241

- تحريم المسكرات والمخدرات.....242
- النهي عن التقليد الأعمى للأسلاف.....243
- الغضب.....244
- تحريم أعمال السحر والشعوذة.....245

- النهي عن الخوف 246
- تحريم الاعتداء على العقل 247

المبحث الخامس : وسائل التنمية العقلية في القرآن الكريم 249

- العلم والمعرفة 249
- اعتماد القرآن على القصص 254
- إدراج الأمثال في القرآن الكريم. 257
- القيم 259
- اعتماد القرآن الكريم على الحوارات 265

المبحث السادس: مجالات تقتضي إعمال العقل 269

المطلب الأول: القضايا الكونية 269

- خلق السماوات والأرض 269
- خلق الإنسان 273
- خلق الإبل 276
- ضرب المثل بالبعوضة 278

المطلب الثاني: القضايا العليا(المعجزات) 280

- معجزة نوح 282
- معجزة موسى 284

المطلب الثالث: القضايا الأسلوبية 287

خاتمـــة 290

لائحة المصادر والمراجع 292

الفهرس 308